كتاب جمل
من
أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩هـ / ٨٩٢م

الجزء السادس

بنو أمية بن عبد شمس

حققه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار — الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ/١٩٩٦ م

الطبعة الاولى



بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٨٣٧٨٩٨ ٩٦١١ ٠٠

دولي: ٨٦٠٩٦٢ ٩٦١١ ٠٠ - دولي وفاكس: ٤٧٨٢٣٠٨ - ٢١٢ - ١ - ٠٠

خبر عبيدالله بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية ومقتل مسعود بن عمرو

قال هشام ابن الكلبي في إسناده: أتى عبيدَ الله بن زياد خبرُ وفاة يزيد بن معاوية وهو بالبصرة، وخليفته على الكوفة عمرو بن حُريث المَخزومي، فقال لأهل البصرة: إن شئتم فبايعوني بالإمْرة حتى تنظروا مايصنع الناس وتروا رأيَ مَنْ وراءكم، فبايعه أهل البصرة على ذلك، ووجّه عبيد الله من البصرة عامر بن مِسْمَع من بني قيس بن ثعلبة وسعد بن القرحاء ليُعلِما أهلَ الكوفة ماكان من أهل البصرة ويسألاهم البيعة لابن زياد على الإمْرة حتى يصطلح الناس على إمام، فجمع عمرو بن حُريث الناس وعرض ذلك عليهم، وأمر عامر بن مِسْمَع أن يتكلّم فتكلّم ودعاهم إلى البيعة لعبيد الله وقال: إنّما الكوفة والبصرة شيء واحد فليكن أمرنا وأمركم مجتمعاً، وقام سعد بن القرحاء فقال نحواً من ذلك، فقام يزيد بن الحارث بن رُوَيم الشيباني فحصبهما، ثمّ حصبهما الناس وقالوا: أنحن نبايع لابن مرجانة! لا ولا كرامةً، فشرُف بذلك يزيد بالمِصْر وارتفع، فرجع الرجلان إلى البصرة فأخبرا الناس الخبر، فقال أهل البصرة: أيخلعه أهل الكوفة ونبايعه نحن؟

هذا مالايكون! فوثب الناس به وكان عبيد الله يقول: مانزلتْ بزياد نازلة فاستجار فيها إلا بالأزد، فاستجار بمسعود بن عمرو الأزدي من ولد معن بن مالك بن فِهْر[1] بن غَنْم بن دَوْس، وكان مسعود يُدعى القمر لجماله، وهو جدّ الوجناء الحبلي فيما يقال، فأجار ابنَ زياد ومنعه، فمكث ابنُ زياد بالبصرة أربعين ليلة بعد موت يزيد، ثم خرج إلى الشام، واستخلف مسعوداً على البصرة، ووجّه معه مسعود مَن شَخَصَ به إلى مَأْمَنه من الشام؛ فقالت بنو تميم وقيس: لانرضَى ولا نولّي علينا إلا رجلا ترضاه جماعتنا، فقال مسعود: استخلفني عبيد الله ولا أَدَعُ ذلك أبداً، وخرج في قومه حتى انتهى إلى القصر فدخله، واجتمعت بنو تميم إلى الأحنف بن قيس فقالوا له: إنّ الأزد قد دخلت المسجد، فقال الأحنف: وإن دخلوه فَمَهْ، إنّما هو لكم ولهم وأنتم تدخلونه أيضاً، ثم قالوا: إنّ مسعوداً قد دخل القصر وصعد المنبر، وكانت خوارج قد خرجوا فنزلوا بنهر الأساورة حين مضى عبيد الله إلى الشام، فزعموا أنّ الأحنف بعث إلى أولئك الخوارج: إنّ الرجل الذي دخل القصر عدوّ لنا ولكم، فما يمنعكم أن تبدأوا به؟ فجاءت عصابة من الخوارج حتى دخلوا المسجد ومسعود على المنبر يبايعُ مَنْ أتاه، فضربه علج فارسي يقال له مُسْلم، وكان مسلم هذا دخل البصرة فأسلم وصار مع الخوارج، فضرب مسعوداً فقتله وخرج، فجال بعضُ الناس في بعض وقالوا: قُتل مسعود، قَتَله الخوارج، فخرج الأزد إلى تلك الخوارج فقاتلوهم، فقتلوا منهم وطردوا من بقي وأخرجوهم عن البصرة، ودفنوا مسعود بن عمرو، وجاء ناس من

---

١ - في الاشتقاق لابن دريد - ط. القاهرة ١٩٥٨ ص٥٠٢ «ابن فهم»، وهو الأصح.

الناس إلى الأزد فقالوا: أتعلمون أنّ قيساً من بني تميم يزعمون أنّهم قتلوا مسعوداً؟ فبقيت الأزد تسأل عن ذلك، فإذا قوم يقولون ويتحدّثون بما كان من رسالة الأحنف، فاجتمعت الأزد عند ذلك إلى زياد بن عمرو بن الأشرف العَتَكي فرأسْتهُ عليها، ثم ازدلفوا إلى بني تميم وخرج مع الأزد مالك بن مِسْمَع في بكر بن وائل، وأتت بنو تميم الأحنفَ فقالوا له: قد جاء القوم فاخرجْ، فجعل يتمكّث حتى جاءته امرأة من بني تميم من قومه فقالت: ياأحنف اجلس على هذا، وأشارت إليه بإصبعها الإبهام، أي إنما أنت امرأة، فقال: استكِ أحقّ به، فما سُمعتْ من الأحنف قطّ كلمة أرفثُ منها؛ ويقال إنّها جاءته بمِجْمَر فقال: استكِ أوْلى بالمجمر، ثم دعا الأحنف برايته فقال: اللهمّ انصرْها ولا تُذِلّها، اللهمّ احقِنْ دماءنا وأَصلحْ ذاتَ بيننا، وكانت قيس مع بني تميم، فسار الأحنف وسار بين يديه ابن أخته إياس بن قَتادة بن أَوْفَى من بني عبد شمس بن سعد، فالتقى القوم فاقتتلوا أشدّ قتال فقُتل بينهم قَتْلى كثيرة، فقالت بنو تميم: الله الله يامعشر الأزد في دمائنا ودمائكم، بيننا وبينكم القرآن أو من شئتم من أهل الإسلام، فإن كانت لكم علينا بقتل مسعود بيّنةٌ فاختاروا أفضلَ رجل منّا فاقتلوه به، وإن لم تكن بيّنة فنحن نحلف لكم بالله أنّا ماقتلنا ولاأمرنا، وأنّ الخوارج اعتمدت صاحبكم من قِبَل أنفسهم، وأنّا لانعرف قاتله، وإن كرهتم ذلك فنحن نَدي صاحبكم مائة ألف درهم، فاصطلحوا، وأتاهم الأحنف في وجوه مضر إلى منزل زياد بن عمرو العَتَكي فقال لهم: يامعشر الأزد أنتم جيراننا في الدار، وإخواننا عند القتال، وقد أتيناكم في رحالكم لنُطفىء حَسِيكَتكم[1] ونسلّ

١ ـ الحسيكة: الحقد والعداوة. القاموس.

سخيمتكم، ولكم الحُكمُ، فعَولّوا على أموالنا فإنّا لايتعاظمنا منها شيءُ يكون فيه صلاح ذات بيننا، ولأنتم أحبّ إلينا من تميم الكوفة، فقالوا: تَدُونَ صاحبَنا عشر دياتٍ، فقال: هي لكم، وانصرف الناس وقد اصطلحوا.

وقال هشام ابن الكلبي عن أبيه: انهم قتلوا مسعودا وهم يظنّون أنّه عبيد الله بن زياد فاقتتلوا، ثم إنّ إياس بن قَتادة حمل الديات التي وَدَوْهُ إيّاها وهي عشر؛ قال: وكانت الأزد تقاتل وهي تقول:

إيــاسُ لا نَــرْضَى بِــهِ أَحــنَفُ لا نُــنْـطى بِــهِ

قال: وقُتل مسعود وهو ابن ثمانين سنة؛ قال، وقال الهَيْثم بن الأسود النَخَعيِ أبو العُريان بن الهَيْثم بن الأسود:

عَلا النَعِيُّ لِمَسْعودٍ فَقُلْتُ لهم نِعْمَ اليَمانيُّ تَنْعَى أَيُّها الناعي
وَفَى ثَمانينَ لا يَسْطِيعُهُ أَحَدٌ حَتَّى دَعاهُ لِرَأسِ العِدَّةِ الداعي
آوَى ابْنَ حَرْبٍ وقَدْ سُدَّتْ مَذاهِبُهُ وأَوْسَعَ السَرْبَ منه أيَّ ايساعِ

وقال عُبيد الله بن الحُرّ الجُعْفي:

ما زِلْتُ [أَرْجو] الأزْدَ حتى رَأَيْتُها تَقاصَرُ مِنْ بُنْيانِها المُتَطاوِلِ
ومَقْتَلُ مَسْعودٍ فَلَم يَثْأَروا بِهِ وصارَتْ سُيوفُ الأَزْدِ مِثْلَ المَناجِلِ
وما خَيْرُ عَقْلٍ أَوْرَثَ الأَزْدَ ذِلَّةً يُسَبُّ بِها أَحْياؤُهُمْ في المَحافِلِ

قالوا: وكان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مُفَرَّغ الحِمْيَري قد قدم من كِرْمان حين مضى ابن زياد إلى الشام فقال:

أَعُبَيْدُ هلاّ كُنْتَ أَوَّلَ فارِسٍ يَوْمَ الهِياجِ دَعا لِحَيْنِك داعِ
أَسْلَمْتَ أُمَّكَ والرِماحُ شَوارِعٌ يا ليتني لك لَيْلَةَ الأَفْزاعِ

لابْنَ الزُبيْر غداةَ يُجْمِعُ أَمْرَهُ   أَوْلَى بِغايَةِ كُلِّ يَوْمِ وِقاعِ
وأَحَقُّ بِالصَّبْرِ الجَميلِ مِن امْرِيءٍ   كَـزٍّ أَنامِلُهُ قَصيـرِ البـاعِ[١]

وقال ابن الكلبي في إسناده عن أبي مخنف وغيره: لما اصطلح الناس وتفرّقوا جعلوا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب يصلّي بهم، ارتضوا به، ثم إنّ ابن الزبير ولّى البصرة القَباعَ، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المَخْزومي، وإنّما سُمّي القُباع لأنّ أهلَ البصرة أتوه بمِكْيال لهم فقال: ماهذا القُباع، والقُباع الأجْوَف، وله يقول أبو الأسود الدُيلي:

أبـا بَكْرٍ جَـزاكَ الله خَيْراً   أَرِحْنا مِنْ قُباعِ بني المُغيرَهْ[٢]

وأبو بكر عبد الله بن الزبير:

قال: واجتمع أهل الكوفة على عامر بن مسعود بن أميّة بن خَلَف الجُمَحي وكان يلقّب دُحْروجَة الجُعَل لِقَصْرِه، وفيه يقول عبد الله بن هَمّام السَلولي:

يا بْنَ الزُّبْير أَميرَ المُؤْمِـنينَ أَلَمْ   يَبْلُغْكَ ما فعلَ العُمّالُ بِالعَمَلِ
باعوا التِجارَ طَعامَ الأَرْضِ واقْتَسموا   صُلْبَ الخَراجِ شِحاحاً قِسْمَةَ النَفَلِ
وقَدَّموا لَكَ شَيْخاً خائِناً خَذِلاً   مَهْما يَقُلْ لَكَ شَيْخٌ كاذِبٌ يَقُلِ
وقيلَ طالِبُ حقٍّ ذو مزابنة[٣]   جَلْدُ القُوَى ليس بِالواني ولا الوَكَلِ
أُشْدُدْ يَدَيْكَ بِزَيْدٍ إنْ ظَفِرْتَ بِهِ   واشْفِ الارامِلَ مِنْ دُحْروجَةِ الجُعَلِ

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص١٥٩ ـ ١٦٥ .
٢ ـ ديوان أبي الأسود ص٢٢٠ وفيه «أمير المؤمنين جزيت خيراً» .
٣ ـ المزابنة: بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر. القاموس.

يريد [مَرْثد بن] شراحيل كان أساء في البيع، و[زيد] مولى عتّاب بن وَرْقاء الرياحي كان خازنه، فمكث عامر ستّة أشهر ثم عزله ابن الزبير وولّى عبد الله بن يزيد الخَطْمي.

وحدّثني العمري عن الهَيْثم بن عديّ أنّ مسعوداً آوى ابن زياد ، ثم وجّه معه رجلاً في جماعة فأبلغه مَأمَنه من الشام ، وكان ابن زياد صيّر مسعوداً خليفته ، فصعد مسعود المنبر وجعل يخطب ، فبايعه قوم يهوون هوى بني أميّة ، فلم يزل كذلك إلى الليل ، ثم انصرف وقد تفرّق الناس عنه ، وبقي في جُمَيِّعَةٍ ، فلما صار في بني تميم شدّت عليه الخوارج فقتلته ، فاتُّهم بنو تميم ، وجعل قوم يقولون : إنّ الأحنف دسّهم وجعلها زُبَيْريّة ، يعني أنّه دسَّ للزبير[1] حتى قُتل .

وقال أبو عبيدة مَعْمر بن المُثَنّى في روايته : عاد ابن زياد عبدالله بن نافع بن الحارث بن كَلَدة الثَقَفي ثم خرج من عنده فلقيهُ حُمْرانُ مولاه ، وكان قد وجّهه إلى يزيد ، فأسَرّ إليه موت يزيد واختلافَ أهل الشام ، فأمر عبيدالله فنُودِيَ الصلاة جامعةً ، ثم خطب فنعى يزيد وحضّ الناس على الطاعة وقال : اختاروا لأنفسكم فماسحوه ، ثم بدا لهم في بيعته وجعلوا يَمْسحون أيْدِيَهم منها بالحيطان ؛ وكان في سجنه نافع بن الأزرق الحَنَفي ، ونَجْدَة بن عامر الحَنَفي ، وعبدالله بن إباض ، وعبيدة بن هِلال العنزي ، وعمرو القنا بن عميرة من بني مُلادِس بن عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانوا غضبوا للبيت فقاتلوا مع ابن الزبير وهم لا يرون نصره ،

---

١ ـ الزبير بن العوام ، إثر معركة الجمل .

ولكّنهم احتسبوا في جهاد أهل الشام . ثم إنّهم قدموا البصرة فالتقطهم ابن زياد وحبسهم ، فيقال إنّه كان في سجنه من الخوارج مائة وأربعون .

وقال أبو عبيدة : لما هرب ابن زياد إلى الأزد أقام أهل البصرة ببّة ؛ وكان هربه إلى الشام بعد قتل مسعود .

قال أبو عبيدة في بعض روايته : لما كان موت يزيد بن معاوية وإظهار ابن زياد إيّاه بالبصرة ، خرج سَلَمة بن ذُؤَيْب الرِياحي الفقيه وهو على فرس له شهباء وقد لبس سلاحه ومعه لواءٌ ، فدعا الناس إلى بيعة ابن الزبير وطاعته وقال : عليكم بالعائِذ بالبيت الحرام ، وابن حَواريّ رسول الله ﷺ، فبايعه جماعة يسيرة، وبلغ ابنَ زياد ذلك فخطب الناس فاقتصّ أوّلَ امرِهِ وأمرِ ابيه بالبصرة ، وعدّد بَلاءه عند أهلها ثم قال : بايعتموني ثم مسحتم أيديَكم بالحِيطان وقلتم ما قلتم ، ثم هذا سَلَمة بن ذُؤَيب يدعوكم إلى الخلاف إرادة أن يُفَرِّقَ جماعتكم ليضرب بعضُكم جِباهَ بعضٍ ؛ وكان الذي أخبر [ابنَ] زياد بأمر سَلَمة بن ذُؤَيْب عبدُ الرحمنِ بن أبي بَكْرة ، ويكنى أبا الحُرّ ، فقال الأحنف بن قيس والناس : نحن نجيئك بسَلَمة فأتوا سَلَمَة فإذا معه جمع كثيف قد سافر إليه وإذا الفَتْق قد اتّسعَ ، فامتنع عليهم ، فلما رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه ، فقال : والله لقد لبسنا الخزّ حتى اجِمَتْه جلودُنا فما نبالي أن نُعْقِبها الحديد أيّاماً ، والله لو اجتمعتم على قرن عنز لِتكسِروه ما كسرتموه ؛ ودعا البُخاريّة ومن كان من أصحاب السلطان إلى المحاربة معه ، فلم يجيبوه واعتلّوا عليه ، فانغمس في الأزد في بيت مسعود .

قال : وكان في بيت مال ابن زياد نحو ثمانية آلاف ألف درهم ، فقال للناس حين خطب : هذا فَيْئكم فخذوا أرزاقكم وأرزاق عيالاتكم

وذُرِّيَّتكم ، وأمر الكُتَّاب بتحصيل الناس وتقرير ما لهم ، فلما رأى قعودَ الناسِ عنه وظهورَ أمرِ سَلَمة كفَّ عن ذلك ، وأمر بنقل المال حين هرب فهو يتردَّد في آل زياد ، وقال له إخوته : والله ما من خليفةٍ تقاتل عنه ، ولا تأمن أن يُدال عليك فَتْعطَب وتهلك وتذهب أموالنا ، وقال له عبدالله أخوه وهو ابن مرجانة ، والله لَئِن قاتلتَ القوم لأقتلنَّ نفسي بسيفي هذا ؛ فلما رأى عبيدالله ذلك أرسل إلى الحارث بن قيس بن صُهْبان الجَهْضَمي فسأله أن يسأل مسعوداً أن يُجيره ، فسأله ذلك فأباه ، فقال له الحارث : يا معشر الأزرد إنّكم أَجَرْتمْ زياداً فبقي لكم شرف ذلك وذكره وفخره ، فقال مسعود : أترى أن نُعادي أهل مِصْرنا في عبيدالله وقد أَبْلَيناه في أبيه ما أبليناه فلم يكافِنا ولم يَشكْر ، ما كنتُ أحب أن يكونَ هذا رأيك ، فقال : قد بايعتَه فيمن بايع ولن يُعاديك أحدٌ على الوفاء له ؛ فلما أبى مسعود إجارة ابن زياد أتى الحارث إلى أمّ بِسطام امرأةِ مسعود وهي ابنةُ عمِّه فقال لها : إنّي دعوتُ مسعوداً إلى مَكْرُمَةٍ فأباها ، وأنا أدعوكِ إلى أن تَسودي نِساءَ قومك أبداً ، وكلّمها في إجارة ابن زياد ، فأجارته ، ويقال إنّه أعطاها مائة ألف درهم كانت مع ابن زياد ، فأدخلته حَجَلَتها وألبسته ثوباً لزوجها ، فلما جاء مسعود أعلمته ذلك ، فغضِب وأخذ برأسها ، حتى خرج عبيدالله والحارث فحَجَزا بينهما ، وقال له عبيدالله : أجارَتْني عليك وألبستْني ثوبك وأكلتُ من طعامك وقد التفّ عليَّ منزلك ، وتلطّف والحارث له حتى رضي ، فلم يزل في منزل مسعود حتى قُتل مسعود ، ثم شخص إلى الشام ؛ وقال أبو عبيدة : وآل زياد ينكرون أن يكون ابن زياد شخص قبل قتل مسعود ، وأن يكون مسعود بعث معه من بَذْرَقَهُ .

وقال يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ شعراً ذكر فيه فرارَ ابنِ زياد من دار الإمارة إلى الأزد ، ثم إلى الشام بعد مقتل مسعود وخذلانه أيّاه ، وذكر هربه عن أمّه وامرأته هِنْد الفَزاريّة :

أَقَرَّ لِعَيْني أَنَّهُ عَقَّ أُمَّهُ ... دَعْتهُ فولّاها آستَهُ وَهْوَ يَهْرُبُ
وقالَ عَلَيْكِ التاسَ[1] كوني سَبِيَّةً ... كما كُنْتِ أو موتي فَلَلْمَوْتُ أَقْرَبُ
وقد هَتَفَتْ هِنْدٌ بِهِ ما أَمَرْتَني ... أَبِنْ لي وخَبِّرْني إلى أَيْنَ أَذْهَبُ
فقالَ أُريد الأَزْدَ في عَقْرِ دارِهم ... وبَكْراً فما لي عَنْهُمُ مُتَجَنَّبُ
بما قَدَّمَتْ كفّاكَ مالَكَ مَهْرَبٌ ... مِنَ القومِ يَوْماً والدِماءُ تَصَبَّبُ
ولَوْ كُنْتَ صُلْبَ العودِ أَوْ ذا حَفيظَةٍ ... كَرَرْتَ على هِنْدٍ وَهِندٌ تَسَحَّبُ
وغادَرْتَ مَسْعوداً رَهينَةَ حَتْفِهِ ... يَمُجُّ نَجيعَ الجَوْفِ وهْوَ مُلَحَّبُ
ولو لم يَفُتْ رِكْضاً حَثيثاً لَحَلَّقَتْ ... بأَشْلائِهِ في الجَوِّ عَنْقاءُ مُغْرِبُ[2]

وقال أيضاً :

قَدَّمْتَ مَسْعوداً لِيَصْلَى حَرَّها ... وَوَأَلْتَ[3] لَمّا أَنْ نَعاهُ الناعي
أَفَلا كَرَرْتَ وَراءَهُ مُتَشَزِّباً ... لَمّا أُصيبَ ، دَعا لحَتْفِك داعِ
وتَرَكْتَ أُمَّكَ والرِّماحُ شَوارِعٌ ... يا ليتني لكِ لَيْلَةَ الأَفْزاعِ
ليس الكَريمُ بِمَنْ يُفارِقُ أُمَّه ... وَبناتِهِ بِالمَنْزِلِ الجَعْجاعِ
وخَذَلتَ مَسْعوداً وطِرْتَ مُوَلِّياً ... مِثْلَ الظليمِ أَثَرْتَهُ بالقاعِ[4]

---

١ ـ في ديوانه : الصبر .
٢ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ٦٤ ـ ٦٧ .
٣ ـ وألت : نجوت .
٤ ـ ديوانه ص ١٥٩ ـ ١٦٥ .

وقال أبو عبيدة : فهذا دليل على أنّه انما هرب الى الشام بعد مسعود وأنّه حين قُتل مسعود كان بالمصر[1] فلم يبرح .

قال أبو عبيدة : ولما هرب ابن زياد بقي الناس بغير أمير فلما لم يكن لهم أمير ارتضوا بنعمان بن صُهْبان الراسبي ، وقيس بن الهَيْثَم يختاران لهم، فكان رأيُ قيس في عبدالله بن الأسود الزُهْري، ورأي النعمان بن صُهْبان في بَبّة ، وقال النعمان : هو هاشمي وابن أخت القوم الذين الملك فيهم ، لأنّ أمّ بَبّة هند بنت أبي سفيان ، وكان النعمان شِيعِيّاً شهد مع عليّ صِفّين ، وأقبلوا بِبَبّة فنزل دار الإمارة ؛ قال أبو عبيدة : وكان ذلك برضا جميع الناس الأزد وغيرهم ، وقوم يقولون إنّ ذلك لم يكن برضا الأزد فقولهم باطل ، قال الفرزدق :

وبايَعْتُ أقْواماً وَفَيتُ بِعَهْدِهِمْ　　وبَبّةُ قَدْ بايَعْتُهُ غَيْرَ نادِمِ[2]

وقوم يروونه : وَهْوَ نائِمُ .

قال أبو الحسن المدائني : جعل بَبّة على شرطتهِ هِمْيان بن عَدّي ـ ويقال النعمان بن صُهْبان، وهِمْيانُ بن عديّ أثبت ـ فأتى هِمْيان دار فِيل مولى زياد، وهي في بني سُليم ، فأمر بتَفْريغها لِينزلها رجل قدم على بَبّة من المدينة ، وكان فِيل قد هرب وأقفل أبواب داره ، فمنعت بنو سُليم هِمْيانَ بن عَديّ ما أراد حتى قاتلوه ، واستصرخوا عبدَ الملك بن عبدالله بن عامر بن كُريز ، فأرسل بُخارِيّتَه ومواليه في السلاح حتى طردوا هِمْيان بن عَدّيّ ، وعدل عبد

---

١ بهامش الأصل : بالبصرة .
٢ ـ النقائض ص ١١٢ ، ٧٢٧ .

الملك من الغد إلى دار الإمارة ليُسلّم على بَبّة ، فلقيه على الباب رجلٌ من قيس بن ثعلبة فقال : أنت المعين علينا بالأمس ، ورفع يده فلطمه ، فضرب رجل من البُخاريّة يدَ القَيْسي فأطارها ، ويقال بل ضربه ضربةً شَلّت منها يده ، وغضب ابن عامر فرجع ، وغضبت له مضر واجتمعت ، وأتت بكرُ بن وائل أشْيَمَ بنَ شَقيق بن ثَوْر فاستصرخوه ، فأقبل ومعه مالك بن مِسْمَع ، ثم إنّ القوم تحاجزوا وانصرفت بكر والمُضَريّة ، وتحالف بكر والأزد ، فقال حارثة بن بدر الغُداني :

نَزَعْنا وَأمَّرْنا وبَكرُ بنُ وائِلٍ تَجُرُّ خُصاها تَبْتغي مَنْ تُحالِفُ
وما باتَ بَكْريٌّ من الدَهْرِ لَيْلةً فيصبح إلا وَهْوَ لِلذُلِّ عارِفُ

وقال أبو عبيدة حدثني زهير بن هُنَيْد عن عمرو بن عيسى قال : كان مالك بن مِسْمع في المسجد ، فبينا هو قاعد ، وفي الحلقة رجل من ولد عبدالله بن عامر بن كُرَيْز ، اذ نازع القرشيّ مالكاً فأغلظ له القرشيُ ، فلطم رجلٌ من بكر القرشيَّ ، فتهايجَ مَن ثَمَّ من مُضَر وربيعة ، وكَثَرتْهم ربيعةُ ممّن في المسجد ، فنادى رجلٌ يالَ تميمٍ ، فوثب قومٌ من بني ضَبّة على رِماح حَرَس المسجد وتِرَسَتهم ، ثم شَدّوا على الرَبَعيّين فهزموهم ، وبلغ ذلك أشْيم بن شَقيق بن ثَوْر ، وهو يومئذ رئيس بكر بن وائل ، فأقبل إلى المسجد فقال : لا يَجِدَنَّ رَبَعِيٌّ مُضَريّا الاّ قتله ، فبلغ ذلك مالكَ بن مِسْمَع فأقبل متفضّلاً[1] فسكّن الناس حتى كفّ بعضُهم عن بعضٍ ، وسأل مالك أن يجدِّد الحلفُ بين الأزد وربيعة .

---

١ ـ التفضل : التوشح ، وأن يخالف بين أطراف ثوبيه على عاتقيه . القاموس .

حدثنا المدائني : أنّ الأحنف قال لمالك بن مِسْمَع حين تحالفوا : أحِلْفٌ في الإسلام؟! قال: حالفتُ على الزُطّ والسيابِجَة، فقال: معاذ الله ، قال : يا أبا بَحْر كانت نعمة سَبَقْناك إليها ، فقال الأحنف : والله ما أردتها ولَتَحْلِبَنَّها دَماً عَبيطاً ، لقد حالفت قوماً إن اتّبعتهم استذَلُّوك ، وإن خالفتهم عَزُّوك وقهروك .

وقال المدائني في بعض روايته: لما جدّدوا الحلف وأقبلوا مع مسعود إلى المسجد الجامع فزعتْ تميم إلى الأحنف فعقد عمامته على قناة ودفعها إلى سَلَمة بن ذُؤَيْب الرياحي ، فأقبل وبين يديه الأساورة حتى دخل المسجد ومسعود يخطب ، فاستنزلوه فقتلوه ، فجعلوا يحكّمون فقيل إنّ الخوارج قتلته ؛ وزعمت الأزد أنّ الأزارِقة قتلوه بأمر الأحنف ، فكانت الفتنة ، وسَفَر بينهم عمر بن عبيدالله بن مَعْمر ، وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام حتى رضيت الأزد من دم مسعود بعشر دياتٍ ، ولزم بَبّة بيته وكان متديّناً ، وكان القاضي في هذه الفتنة هشام بن هُبَيْرة .

وكتب ابن الزبير إلى عمر بن عبيدالله بعهده على البصرة فوافاه وهو متوجّه يريد العُمْرة ، فكتب عمر بن عبيدالله إلى أخيه عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمر أن يصلّي بالناس ، فصلّى بهم حتى قدم عمر بن عبيدالله ؛ قال أبو الحسن : ولما لزم بَبّة بيته كتب أهل البصرة إلى عبدالله بن الزبير بذلك ، فكتب إلى أنس بن مالك يسأله أن يصلّي بهم ، فصلّى بهم أربعين يوماً .

وقال أبو عبيدة : لما جدّدوا الحلفَ في الفتنة قالت الأزد : لا نرضى حتى يكون الرئيس منّا، فرأسوا مسعوداً، وقال [مسعود لعبيدالله] سرْ معنا

حتى نُنْزلك الدار ، وبعث عبيدالله غِلماناً له على خيل مع مسعود ، وأُتي بكرسيّ فجلس على باب مسعود ، وقدّم مسعودٌ مالكَ بن مسمع في ربيعة فأخذوا سكّة المدينة ، فامتلأ المِرْبَد رماحاً ، وجاء مسعود حتى علا المنبر وبَبّة في دار الإمارة ، وقيل له : إنّ ربيعة واليمن قد ساروا وسَيهيج بين الناس شرٌّ فلو أصلحتَ بينهم وركبت مع بني تميم إليهم ، فقال : أبعدهم الله والله لا أُفسد نفسي بصلاحهم ، وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول :

لأُنْكِحَنَّ بَبَّهْ جارِيَة في قُبَّهْ تَمْشُطُ رَأْسَ لَعْبَهْ

فلما لم يَحُلْ أحد بين مسعود وبين صُعود المنبر ، خرج مالك بن مِسْمَع في كتيبة حتى علا الجَبّان ، وأتى دورَ بني تميم فدخل بني العَدَوِيّة ، فجعل يحرّق دروهم ، وذلك أنّ رجلاً من بني ضَبّة كان لَاحى رجلاً من بني يَشْكُر فقتله الضَبيّ ، فبينا هو كذلك إذ أتاه قتلُ مسعود .

قال : وأتت بنو تميم الأحنفَ فقالوا يا أبا بَحْر أنت سيّدنا وقد اجتمعت الأزد وربيعة ، فقال : سيّدكم الشيطان ، فقيل : قد أتوا الرَحَبة ، فقال : لستم بأحقّ بها منهم ، ثم قالوا : قد دخلوا المسجد ، فقال : لستم بأحقّ بالمسجد منهم ، فقال سَلَمة بن ذُؤَيْب : يا معشر مضر إنّما هذا كَبْش مُنْجَرٌ في أُذُنَيْه لا خيرَ لكم عنده ، فَنَدب بني تميم فانتدب منهم خمسمائة ، وتلقّاه رأسُ الأساورة يومئذ في بعض الطريق وهو في أربعمائة من الرُماة ، فقال لهم سَلَمة : أين تريدون ؟ قالوا : إيّاكم . وأتت الأحنفَ امرأةٌ بمِجْمَر فقالت : ما لك وللرئاسة ، تجمَّرْ ، فقال : آستْ المرأة أحقّ بالمِجْمَر ، فعُتِبَت عليه ؛ وتحوّل الأحنف في تلك الأيام من داره إلى بني عامر بن عبيدة ، وأتوه فقالوا : إنّ عَبلة بنت ناجية الرياحي ، وهي أخت

مَطر ، وامرأة أخرى قد سُلبتا وأُخذت خلا خيلهما من أَسْؤُقهما ، وقُتل المُقْعَد الذي كان على باب المسجد والصبّاغ الذي في طريقك ، وحرق مالك بن مسمع دور بني العَدَويّة ، فقال : ثبتوا ذلك ، فثبتوه ، فطلب عبّاد بن الحُصين فلم يوجد ، فدعا بعَبْس بن طلْق ـ ويقال طليق ـ السعدي ثم انتزع مِعْجراً[1] في رأسه ثم جثا على رُكْبَتيه وعقده في رمح ثم دفعه إليه ثم قال :

ما إنْ أَرَى فخراً ولا حَياءَ إذا ٱتَّخَذْتُ مِعْجَري لِواءَ

ثم قال لِعَبْس: سِرْ، فلمّا وَلَّى قال : اللهمّ لا تُخْزِها اليوم فإنّك لم تُخْزِها فيما مضى ، فسار عَبْس وصاحت النظّارة هاجت زَبْرَاءُ ، وزَبْراءُ أَمَةٌ للأحنف ـ أرادوه بذلك وقال الأحنف : يا بني تميم إنّ شرّ الناس مَنْ لم يستحي من الفرار ، ثم جاء عبّاد في ستين راكباً ، فأبى أن يسير تحت لواء عبس ، ولقوا القوم فاقتتلوا ، ورمى الأساورة بألْفي نُشّابة في رِشْق واحد فتلقّوهم برماحهم ، فرماهم الأساورة بأَلْفَي نُشّابة في رِشْق آخر ، فأَجْلَوا عن أفواه السكك وأقاموا على أبواب المسجد ، فاقتتلوا ، ورماهم الأَساورة فقلعوهم عن الأبواب ، ودخلت تميم المسجد فاقتتلوا فيه ومسعود على المنبر ، وكان الحَكَم بن مَخْرَمَة العبدي قد ثبط قومه وقال : أتقتلون إخوتكم مع الأزد ؟ فردّهم ، وذلك عند باب المسجد ، قال اسحاق بن سُوَيد العدوي : فأتوا مسعوداً وهو على المنبر واستنزلوه وقتلوه ، وذلك في شَعْبان

---

١ ـ الاعتجار : لف العمامة دون التلحي . والمعجر : ثوب تعتجر به ، وثوب يمني ، وما يُنسج من الليف شبه الجوالق . القاموس .

سنة أربع وستّين ، فانهزم القوم ، وهرب أُشْيَم بن شَقيق فطعنه رجل طعناً فتنحّى ، فقال الفرزدق :

لَوْ أَنَّ أَشْيَم لَمْ يَسْبِقْ أَسِنَّتنا وأَخْطَأَ البابَ إِذْ نيرانُنا تَقِدُ
إذاً لَصاحَبَ مَسعوداً وصاحِبَهُ وَقَدْ تَماءَتْ لَهُ الأَعْفاجُ والكَبِدُ[1]

قال : فبينا ابن زياد ينتظر ما يكون من مسعود أُتي فقيل : قد صعد المنبر ، فتهيّأ للركوب ، فبينا هو كذلك إذ قيل قد قُتِل ، فاغترز في رِكابه ولحق بالشام ، وذلك في أوّل شَعْبان سنة أربع وستّين ، قال : وقوم يقولون أنّه شخص في شوّال ، وكان مقتل مسعود في شوّال ، والأوّل أصحّ ، وكان نزوله دار مسعود في جُمادى الآخرة سنة أربع وستّين .

وقال المدائني : مات الحارث بن معاوية أيّام مسعود فقال الأحنف : رحمك الله أبا المُوَرِّق فارقْتنا أَحْوَج ما كنّا إليك .

أبو الحسن المدائني عن عامر بن حفص ، قال : خرج ابن زياد من البصرة هارباً إلى الشام في قوم وفَوا له ، فقال ذات ليلة : إنّه قد ثقل عليَّ ركوب الإبل فوطّئوا لي على ذات حافر ، فأُلقيت له قطيفة على حمار فركبه وإنّ رجليه لتخُدّان في الأرض ، فقال بعض من كان معه ورآه قد سكت سَكْتَةً طويلة : هذا عبيدالله بن زياد أمير العراق بالأمس نائماً على حمار لو سقط عنه أَعْنَتَهُ ، ثم دنا منه فقال : أَنائمٌ أَنت ؟ فقال ابن زياد : لا ، قال : فما هذه السَكْتَة ؟ قال : كنت أُحدّث نفسي ، قال له : أنا أخبرك بما فكرتَ فيه ، قال : قل ،قال : قلتَ لَيتني لم أقتل حسيناً ، وليتني لم أكن

---

١ ـ النقائض ص ٧٣٤ .

بنيتُ البيضاء[1] ، وليتني لم أكن استعملت الدَهاقين ، وليتني لم أقتل من قتلت ، فقال ابن زياد : والله ما نطقت بصوابٍ ولا سكتُّ عن خطأ ، أمّا الحسين فإنّه سار إليَّ يريد قتلي فاخترتُ قتله على أن يقتلني ، وأمّا البيضاء فإنّي اشتريتها من عبدالله بن عثمان الثَقَفي فأرسل إليَّ يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها ، فإنَ بَقِيَتْ فلأهلي [و] إلاّ فإنّي لا آسَى عليها ، وأمّا استعمالي الدهاقين فإنّ عبد الرحمن بن أبي بكرة وزاذانفرُّوخ رَفَعا عليَّ عند معاوية فخيّرني معاوية بين الضَمان والعزل فكرهتُ العزل ، وكنت إذا استعملت الرجلَ من العرب فكسر الخراج فأقدمت عليه أوْغَرْتُ صدور عشيرته ، أو أغْرَمْتُه فَحَمَلْتُ على عطاء قومه أضررتُ بهم ، وإن تركتُه تركتُ مال الله وأنا أعرف مكانَه ، فوجدت الدهاقين أبصرَ بالجباية وأوفى بالأمانة وأهون عليّ مُطالَبةً ، وأمّا قتلي مَن قتلتُ فما عَلِمتُ بعد قولي كلمةَ الإخلاص عملاً أقربَ إلى الله مِن قتلي مَنْ قتلتُ من الخوارج ، ولكنّي حدّثتُ نفسي فقلتُ : ليتني قاتلتُ أهل البصرة فإنهم بايعوني طائعين ثم نكثوا ، ولقد أردت ذلك ولكنّ بني زياد أتوني فقالوا : إنّك إن قاتلتهم فظهروا عليك لم يُبقوا منّا أحداً إلاّ قتلوه ، وإن تركتَهم تَغيَّبَ الرجل منّا عند أخواله وأصهاره وخُلطائه ، فلم أقاتل ، وقلت : ليتني أخرجتُ أهل السجن فضربت أعناقهم ، فأمّا إذ فاتت هاتان فليتني أقدم الشام ولم يُبرموا شيئاً فأكون معهم فيما يبرمون ، قال : وبينا هو يسير إذ عرض له فارس بيده رمح ، فقال : لا وألتُ إن وألتَ ، فقال : أَوَما هو خير لك ، ألفُ دينار ، فركن إليها ، فشددنا عليه

---

١ ـ البيضاء : دار عبيد الله بن زياد .

فأخذناه ، فقال له ابن زياد : لا تُرَعْ فكان دليلنا حتى وردنا الشام ، فقال الرجل : عَهْدُنا بابن زياد يأكل في كلِّ يومٍ أكلاتٍ أوّلها عَناق أو جَدْي يُتخيّر له ، فكان يأكل وهو يريد الشام أقلّ مما يأكله أحدنا ويقول : الأكل مع الأمر والسرور .

وقال أبو عبيدة قال يونس بن حبيب : لمّا قتلوا مسعوداً وهرب ابن زيادٍ إلى الشام أقبلت فَعْمَة ابنة مسعود وقد ركبت دابّة مُوكَّفة ، وولّت وجهها قِبَلَ ذنبها ، وسدلت شعرها وتَجَلْبَبَتْ مِسْحها ومعها نادبة تقول :

مسعود مَن يُقتَل بك   احنفُ لا نُعطَى بك

ثم أتت مالكاً وهو واقف في سكّة المِرْبَد وقد رجع من تحريق دور بني العَدَويّة فقال : ارْجعي ، فقالت : لا أو أُوتَى برأس الأحنف ، فأتوها برأس من رؤوس القتلى ضَخْمٍ فأزمت بأنفه عضّاً وغمست أطراف كُمَّيْها في دمِ لَغاديده[1] ثم انصرفت إلى رحلها ، فتزوّجت بعد .

قال : وأتى دارَ مالكٍ قومٌ من مضر وحرّقوا عليه ، فقال غطفان بن أُنيف الكَعْبي في ذلك :

كيف تَرانا وترى الأُميرا   بِصَرْحَةِ المِرْبَدِ إِذْ أُبيرا
نَقودُ فيه جَحْفَلاً جَرورا   أَكْثَرَ جَمْعاً حَلَقاً مَسْمورا
وصارِماً ذا هَيْبَةٍ مَأْثورا   فقَدَّ قَدَّ الجازِرِ الجَزورا
لَمّا رَجا مَسْعودُ التَأْميرا   وأَصْبَحَ ابْنُ مِسْمَعٍ مَحْصورا
وقد شَبَبْنا حَوْلَهُ السَعيرا

---

١ ـ اللغاديد : ما أطاف بأقصى الفم إلى الحلق من اللحم . القاموس .

ولما هرب عبيدالله طُلب فأعجز طَلَبَتَهُ ، فانتُهب ما وُجد له ، فقال واقد بن خليفة السعدي :

يا رُبَّ جَبّارٍ شَديدٍ كَلَبُـهْ   قد صارَ فينا تاجُـهُ وسَلَبُهْ
لو لم يُنجِّ ابْنَ زِيادٍ هَرَبُهْ   مِنّا لَلاقَى شَرَّ يَوْمٍ يَشْعَبُهْ
وقـادَ مَسْعوداً شَقـاءٌ يَأْدِبُـهْ   في عارِضٍ أَرْعَنَ ضاحٍ كَوْكَبُهْ

وقال جرير بن عطية :

ويَوْمَ عُبَيْدِ الله خُضْنا برايَةٍ   وزافِـرَةٍ تَمَّتْ إلينا تَميمُهـا[1]

وقال سُوُر الذئب السعدي :

نَحْنُ نَهَطْنا[2] الأَزْدَ يَوْمَ المَسْجِدِ   والحَيَّ مِنْ بَكْرٍ ويَوْمَ المِرْبَدِ
بِكُلِّ عَرّاصٍ[3] المَهَزِّ مِذْوَدِ   مُحَـرَّبٍ وصارِمٍ لم يَنْـأَدِ
كَأَنَّهُمْ مِن مُقْعَصٍ ومُقْصَدِ   وداحِضٍ بِالرِجْلِ مِنْهُ واليَدِ
مِنَ السَواري وطَريقِ المَسْجِدِ   أَعْجازُ نَخْلِ النَيْطِ والمُسَنَّدَ
إِذْ خَرَّ مَسْعودٌ ولَمْ يُوَسَّدِ

وقال جرير أيضاً :

سائِلْ ذَوي يَمَن إذا لاقَيْتَهُمْ   والأَزْدَ إِذْ نَدَبوا لَنا مَسْعودا
لاقاهُمُ عِشْرونَ أَلْفَ مُدَجَّجٍ   مُتَسَـرْبِلينَ دُلامِصاً وَحـديدا
فَلَغادَروا مَسْعودَهُمْ مُتَجَـدِّلاً   قد أَوْدَعوه جَنادِلاً وصَعيدا[4]

---

١ ـ النقائض ص ١١٢ .
٢ ـ نهطة بالرمح : طعنه . القاموس .
٣ ـ العراص : الرمح الدن . القاموس .
٤ ـ النقائض ص ٧٣٦ .

قال أبو عبيدة : وقال قوم : انصرف مسعود من عِيادة صديقٍ له ، فلما كان بموضع من بني تميم عرض له خارجي فقتله وذلك بُهْت وباطل ، وقال قوم : لما صعد مسعود المنبر وأغفل الناسُ الخوارجَ خرجوا من السجن ودخلوا المسجد لا يلقون أحداً إلّا قتلوه حتى قتلوا مسعوداً في المسجد في اثني عشر من قومه ثم ظهروا إلى الأهواز ، وأقبل قوم من بني مِنْقَر فاحتملوا مسعوداً إلى دورهم ثم مثلوا به ، وذلك باطل أيضاً .

وقال أبو عبيدة : لما قُتل مسعود وَلَّت الأزد رئاستها زياد بن عمرو بن الأشرف العَتَكي ، ثم خرجوا من الغَدِ ، وخرجت ربيعة وعليها مالك بن مِسْمَع يطلبون بدماء مَن أُصيب منهم ، وعبّوا عبد القيس وأُلفافها من أهل هَجَر وعليهم الحَكَم بن مُخَرِّبة مَيْسَرَةً ، وعبّوا بكراً وألفافها من عَنَزَة والنَمِر وعليهم مالك بن مِسْمَع مَيْمَنَةً ، وعلى الأزد زياد بن عمرو ، وهم القلب ، وخرجت مُضر وعليها الأحنف بن قيس ، وقد عبّأ بني سعد وأُلفافهم من الأساورة والاندعان وضَبّة وَعدياً وعبد مناة وعليهم قَبيصة بن حُريث بن عمرو بن ضِرار الضَبّي ، وعلى الآخرين من بني سعد والأُساورة عَبْس بن طَلْق الصَرِيمي ـ ويقال طليق ـ فجعلهم بإزاء الأزد ، وعبّأ قيس عَيْلان وعليهم قيس بن الهَيثم السُلَمي فجعلهم بإزاء الأزد ، وعبد القيس ، وعبّأ بني عمرو بن تميم وعليهم عَبّاد بن الحُصين الحنظلي ومعهم بنو حنظلة بن مالك وأُلفافُها من بني العَمّ والزُطّ والسَيابِجَة ، وعلى جماعتهم سَلَمة بن ذُؤَيْب الرِياحي ، وجعلهم بإزاء بكر ، وفي ذلك يقول الشاعر من بني عمرو أو بني حنظلة :

سَيَكْفيك عَبْسٌ أخو كَهْمِسٍ مُقارَعَةَ الأَزْدِ بِالمِرْبَدِ
وتَكْفيكَ قَيْسٌ وَأَلْفافُها لُكَيْزَ بْنَ أَفْصَى وما عَدَّدوا
وَنَكْفيكَ بَكْراً وأَلْفافَها بِضَرْبٍ بَشيبُ لَهُ الأَمْرَدُ

فاقتتلوا ثم إنّ عمر بن عبيدالله بن مَعْمر ، وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مَشَيا للصلح فيما بينهم حتى التقي الأحنفُ ومالكٌ والعُمَرانِ في الصلح ، فجعل الأحنف يَخِفّ عند المُراوضة وجعل مالك يَثْقُل ، فقال القُرَشيّان : ياأبا بَحْر ، مالك تَخِفّ وقد ذهب حلمك في الناس ، ومالكٌ يَرْزُنُ ؟ فقال : إنّه يرجع إلى قوم لا يخالفونه إذا قال ، وأنا أرجع إلى قوم يتأبَّون عليَّ ، فلم يتَّفِقْ بينهم صلح ؛ واجتمعت ربيعةُ واليمن فكتبوا قتلاهم فلما بلغوا دِيَّة مسعود كتبوها عشر دِيات لأنه كان مُثِّل به ، فقال الأحنف : لانَزيدُ على دية رجل من المسلمين فاضطربوا بالأَيْدي والنِعال ، ثم عادوا للقتال فاقتتلوا أيّاماً ، ثم إنّ عُمَر وعُمَر أتيا الأحنفَ فعظّما أمرَ الإسلام وحرمته وحقّ الجوار وقالا : إنّما انتم إخوان وأصهار ويدٌ على العدوّ ، فقال الأحنف : انطلقا فاعقدا على ما أحببتما وأَبعِدا عني العار ، فأَتيا ربيعة واليمن ، فلما دنوا رماهما السفهاء فركضا حتى وقفا حيث لا ينالهما النَبْل والنُشّاب ، وصبّ عَبْس بأَمر الأحنف عليهم الخيل فأَجْلَتْ عن قَتْلى ، فقال أهل الحِجَى منهم : رَمَيتم رجلَين مَشَيا في الصلح بينكم ؛ ثم إنّهم اجتمعوا على الرضا بما حكم به عمر وعمر ، فحمل عمر بن عبيد اللهتسع ديات ، ويقال حملاها بينهما وقالا : قد لَجّ الأحنف وأَبى إلاّ دِيةً وإنما سَأَلْنا أن نَحْكم عليه ونحن أَولى بأن نَحْمِل هذا الشيء ، قال : ويقال انّ بني تميم قالوا : نحن نحملها ، وقال عبدالله بن حكيم بن زياد بن

حُوَي بن سفيان بن مُجاشِع بن دارم:أنا في أيديكم رَهينة بهذه الديات ، فقبلا ذلك ، فقال الفرزدق :

ومِنّا الذي أَعْطَى يَدَيْهِ رَهينَةً لِعارَيْ نِزارٍ قَبلَ ضربِ الجَماجِمِ
كَفَى كُلَّ أُمٍّ ما تخافُ على ابْنِها وهُنَّ قِيامٌ رافِعاتُ المَعاصِمِ
عَشِيَّةَ سالَ المِرْبَدانِ كِلاهُما عَجاجَةَ موتٍ بالسُيوفِ الصَوارِمِ
رَأَوْنا أَحَقَّ ابْنَيْ نِزارٍ وغَيْرِها بِإِصْلاحِ صَدْعٍ بَيْنَهُمْ مُتَفاقِمِ
حَقَنّا دِماءَ المُسْلِمينَ فَأَصْبَحَتْ لنا نِعْمَةٌ يُثنى بِها في المَواسِمِ

المدائني عن محمد بن حفص الباهلي عن هلال بن أَحْوَز قال : أتى الغَضْبانُ بن القَبَعْثَري الأحنفَ فقال : يا أبا بَحْر أتيتك في أمر عليك فيه قضاءٌ ، قال : أَيُصلحني وإيّاك ؟ قال : نعم قال : فلا قضاهُ الله عليَّ فيما يُصلحنا ، فما هو ؟ قال : اختاروا واحدة من ثلاث ، إن شئتم فاخرُجوا من المصر فلا يبقى فيه مُضَري وتُهدَر هذه الدماء ، وإن شئتم فدُوا قَتْلانا ولا ندي قتلاكم وتدون مسعوداً عشر ديات ، أو الحرب ، فقال الأحنف : لا حول ولا قوّة إلّا بالله لقد سُمتمونا خُطّة الذليل ، أمّا خروجنا عن المصر فإنّا لا ندعُ مُهاجَرنا ومراكزنا وفَيْءَ الله علينا فيه فنتعرّب بعد الهجرة ، وأمّا الحرب فلسنا بأجزع فيها منكم ، وأمّا أن ندي قتلاكم ونُلغي قتلانا فليس ذلك في صلاحنا ، وأمّا مسعود فرجل مسلم ديته دية رجل من المسلمين ، ثم قال الأحنف : في ربيعة عُجْب شديد .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣١٨ ـ ٣٢١ .

المدائني في إسناده قال : لما توادعوا ورضوا بالديات خطب الأحنف فقال : يا معشر الأزد وربيعة إنّكم إخواننا في الإسلام ، وشركاؤنا في الصهر ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدوّ ، ولأزْد البصرة أحب إليّ من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب إليّ من تميم الشام ، فإذا اسْتَشْرَتْ شَأْفَتُكم ، وحَمِيَتْ جَمْرَتُكم ، وأبَتْ حسائكَ صدوركم أن تَلين ، ففي أموالنا وأحلامنا سَعة لنا ولكم ، أرضيتم بحمل هذه الديات ـ يعني ديات الأزد ـ من أعطيتنا في بيت المال ؟ قالوا : رضينا ، فضمِنها والقِيامَ بها إياس بن قَتادة بن أوفَى ، وأمّة من رهط الأحنف ، وعَرَض ذلك على غيره من وجوه تميم فأباه ، وقالت الأزد وربيعة لإياس : قد رضينا بك لأنّك رجل شريف مسلم وَرِع ، فقام بذلك ، ثم رجع إلى منزله فقال قومه : طُلّت دماؤُنا وحملت دماءُ الأزد وربيعة فحملها لهم ، وكان إياس ناسكاً فقال لبني تميم : قد وهبتُ لكم شبيبتي فهبوا لي شَيْبتي ، وأقام يُؤَذّن في مسجده حتى مات ، فقال الحسن البصري : علم والله أنّ القبر يأكل السمن ولا يأكل الإيمان .

قال أبو عبيدة : وحمل القُرَشيّانِ أو أحدهما تسع ديات أرضَوْا بها الأزد من دم مسعود ، وقال القُلاخ في أرجوزته :

ثُمَّ بَعَثْنا لَهُمُ إيـاسـا حَمّالَ أَثْقالٍ بها قِنْعاسا[1]

وقال عمرو بن دَرَّاك العبدي :

قَتَلْنا بِقَتْلى الأَزدِ مَثْنى وضوعِفَت ديـاتٌ وأَهْدَرْنا دِماءَ تَميمِ
بِعَشْرِ دِياتٍ لابنِ عَمْرو تُوُفِّيَتْ عِياناً ولم تُجْعَلْ ضَمانَ نُجومِ
نَزَلْتُم على حُكْمِ الأَغَرِّ ابْنِ مِسْمَعٍ على حُكْمِ طَلّابِ التِراتِ غَشومِ

١ ـ القنعاس : الشديد المنيع ، والقلاخ وهو ابن حزن (تاج العروس مادة : قلخ) .

قال أبو عبيدة : وكان هذا وَبَبّة ملازمٌ لمنزله لا يعين أحداً ولا يدخل في شيء ، والناس على الرضا به ، وكان متديّناً ، وكانت هذه الهَزاهِز ثمانية أشهر أو تسعة أشهر .

وقال أبو الحسن المدائني : خرج نافع بن الأزرق في أيّام بَبّة حتى أتى الأهواز ، وخافه الناس ، فانتدب مسلم بن عُبيس بن كُريز لقتاله ، فعقد له بَبّة فسار إلى نافع ، فقُتل مسلم بِدولابَ من الأهواز ، واختلط أمر الناس ، فأخذ بَبّة نعله فلبسها وصار إلى منزله ـ وكان متديِّناً ـ وقال : لست أُحبّ إصلاحكم بفساد نفسي وديني .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال : جاء مسعود وعليه قَباء ديباج وحوله قومه حتى صعد المنبر فخطب وهم يقولون الشمس .

وقال أبو عبيدة حدثنا سلاّم عن الحسن قال : أقبل مسعود من هنا ، وأشار إلى منزل الأزد ، في أمثال الطير مُعْلماً عليه قباء ديباج أصفر مُعَيَّن بسواد يأمر بالسنّة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا محمد بن أبي عُيَينة حدثني شَهْرَك قال : شهدتُ عبيدالله بن زياد حين جاء موتُ يزيد بن معاوية فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة أتسبّوني فوالله لتجدُنّ مُهاجرَ أبي ومَولِدي وداري فيكم وبينكم ، ولقد وُلّيتُكم وما أُحصيَ [في] ديوان مقاتلتكم إلاّ أربعون ألفاً ، ولا في ديوان عيالاتكم إلاّ سبعون ألفاً ، ولقد أُحصيَ إليَّ اليوم في ديوانكم ثمانون ألفَ مقاتِلٍ ، وفي ديوان عيالاتكم مائة وعشرون ألفا ، وما تركتُ لكم ظنيناً

أخافه عليكم إلّا وهو في سجنكم ، وإنّ أمير المؤمنين قد تُوفّي ، وولّى عهده من بعده معاوية بن يزيد ابنه ، وإنّكم اليوم أكثر الناس عدداً وأعرضُهم فيئاً ، وأغناهُم عن الناس ، فٱختاروا لأنفسكم رجلاً ترضونه لدينكم وجماعتكم ، فأنا أوّل من يرضى ويبايع ويُعين بنصيحته وماله ، فإذا اجتمع أهل الشام على رجل يرضونه لدينهم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون ، فقامت خُطباء أهل البصرة فقالوا : قد سمعنا مقالتك أيّها الأمير ، ولا نعلم أحداً أقوى عليها منك فهلّم نبايعك ، فقال : لا حاجةَ لي في ذلك فٱختاروا لأنفسكم ، فلمّا كّرروا عليه القول بسط يده ودعاهم إلى بيعته فبايعوه ، ثم انصرفوا وهم يقولون : أيظنّ ابنُ مَرجانة أنّنا ننقاد له في الجماعة والفُرقة ، كذب والله ؛ ثمّ وثبوا به .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير حدثنا غسّان بن مضر عن سعيد بن يزيد قال : بايعوا عبيدالله بن زياد ثم قالوا : أَخْرِجْ لنا إخواننا . وكانت السجون مملوءة من الخوارج ، فقال : لا تفعلوا فإنّهم يُفسدون عليكم ، فقالوا : لابدّ من إخراجهم ، فجعلوا يخرجون ويبايعونه فما تتامَّ آخرهم حتى جعلوا يُغلظون له .

حدثني أبو خَيْثَمة زهير بن حرب حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنا أبي عن مصعب بن يزيد قال : لما مات يزيد بن معاوية نعاه ابن زياد وقال : آختاروا لأنفسكم ، قالوا : قد رضينا بك ، ثم خرجوا فجعلوا يمسحون أيدِيَهم بجُدُر دار الإمارة ويقولون : هذه بيعة ابن مَرجانة ، واجترأ الناس عليه حتى جعلوا يأخذون دوابّه من مَرْبطه .

حدثني أحمد بن إبراهيم وخَلَف بن سالم قالا حدثنا وهب بن جرير حدثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن سُمَير أنّ شَقيق بن ثَوْر ، ومالك بن مِسْمَع ، وحُضين بن المنذر أتوا ابن زياد وهو في دار الإمارة ليلاً ، قبل أن يتحوّل إلى مسعود بن عمرو ، فأقاموا عنده عامّة ليله ثم خرجوا ومعهم بغل مُوقر مالاً ، فقال رجل من بني سَدوس : خوّفْتُهم بأن أُنادي إنّ فلاناً وفلاناً قد اجتمعوا في دمائكم ، فأعطوه خمسمائة درهم .

وحدثني أبو خَيْثَمة وأحمد بن إبراهيم قالا : حدثنا وهب بن جرير حدثنا القاسم بن الفضل الحُدّاني قال : أخرج ابن زياد الحَروريّة من السجن حين طُلب إليه ، فخرجوا مع نافع بن الأزرق فعسكروا بالمِرْبَد ، فلما رأى ذلك ابن زياد خافهم على نفسه ، فعرض نفسه على أشراف أهل البصرة فكرهوا وأبوا أن يقبلوه ، فأرسل إلى الحارث بن قيس ، فمضى به إلى منزل مسعود .

وحدثني أبو خيثمة وأحمد بن إبراهيم قالا حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن الزبير بن خِرّيت عن أبي لبيد عن الحارث بن قيس قال ، قال ابن زياد : إنّي لأعرف سُوء رأيٍ كان في قومك ، ولكّنهم قوم كرام كان بلاؤهم عند أبي جميلاً ، فرققت له فأردفته على بغلي ليلاً ، وأخذت به على بني سُليم ، فقال : من هؤلاء قلتُ : بن سُليم ، قال : سَلِمنا إن شاء الله ، ثم مررنا ببني ناجية وهم جُلوس ومعهم السلاح ، وكان الناس يومئذ يتحارسون فقال رجل منهم : هذا والله ابن مرجانة خَلْف الحارث بن قيس فرماه بسهم وقع في كَور عمامته ، فقال : يا أبا محمد من هؤلاء ؟

قلتُ : الذين كنت تَزعم أنّهم من قريش ، هؤلاء بنو ناجية فقال : نَجوتُ إن شاء الله .

قال وهب : وحدثني القاسم بن الفضل الحُدّاني بِنَحْو هذا الحديث . وزاد فيه : ومررنا ببني طاحية فوثبوا علينا وتشبثّوا بنا حتى افتدينا منهم بشيء .

وحدثني أبو خيثمة وأحمد بن إبراهيم قالا: حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن الزبير بن خِرّيت عن أبي لبيد عن الحارث بن قيس قال : قال لي ابن زياد : إنّك قد أحسنت وأجملتَ ، فهل أنت صانع ما أُشير به عليك ؟ قد عرفتَ منزلة مسعود بن عمرو وشَرَفه وسِنّه وطاعة قومه له ، فهل لك في أن تذهب بي إليه فأكون في داره فهي في وسط الأزد ؟ قال : فانطلقت به فما شعر مسعود بشيء حتى دخلنا عليه وهو جالس يوقَد له بقَصَب على لبنةٍ ، وهو يعالج خُفَّيْه حتى خلع أحدهما وبقي الآخر ، فلما نظر في وجوهنا عرفَنا فقال : إنّه كان يَتَعوَّذ من طارق السَوْء وإنّكما لَمِن طارق السوء ، قال الحارث : فقلنا أتُخرج رجلاً قد دخل إليك متعوّذاً بك ؟ قال : فأَمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود وامرأته خَيْرة بنت خُفاف بن عمرو ، ثم ركب مسعود من تَحْتِ ليلته ومعه الحارث وجماعة من قومه فطافوا في الأزد وهم في مجالسهم فقالوا : إنّ ابن زياد قد فُقِد ولا نأمن أن تُلطَخوا به ، فأصْبِحوا في السلاح ، فأصبحت الأزد في السلاح ، وفَقَد الناس ابنَ زياد فقالوا : أَيْن توجّه ؟ وما هو إلاّ في الأزد ؛ فقالت عجوز من بني عقيل : اندحسَ والله في أَجَمَة أبيه ـ يعني الأزد ـ لأن أباه كان فيهم أيّام دار ابن الحَضْرَمي .

قال وهب فقال جرير بن حازم : أقبلت الحَرورِّية إلى الأزد فخرجوا إليهم فقاتلوهم حتى نفوهم ، ومرج امرُ الناس .

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير حدثنا غسّان بن مضر عن سعيد بن يزيد أنّ ابن زياد قال لمسعود في بعض الليالي : آبعث إليَّ رجلاً من الأزد نستشيره ، فبعث إلى رجل منهم يقال له حدش الأعور ، فجاء يجرّ مِلْحَفته ، فقال له مسعود : هذا ابن زياد وقد بعث إليك يستشيرك ، فقال لابن زياد : والله ما أتيتَنا لمعروفٍ صنعتَه إلينا ، ولقد كنت تُقْصينا وتُهيننا وتَذمّنا وتقع فينا ثم لم تَرْضَ حتى جئتنا لُتهريقَ دماءنا، ثم أقبل على مسعود فقال له : أيْها الشيخ الأحمق آدفنْ هذا ولا تُرِهِ أحداً من الناس حتى تدسَّه فينطلقَ فيكون كطائرٍ وقع ثم طار ، فقال ابن زياد : أين كنّا عن مثل هذا الرأي قبل اليوم ؟ فأخرجه في نحوٍ من ستّين أو سبعين من الأزد معه .

حدثنا أبو خيثمة حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن الزبير بن خِرّيت عن خيرة بنت خُفافٍ قالت : كان ابن زياد يُقبل عليَّ فيشكو بَثَّهُ وهو في حَجَلتي ، فاذا اتته امرأته هند بنت أسماء الفزارّية ضاحكها وحدّثها وذهب عنه الهَم حتى كأنّه لم يصبه شيء ، وكان أرفق الناس كفّاً ، رقعتُ يوماً ثوباً لي فقال : ما أرى لك رِفقاً ، وأخذه فعالجه فإذا أَرْفَق الناس .

حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن الزبير بن خِرّيت قال : بعث مسعود مع ابن زياد مائة عليهم فَرْوَة بن عمر حتى قدموا به الشام .

وحدثني أبو خيثمة حدثنا وهب عن أبيه عن الزبير بن خِرّيت قال : أقام ابن زياد عند مسعود نحواً من ثلاثة أشهر .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن الزبير بن خِرّيت عن أبي لبيد أنّ أهل البصرة اجتمعوا فقلّدوا أمرهم النعمان بن صُهبان الأزدي ثم الراسبي ، ورجلاً من مضر ، ليختارا لهم رجلاً يولّونه عليهم ، فقالوا : من رضيتماه لنا فقد رَضينا به ، قال وهب : وقال غير أبي لبيد : إنّ الرجل قيس بن الهيثم السُلَمي ، قال : وكان رأي المُضري في بني أميّة ، ورأي النعمان في بني هاشم ، فقال النعمان للمضري : ما أرى أحداً أولى بهذا الأمر من فلان ، يعني رجلاً من بني أميّة ، قال : أَوَذاك رأيك ؟ قال : نعم قال : فقد قلّدتك أمري ورضيتُ بمن رضيتَ به ، ثم خرجا إلى الناس فقالوا لهما : ما صنعتما ؟ فقال المضري : رضيتُ بمن رضي به النعمان فمن سمّى فأنا راضٍ به ، فقال الناس للنعمان : ما تقول ؟ فقال : ما أرى أحداً غير عبدالله بن الحارث يعني بَبّة ، فقال المضري : ما هذا الذي سمّيتَ فقال : إنّه لَهُوَ ، فرضي الناس بَبّة وبايعوه .

قال وهب:فحدثني ابن أبي عُيينة عن سَبْرة بن النَّحْف قال : بايعوا عبدالله بن الحارث ، وغدت الأزد مع مسعود للبيعة .

وحدثني خَلَف بن سالم المَخْزومي حدثنا وهب بن جرير حدثنا غسّان بن مُضَر عن سعيد بن يزيد عن إبراهيم بن عبدالله قال : سارت الأزد وربيعة حتى أتوا المسجد ، وصعد مسعود بن عمرو المنبر ، ثم خرج وخرجنا فإذا بمسعود على بغلته وقد ازدحم الناس عليه حتى سقط ، وأقبل ابن الأزرق من قبل بني سُليم في نحو من أربعين يحكّمون ، فقصدوا له فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه ، قال خَلَف:قال وهب : فكان يقال إنّ الأحنف بعث إلى الخوارج فحرّضهم عليه .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن القاسم بن الفضل الحُدّاني قال : لما بايعوا عبدالله بن الحارث انطلقت الأزد مع مسعود للبيعة ، ووقفت بكر بن وائل بالمِرْبَد ، فلما كان الغد أراد بنو بكر أن ينطلقوا للبيعة فأتاهم ناس من قومهم حروريّةٌ فقالوا : لا تنطلقوا فإنّا نخاف عليكم الحروريّةَ إلّا أن ينطلق معكم الأزد ، فكلّمت ربيعة مسعوداً في ذلك ، فقال له عبدالله بن حَوْذان : ألا تسير معهم ؟ قال : قد بايعنا أمس ووقفوا بالمِرْبَد فدَعْهم فلينطلقوا ونقف لهم بالمِرْبَد ، فإن أتاهم شيء أعنّاهم وأغثناهم ، فقالوا لمسعود : لابدّ من أن تسير معنا ، فقال له ابن حوْذان : والله لَئِن ذهبتَ لا ترجع ، والله لا أسير معك ، فإنّا لم نخرج أمس حتى ظنّنا أنّك لا ترجع ، فسار مسعود معهم ، وتخلّف ابن حَوْذان ، وناس من الأزد ، فلما كان مسعود بالرحبة ازدحم الناس عليه فلم يشعر حتى أتاه قوم من الحروريّة فقتلوه ، وهرب الناس .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثني وهب بن جرير عن أبيه عن مصعب بن يزيد قال : كان مسعود يدعو إلى بني أميّة وقد بايعه قوم ، وكانت الخوارج قد ظهرت بالبصرة وكانت تطلبه ، فقتله قوم منهم وقد انصرف من المسجد ، فلما انصرفت الأزد وجدته في بني مِنْقَر وقد مُثِل به ، فرُميت به بنو تميم ، فاقتتلوا ثم اصطلحوا ، واجتمع أهل البصرة على عبدالله بن الحارث بَبّة ، فبايعوه ، ثم إنّه كثر الشرّ والقتال فاعتزلهم .

حدثنا خَلَف بن سالم حدثنا وهب بن جرير عن محمد بن أبي عُيينة قال : حُدّثت أنّ مسعوداً لما قُتل اجتّرته بنو منقر إلى دُور بني إبراهيم فأصبح وقد مُثِل به وأصبحت بنو تميم تُرْمى بقتله .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب أخبرني القاسم بن الفضل الحُدّاني عن أشياخه قالوا : لما قُتل مسعود جعلت الأزد زيادَ بن عمرو العَتَكي رئيساً عليهم ، والمُهَلَّبُ بن أبي صُفرةَ يومئذٍ غائب ، فلما قدم أتاه زياد فقال له : إنّي قد كفيتك أمر قومك ما غِبْتَ ، فأمّا إذ شهدتَ فشأنك بهم ، وجاءت الأزد فدخلت على المهلّب فقال لهم : أَلْجَأْتُم هذا العبد وناوَيْتم أهلَ بلدكم ، فغضبت الأزد وقالت : إنّما سّيدنا من غضب لغضبنا ورضي لرضانا ، ثم انطلقوا فشقَّ ذلك على المهلّب ومضى إلى ابن الزبير وأظهر أنّه كاتَبَهُ في القدوم عليه ، واجتمعت تميم إلى الأحنف فقالوا : إنّ الأزد قد اجتمعت علينا ولابدّ من أن تليَ أمرنا فقال : لا إلّا أن تجعلوا الأمر إليَّ فيما امضيتُه قبلتموه وأُمضيتموه ، اتُّهمتم بقتل مسعود ولم تنتفلوا من دمه ، فولُّوْه أمرهم فسار بهم إلى المِربْدَ ، واجتمعت الأزد وبكر بن وائل فاقتتلوا ثم تواقفوا ، فبعث الأحنف إلى زياد بن عمرو أن هَلُمَّ فرُسّوا بيننا صلحاً ، وبعثوا بالغَضْبان [بن] القَبَعْثَرَى الشيباني فأتى الأحنفَ فقال : تدي قتلاهم ، وتهدر قتلاك ، وتدي مسعوداً بمائة ألف ، فقال الأحنف : أمّا قتلانا فندعهم وأمّا قتلاهم فنديهم ، وأمّا دية مسعود فكدية رجل مسلم .

وحدثني أحمد بن إبراهيم وأبو خيثمة زهير بن حرب قالا : حدثنا وهب بن جرير أنبأنا حمّاد بن زيد أنبأنا خالد الحَذّاء عن المثنّى بن عفّان قال : رأيت الأحنف يطوف في المسجد على الحَلَقِ وهو يقول : إنّكم تلقون عدوّكم غداً فاْصبروا فإنّهم يألمون كما تألمون .

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب حدثنا محمد بن أبي عيينة قال : حُدّثت أنّ الأحنف قال : يا معشر الأزد آتقوا الله فإنا والله ما نحن قتلنا

مسعوداً إنّما قتله الخوارج ، قالوا : فإنّا وجدناه عندكم في دوركم وما نطلب به إلّا من وجدناه عنده قتيلاً وفي داره ، قال الأحنف : فما الذي يُرضيكم ؟ قالوا : واحدة من ثلاث ، ترحلون فتلحقون ببواديكم وتخلّون بيننا وبين المصر ، أو تقيمون الحرب بيننا وبينكم حتى تكون الدار لنا أو لكم ، أو تدون مسعوداً عشر ديات وتهدرون قتلانا وتدون قتلانا ، فقال الأحنف : أمّا هذه فقد قبلناها ، وأما الأُخريان فلا ، فدعا لها أُناساً من قومه فأبوا أن يحملوها ، فدعا لها إياس بن قَتادة فتحمّلها وأدّاها كلّها من عطائه وأُعطيات قومه وأمواله ، فقال الفرزدق :

ومِنّا الذي أَعْطَى يَدَيْهِ رَهينةً ... لِغار نِزارٍ يَوْمَ ضَرْبِ الجَماجِمِ
كَفَى كُلَّ أُمٍّ ما تَخاف على آبْنِها ... وهُنَّ قِيامٌ رافِعاتُ المَعاصِمِ

قال : وكان الأحنف قام في قومه يحرّضهم على الأزد في الليلة التي اقتتلوا في صبيحتها فكان ذلك مما تُعُلِّقَ به عليه .

وحدّثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب عن القاسم بن الفضل الحُدّاني عن أشياخه قالوا : لم يزالوا في أمرهم وقد أبوا أن يدوا مسعوداً إلّا دية رجل من المسلمين حتى قدم القباع وهو الحارث بن عبدالله المَخْزومي ، أميراً من قبل عبدالله بن الزبير، فأُخبر بأنّ الأحنف كره أن يحمل دية مسعود مائة ألف ، فقال : قد تحمّلتها من بيت المال ، فقالت له الأزد : فمن يقوم لنا بذلك ؟ فدعا الأحنف إياس بن قَتادة وهو ابن اخته فاصطلح الناس وودَوْا قتلى الأزد وهدروا قتلاهم ، وأَعطى القُباع ـ وهو الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة ـ مائةَ ألف درهم من بيت المال فقام بذلك إياس بن قَتادة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن الزبير قال : وليهم عبدالله بن الحارث بَبّة أربعة اشهر ، وخرج نافع بن الأزرق إلى الأهواز فقال الناس لبَبّة : قد أكل بعض الناس بعضاً ، تُؤخَذ المرأة من الطريق فتُفضح فما يمنعها أحد ، قال : فتريدون ماذا ؟ قالوا : تشهر سيفك وتبسط يدك ، فقال : ما كنت لأُصلح أمركم بفساد أمري ؛ ثم انتقل ولحق بأهله وأمَّرَ الناس عليهم عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر التَيْمي أخا عمر بن عبيدالله .

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن صَعْب بن يزيد أنّ الطاعون الجارف وقع بالبصرة وعبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر التيمي عليها ، فماتت امّه فما وجدوا من يحملها حتى استأجروا لها أربعة أعلاج فحملوها إلى حُفْرتها ، وهو الأمير يومئذ .

وقال هشام بن الكلبي : صلّى بهم بَبّة أشهراً ثم أمرّوا عليهم عمر بن عبيدالله فاستخلف أخاه .

قالوا : وكان من موالي آل أبي سفيان بن حرب عبدالله بن هُرْمُز مولى عنبسة وكان على ديوان الجند زمن الحجّاج ثم ولدُه من بعدِه ، وله يقول القائل :

أعـوذُ بِـالله الأَحَـدْ مِنْ هُرْمُزٍ ومـا وَلَـدْ

وكان قدرهم بالبصرة عظيماً وكان لهم يسار ، وعبدالله بن درّاج مولى معاوية ولاّه خراج الكوفة مع مَعونتها وكان قدم مكة أَيّامَ ابن الزبير فقتله ، فقال ابن الزَّبير الشاعر :

أَيُّهـا العائِـذُ في مَكَّـةَ كَمْ مِنْ دَمٍ تَسْفِكُهُ مِن غَيْرِ دَمْ
أَيِـدُ عـائِـذَةٌ مُـعْـصِـمَـةٌ ويَدٌ تَقْتُلُ مَنْ جاءَ الحَرَمْ

وولد سفيان بن أمية[1]

الحارث ، وطليقا ، وحَمْنة وهي أمّ سعد بن أبي وَقّاص ؛ وكان لسفيان قدر في زمانه ، وكان حكيم بن طليق من المُؤَلَّفة قلوبُهم ، أعطاه النبيّ ﷺ يوم حُنين مائة من الإبل ، وكان له ابن يقال له مُهاجر تزوّج ابنته زياد بن سُميّة فدرج عقبُه .

وكان من بني أبي سفيان بن أمية :

[سفيان بن] أميّة بن أبي سفيان بن أميّة ، وهو الذي قدم بموت عليّ عليه السلام إلى الحجاز .

١ ـ بهامش الأصل : صح ، وهذا معطوف على ما رتبه في أول نسب بني أمية ، فلا يتوهم خلل .

وولد العاص بن أمية :

سعيداً ابا أُحَيْحة ، وأمَّ حبيب تزوّجها عمر بن عبيدالله بن أبي قيس من بني عامر بن لُؤيّ خلف عليها بعد أخٍ له ؛ وكان أبو أُحَيْحة عظيم القدر عزيزاً في قومه وكان إذا اعتمّ لم يعتمَّ أحدٌ بمكة بلون عمامته إعظاماً له ، وكان يقال له ذو التاج وذو العمامة ، وكان عظيم النَخْوةِ وأدرك النبيّ ﷺ ، فلما احُتضر بكى فقال له أبو جَهْل وأبو لَهَب : ما يُبكيك ؟ فقال : والله ما أبكي جَزَعاً من الموت ولكن أخاف أن يُعبَدَ إلهُ ابن أبي كبشة بعدي ، فأبكي على العُزَّى ومفارقتها ، ومات فدُفن بالظُّرَيبة . وأمّ أبي أُحَيْحة رَيْطة بنت البَيّاع بن عبد ياليل من كنانة .

فمن ولد أبي أحيحة :

أُحيحة بن سعيد ، قُتل يوم الفِجار ، قتلته خُزاعة وله عقب ، وأمّه هند بنت المغيرة ؛ والعاص بن سعيد ، وعبيدة بن سعيد قُتلا يوم بَدْر

كافرين ، فأمّا عبيدة فقتله الزبير ، وأمّه صَفيّة بنت المغيرة ، وأمّا العاص فقتله عليّ بن أبي طالب وأمّه هند بنت المغيرة .

وخالد بن سعيد بن العاص :

ويُكنى أبا سعيد وأمّه ثَقَفيّة وكان قديم الإسلام ، رأى في منامه كأنّه وقف على شفير جهنّم فذكر من نَعْتها ما الله به أعلم ، ورأى كأنّ اباه جعل يدفعه فيها ورسول الله ﷺ آخذٌ بحَقْويه لِئلاّ يقع فيها ، فلقي أبا بكر فأعلمه فقال له أبو بكر : تدرك خيراً ، هذا رسول الله فاتّبِعْه فإنّ الإسلام هو الذي يمنعك من الوقوع في النار ، وأبوك واقع فيها فإن أطعتَه واتّبعتَه كنتَ معه ، فلقي خالد رسول الله ﷺ فقال له : يا محمد إلى ما تدعو؟ فقال : إلى الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله وخَلْعِ ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضرّ ولا يعرف من عَبَده ممَن لم يعبده ، فقال خالد : فإنّي اشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله ، فسُرّ النبيّ ﷺ بإسلامه . ويقال انّه رأى ناراً خرجت من زمزم فملأت الأُفقين وسمع قائلاً يقول : هلكت اللاّت والعُزّى ، فأتى النبيَّ ﷺ فقصّ عليه رُؤْياه ثم أسلم ؛ ولما أسلم خالد تغيّب ، وبلغ أباه خبره فأرسل في طلبه إلى الطائف فلم يوجد بها فأُخبر أنّه بأعلى مكة في شِعْب أبي دُبّ الخُزاعي ، فأرسل إليه أبانَ وعمراً أخويه ورافعاً مولاه فوجدوه قائماً يصلّي ، فأتوه به فأنّبه وبكّتَه وضربه بعَصاً كانت معه حتى كسرها وقال : اتّبعْتَ محمداً وأنت ترى خلافة لقومه وما جاء به من عيب آلِهَتِهِم والزَرْي[1] على من مضى من آبائهم، وزعمه

---

١ ـ بهامش الأصل : «والازراء» .

أنّ بعد موتهم ناراً يخلدون فيها ، فقال خالد : قد اتّبعتُه وهو والله صادق ، فقال : أَو تُصدّقه أيضاً ؟ فحدّثه رؤياه فشتمه أبو أُحَيْحة وقال : آذهب يا لُكَع حيث شئت فوالله لأَمنعنَّكَ القُوت، وأَمر بنيه أن لا يكلموه، ولقي أبا سفيان بن حرب فقال له : هدمتَ شَرفك ، قالِ : بل شيّدتُه وعمّرته ، فقال : أنت غلام حدث ولو بُسِط عليك العذاب لأَقْصرتَ ، فانصرف خالد فلزم رسول الله ﷺ ، وكثُر تأْنيب قريش له ، ودخل أبو جهل على أبي أُحَيْحة فقال له: والله ما أدري أَضعفتَ أَمْ ضجعت الرأيَ أَمْ ادركَتْك المنافيّة، فقال أبو أُحَيْحة : والله لقد غاظني أمر محمد وإنّه لأَوسطنا نسباً ، ولقد نشأ صادقَ الحديث مؤَدّياً للأمانة ، ولقد جاء بدينٍ مُحْدَثٍ فَرَّقَ به جماعتنا وشَتَّتَ أمرنا وأَذهب بَهاءَنا ، ولَئِن صَدَقَني ظَنّي فيه ليخرجنّ إلى قوم يَقْوَى بهم علينا ، فقال أبو جَهْل : لا تقل هذا فما الفرج لنا إلاّ في خروجه عنّا وتحوّله من دارنا حتى تعود أُلْفَتُنا .

ورُوي عن أمّ خالد بنت خالد بن سعيد أنّها قالت : كان أبي خامساً في الإسلام ، تقدّمه ابن أبي طالب وزيد بن حارثة وابن أبي قحافة وسعد بن أبي وقّاص .

قالوا : وقدم عثمان بن الحُوَيْرِث بن أَسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ على قيصر ، وكان قد رفض الأَوثان ومات على النصرانيّة ، فكان ترجمانُ قيصر يحرّف ما يقولُ له عثمان فلا يرى عند قيصر ما يحبّ ، فبينا هو يمرّ يوماً في مدينة قيصر إذ سمع رجلاً في زِيّ الروم يتكلّم بالعربيّة وينشد بيتاً فقال له : يا هذا ممّن أنت ؟ قال : أنا عربيّ من بني أَسد فآكتم ما سمعتَ ، فشكا إليه جَفْوة قيصر فقال : قد بلغني خبرك ، وإنّما تُؤْتَى من الترجمان ، فدخل عثمان

على قيصر فدعا له الترجمانَ فقال : قل للملك إنّ الكَذوبَ الفاجرُ الغادرُ ، قال الملك: هِيه، فالتزم عثمانُ الترجمانَ يريد أنّه الموصوف بهذه الصفة ، فقال : إنّ لهذا العربيّ لقصّة ، فدعا له ترجماناً آخر فكلمه وأدّى عنه إلى قيصر فقال : إنّي ضارب للملك ضريبة على قريش يؤدّونها إليه كلَّ عام إذا جاؤوا بتجاراتهم، فأتى مكّة فقال لقريش وغيرها : إنّ قيصر يأمركم أن تجعلوا له ضريبة عليكم وإلاّ منعكم من الدخول إلى بلاده ، فزبروه وأغلظوا له وعابوا دينه ، وكان أشدّهم عليه أبو أُحَيْحة والوليد بن المغيرة ، ثم إنّ أبا أُحَيْحة قدم الشام ومعه أبو ذُؤَيب هشام بن شُعبة بن عبدالله بن أبي قيس أحد بني عامر بن لُؤَيّ ، وكان أبو ذُؤَيب ابن اخته ، فسعى بهما عثمان إلى قيصر وقال : إنّ هذين اعترضا عليّ وحملا قريشاً على مخالفتي ، فحبس قيصر أبا أُحَيْحة والوليد وعدّةً من قريش ، فمات أبو ذُؤَيب في الحبس ، وتكلّم عثمان في الباقين فخُلّوا ، فقالت أَرْوَى بنت الحارث بن عبد المطّلب :

أَبْلِغْ لَدَيْكَ بني عَمّي مُغَلْغَلةً … حَرْباً وعفّانَ أَهْلَ الصِيتِ والحَسَبِ
وآبْنَيْ رَبيعَـةَ والأَعْياصَ كُلَّهُمُ … وآعْمُمْ بني عَبْدِ شَمْسٍ سادَةَ العَرَبِ
ما لي أَراكُمْ قُعوداً في بُيوتكُمُ … وَخَيْرُكُمْ مِنْكُمُ لِلجارِ ذي الجنبِ
وذو الحِفاظِ على جُلِّ الأُمورِ إِذا … نابَتْ نَوائبُها في شِدَّةِ الكُرَبِ
أبو أُحَيْحَة مَحْبوسٌ لدى مَلِكٍ … بالشام في غيرِ ما ذَنْبٍ ولا رِيَبِ
لو كان بَعْضُكُمُ في غيرِ مَحْبِسهِ … أَلْفَيْتُموهُ شَديـدَ الهَمِّ والنَصَبِ
إنَّ الذي صَدَّهُ عَنْكُمْ وثَبَّطَكُمْ … عَبْـدٌ لِعَبْـدٍ لَئيمٍ حَقُّ مُجْتَلَبِ
لو كان مِنْكُمْ صَميماً في أَرومَتِكُمْ … لَشَفَّهُ ما عَناكُمْ غَيْرَ ما كَذْبِ

ومن ولد أبي أحيحة .

عمرو بن سعيد بن العاص ويكنى أبا عتبة ، سمع قول أخيه خالد ودعاه إلى الإسلام ، فأتى رسول الله ﷺ فأسلم ، وهاجر خالد وعمرو إلى أرض الحَبَشة وأقاما بها حتى قدما مع أصحاب السفينتين حين قدم جعفر بن أبي طالب ، فوافوا رسول الله ﷺ بخَيْبَر ، وكلّم رسول الله ﷺ المسلمين في خالد وعمرو فأسهموا لهما في الغنيمة .

ويقال إنّ خالداً هاجر إلى الحَبَشة ثم أتى عمرو النبيَّ ﷺ فأسلم ولحق بخالد بالحَبَشة ، وولّى رسول الله ﷺ خالداً صدقات اليَمَن ، ويقال : ولّاه أمر بني زُبَيْد خاصّة ، فتُوفي رسول الله ﷺ وهو باليَمَن وقدم منها بعد أن بويع أبو بكر ، فكان جالساً في بيته نحواً من ثلاثة أشهر ، فمر عليه أبو بكر مُظهراً وهو في داره فسلّم فقال : أتحب أن أبايعك ؟ قال أبو بكر : أحبُّ أن تدخل فيما دخل فيه الناس ، فقال له : مَوْعِدك العشيّةَ ؛ فجاءه وهو على المنبر فبايعه ، وكان قال حين قدم من اليَمَن لعليّ وعثمان : أرضيتم يا بني عبدَ مناف بأن يَلي عليكم الأمْرَ غيرُكم ؟ فاحتملها أبو بكر ، وحقدها عمر رضي الله عنهم ، واستشهد خالد يوم مَرْج الصُفَّر بالشام ، ويقال انّه استُشهد يوم اليَرموك ، وكان مّمن كتب لرسول الله ﷺ . ووهب عمُرو بن مَعْدي كَرِب لخالدٍ سيفَهُ الصَمصامة وقال :

حَبَوْتُ بِهِ كريماً من قُرَيْشٍ   فسُرَّ به وصينَ عَنِ اللِئام[1]

فأعطاه خالد خاتم ذهب كان عليه .

---

١ ـ شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي ـ ط . دمشق ١٩٧٤ ص ١٤٩ .

وولّى رسول الله ﷺ عمرو بن سعيد قُرَى عربية منها تَبُوك وخَيْبَر وفَدَك واستُشهد يوم أجْنادين بالشام ، ويقال : يوم فِحْلٍ بالأرْدُنّ ، وأمّه صَفيّة بنت المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم .

وأبان بن أبي أحيحة :

ويكنى أبا الوليد وأمّه صَفيّة بنت المغيرة وكان مقيماً بمكة حتى قدم خالد وعمرو ابنا أبي أُحَيْحة من أرض الحَبَشة ، فكتبا إليه يدعُوَانه إلى الإسلام فأجابهما وخرج حتى أتى المدينة مسلماً ، وصار معهما إلى خَيْبَر ، وكان أبان أجار عثمان بن عفّان وأنزله حين دخل مكة في عمرة القضيّة ، وأبان يومئذ كافر ، ولما رأى أبو أُحَيْحة أنّ عمراً وخالداً قد أسلما غمّه ذلك ، فشخص إلى الطائف فاعتزل في مال له هناك ، ومات بعد الهجرة بسنة أو سنْتَين وله تسعون سنة ، فلما غزا رسول الله ﷺ الطائف رأى أبو بكر قبر أبي أُحَيْحة مشرفاً قال : لعن الله صاحب هذا القبر فإنّه كان ممن يحادّ الله ورسوله ، فقال ابناه عمرو وأبان ، وهما مع رسول الله ﷺ : بل لعن الله أبا قُحافة فإنّه كان لا يَقْرِي الضيف ولا يمنع الضَيْم ، فقال رسول الله ﷺ : «سَبُّ الأَمْوات يُؤذي الأَحياء فإذا سببتم فعُمّوا» .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن ابن خَرَّبوذ عن مشايخ أهل مكة أنّ أبا أُحَيْحَة مات بالظُرَيْبَة ، وكان عمرو وخالد ابناه مهاجرين بالحَبَشة ، فكتبا إلى أبان أخيهما يدعوانه إلى الإسلام واللحاق بهما فقال :

أَلا ليتَ مَيْتاً بِالظُرَيْبَةِ شاهِدُ ... لِما يَفْتَري في الدينِ عَمْروٌ وخالِدُ
أَطاعا بنا أَمْرَ الغُواةِ فأَصْبَحا ... يُعينانِ مِنْ أَعْدائِنا ما نُكابِدُ

فأجابه خالد :

أخي ما أخي لا شاتِمٌ أنا عِرْضَهُ ... ولا هُوَ عن سُوءِ المَقالَةِ يُقْصِرُ
يَقولُ إذا شَدَّتْ عليه أُمورُهُ ... ألا ليت مَيْتاً بِالظُّرَيْبَةِ يُنْشَرُ
فدَعْ عَنْكَ مَيْتاً قد مضى لِسَبِيلِهِ ... وأَقْبِلْ على الحَقِّ الذي هو أَحْضَرُ

فأسلم حين قدم أخوه من الحَبَشة مع جعفر بن أبي طالب ، ولحق برسول الله ﷺ وولّاه رسول الله ﷺ واستُشهد أبان يوم أَجْنادَيْن بالشام ؛ وقال بعضهم : تُوُفي في سنة تسع وعشرين ، وقيل إنّه توفيّ يوم فِحْل بالشام ، والأوّل أثبت .

ومن ولد أبي أُحَيْحَة سعيدُ بن سعيد بن العاص :

وأمّه هند بنت المُغيرة أخت صفّية أمّ عمرو ، فلحق سعيد بالمدينة بعد أبان فقلّده النبيّ ﷺ بعض أمره ، واستُشهد مع رسول الله ﷺ يوم الطائف .

والحَكَم بن أبي أُحَيْحَة :

وأمّه هند بنت المُغيرة ، لحق بإخوته مسلماً قبل الفتح فسمّاه رسول الله ﷺ عبدالله وجعله يعلّم الحِكمة بالمدينة واستُشهد يوم مُؤْتَة ، ويقال يوم اليَمامة ، ويقال إنّه تلقّى رسول الله ﷺ مسلماً فيمن تلقّاه وهو يريد مكة .

وكان لأبي أُحَيْحة فيما ذكر غيرُ الكلبي ابن يقال له عَيّاش درج .

ومن بني أبي أحيحة :

سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن اميّة ، وأمّه أمّ كلثوم من ولد عامر بن لُؤيّ ، ويكنى أبا عثمان ، ويقال أبا عمرو ، وكان جَواداً مُبرِّزاً ، وولّاه عثمان بن عفّان الكوفة فقال : ويل للأشراف منّي وقال : انّما السَواد بستان لقريش ، فأخرجه أهلها عنها ، وولّاه معاوية المدينة وولّاه المَوْسم ، وفيه يقول الحُطيئة[1] :

سَعيدٌ وما يَفْعَل سعيدٌ فإنَّهُ نَجيبُ فَلاهُ في الرِباطِ نَجيبُ
سَعيدٌ فلا يَغْرُرْكَ قِلَّةُ لَحْمِهِ تَخَدَّدَ عنه اللَحْمُ وهو صَليبُ
إذا غاب عَنّا غاب عَنّا رَبيعُنا ونُسْقَي الغَمامَ الغُرَّ حينَ يَؤوبُ

وكان سعيد آدم خفيف اللحم لا ينزع قميصه ، ومات في سنة تسع وخمسين فقال فيه إبراهيم بن متّمم بن نُويرة .

فِدىً لِسعيدٍ مِنْ أَميرٍ وخُلَّةٍ ردائي وما ضمَّتْ عليهِ الحَمائِلُ
أَتاني ورَحْلي بِالشَرَبَّةِ[2] أَنَّهُ تُوُفِّيَ والأَخبارُ حَقٌّ وباطِلُ
فَأَصْبَحتُ لا أدْري أَحَيٌّ بِغِبْطَةٍ فَأَفْرَحَ أَمْ غالَتْهُ ثَمَّ الغَوائِلُ

وحدثني محمد بن الأعرابي عن المفضّل الضَبّي أنّ عُبيد بن الحُصين الراعي لما مدح سعيداً بقصيدته التي يقول فيها :

كَريمٌ تَعْزُبُ العِلّاتُ عنهُ إذا ما حان يوماً أَنْ يُزارا[3]

---

١ ـ ديوان الحطيئة ـ ط . دار صادر بيروت ص ٨٧ .
٢ ـ الشربة : موضع بين السليلة والربذة . معجم البلدان .
٣ ـ ديوان الراعي النميري ط . بيروت ١٩٨٠ ص ١٤٤ .

قال لوكيله : كم عندك ؟ قال : ثلاثة آلاف دينار ، قال : آدفعها إليه ، واعتذر من قلّتها .

وكان سعيد بن العاص حين قُتل أبوه العاص بِبَدْر صغيراً فكفله عمّه الحَكَم بن سعيد ، فرآه رسول الله ﷺ معه بالمدينة أو بمكة في أيّام الفتح فقال له : مَن هذا الصبيّ ؟ قال : ابن أخي ، فمسح رسول الله ﷺ رأسه ودعا بثوب يمانٍ مُسَهَّم فكساه إيّاه ، فقُطعت له منه جُبّة ، فسُمّي كلّ ثوب مسهّم مُذ ذاكَ سعيدياً بسعيد بن العاص ، ويقال إنّه كساه جُبّة مسهّمة مَخيطة .

وقال هشام بن الكلبي : كان سعيد يوجّه في كلّ قليلٍ إلى اليَمَن فيُعمل له ثياب مسهّمة تبرّكاً بكسوة رسول الله ﷺ ، فكان يلبسها ويكسو منها ويُهْدي .

وحدثني العُمَري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش عن رجل من آل سعيد بن العاص أنّ الجُبّة التي كانت لسعيد من كسوة النبيّ ﷺ لم تزل عنده حتى دُفنت معه .

وحدثني المدائني عن أبي اليقظان قال : كان سعيد بن العاص أوّل من خَشّ[1] الإبل - والخَشّ أن تُجعل البُرَة في جَوْف عَظْم الأَنْف ، وهو الخشاش - وذلك لأنّه كان يسير إلى معاوية فجذب زمام ناقته فانخرمت البُرة ، فآلى أن لا يركب بعيراً إلّا وفي يده عَظْم منه ، فخشّ إبله .

المدائني عن ابن جُعْدُبة عن أبي الزناد قال : قال عبدالله بن الزبير : أرسل الزبير إلى سعيد بن العاص يسأله قرض مائة الف درهم فبعث بها

١ - الخشاش : ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب .

إليه ، فلما قُتل الزبير قلتُ لسعيد : اقبِضْ مالك فإنّه بِخواتيمه ، قال : ابعثْ به ، قلت : أحبّ أن تتولّى قبضه ، فلما صار إليّ أخرجت المال إليه فقال : ما تريد ؟ قلت : أريد أن تدعه ، فتركه ولم يأخذ منه درهماً .

وحدثني عبدالله بن صالح العِجْلي قال : سمعت سفيان بن عيينة قال : كُلِّم سعيد بن العاص في يتيم كان يمونه أن يزوّجه فقال : والله ما عندي ما يحتاج إليه لتزويجه فادّانوا عليَّ ما يُصلحه ، فاستقرضوا عشرة آلاف درهم ، فأتوا ابنَه عمرو بن سعيد وهو الأشدق حين مات فأخبروه بالقصّة فقال : سبحان الله والله لو أنّها مائة ألف لقضيتُها فقضاها .

قال : وكان سعيد يُسأل المال بالغاً ما بلغ مما يُسأله مِثْلُه ، فإذا لم يكن عنده مال قال لِسائِله : اكتبْ عليَّ ذكر حقّ .

وحدثني منصور بن أبي مُزاحم عن شُعيب بن صَفْوان قال : لما احتُضر سعيد بن العاص قال لابنه عمرو الأشدق : انظروا في دَيْني ، فوجدوه تسعين ألف دينار منها سبعون الفاً لِمَنْ سأله الرِفْد والصِلة ، فإذا هو قد كتب بذلك أَجْمَعَ على نفسه صِكاكاً ، فحوّل عمرو تلك الصِكاك على نفسه وقضاها .

وحدثني منصور عن شُعَيْب.وحدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عَديّ عن الضَحّاك بن رمل السَكْسَكي قال : خرج سعيد بن العاص ذات يوم من عند معاوية مُظهراً ، فبصر به رجل وهو وحده ، فسار معه نحو منزله ، فلما قرب منه قال : ألك حاجة ؟ قال : لا ولكني رأيتك وحدَك فأحببت أن أُونِسَكَ وأَصِل جناحك ، فتركه حتى إذا وصل إلى منزله قال لخازنه : كم

عندك ؟ قال : الفا دينار ، قال أَعطِه منها ألفاً واحبِس لنفقتنا الفاً ، وقال : هذا لك عندي في كلّ سنة .

المدائني عن ابن أبي الزِناد ، قال : سال مِيزاب لسعيد بن العاص في الطريق فقال رجل من الأنصار : لقد آذتُنا ميازيب سعيد فأَمر بكلّ ميزاب له أن يُحَوَّل إلى داره .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي حدثني ابن كُناسة الأَسَدي عن بعض ولد عنبسة بن يحيى بن سعيد بن العاص قال : كان سعيد سخيّاً على كِبْرٍ فيه ، وكان يقول : إنّ رجلاً بات ليله متململاً يراوح بين شِقَّيه يَعْرِض الناس على نفسه أَيَّهم يراه موضعاً لحاجته ورغبته ، فاعتمدني دونهم بأَمَله واختارني لتنفيس كُرْبته ، لأَعظمُ مِنَّةً عليَّ من مِنّتي عليه إذا قضيتُ حاجته وبلّغتُه أَمَلَه .

وحدثني منصور بن أبي مُزاحِم عن شُعيب بن صَفوان عن عبد الملك بن عُمَير قال : لما حضرت سعيدَ بن العاص الوفاةُ دعا ولده فقال أيّكم يكفل دَيْني ؟ فقال عمرو الأَشدق : أنا أكفله ، وكم هو يا أبهِ ؟ قال : سبعون ألف دينار أو تسعون ألف دينار ، فقال : فيما ادَّنْتَ هذا المال يا أبه ؟ قال : في لئيم اشتريتُ عِرْضي منه أو كريم وفرتُ عِرْضَه وسددت خَلّته ، فدعا غُرماءه فحوّل صِكاكهم على نفسه ، ثم قال سعيد : يا بُنَيّ لا تزوّج بناتي إلّا من أكفائهن ولو بِفَلق خبز الشعير وانظرْ أخواتي فلا تقطعْ وجوههن عنك ولا معروفي الذي كنت آتيه إليهم عنهم .

وحدثني أبو الحسن المدائني عن ابن جُعْدُبة وغيره قالوا : قال سعيد بن العاص لابنه : يا بُنيَّ إنّي والله ما شتمت رجلاً مذ كنت رجلاً ولا زحمته

بُركبتي ولا كلّفت راجياً لمعروفي أن يسألني فيبذل وجهه إليّ .

المدائني عن عوانة قال : كان سعيد بن العاص يقول : أربعة لا أبلغ مكافأتَهم ولو خرجتُ إليهم من مالي كلّه ، رجل قام لي في مجلس غاصٍّ بأهله فأجلسني مكانه ، ورجل تخطّى الناسَ إليّ حتى أتاني مسلّما عليّ لغير رغبة ولا رهبة ، ورجل رآني منفرداً فآنسني بحديثه ووصل جَناحي بمُسايَرته ومماشاته ، ورجل فكّر ليلَهُ فرآني موضعاً لحاجته ورغبته فغدا إليّ حتى واجهني بمسألته .

وحدّثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة وابن خَرَّبوذ وغيرهما قالوا : كان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة يقول : قبّح الله المعروف إلّا ابتداءً ، فأمّا إذا سألك الرجل حاجته وجبِينُهُ يرشحُ رَشْحَ السِقاء والدمُ يكاد يبرز من وجهه مُخاطراً لا يدري أتقضيها له أم لا ولسانُهُ مُعْتَقَلٌ بحَصَرِ المسألة وذُلِّ الطَلَبِ ، فوالله لو خرجتُ إليه من جميع ما أملكه ما كافأته ولا بلغت ما يستحقّه .

حدثني عليّ بن [المغيرة] الأَثْرَم عن أبي عبيدة قال : لما طلب زيادُ الفرزدقَ وهرب من البصرة أتى المدينة فدخل على سعيد بن العاص ، فأَنشده قوله فيه وهو والٍ يومئذ على المدينة :

إليكَ هَرَبْتُ مِنْكَ ومِنْ زِيادٍ ... ولم أَحْسِبْ دمي لَكما حَلالا
تَرَى الغُرَّ الجَحاجحَ مَنْ قُرَيشٍ ... إذا ما الأَمْرُ في الأَحداث عالا
قِياماً ينْظُرونَ إلى سعيدٍ ... كأَنَّهُم يَرَون بِهِ الهِلالا[1]

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٧٠ ـ ٧١ .

فقال له مروان بن الحكم وكان حاضرا : لو جعلتَنا قعودا ، فقال : كَلّا يا أبا عبد الملك وإنّك فيهم لَصافِنٌ[1] . وأنشد الفرزدقُ بِلالَ بن أبي بُرْدَة شعراً له فيه فقال له : هلاّ مدَحتني بمثل ما مدحتَ به سعيداً وفلاناً وفلاناً ، قال : جِئْني بحَسَبٍ كأحسابهم[2] حتى أقول فيك مثلَ قولي فيهم .

وحدثني العُمْري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش الهمْداني أنّ سعيد بن العاص كان جالساً ومعه قوم وهو يحدّثهم فسقط جدار على قوم فانفضّوا إلاّ فتىً ثبتَ معه حتى اسْتتمّ حديثَه ، فقال لغلامه : ادْعُ وكيلنا ، فلما جاءه قال : أعْطِ الفتى عشرة آلاف درهم لإعظامه حقّنا ، وحُسن مُجالسته إيّانا .

وحدثني بعض أهل العلم قال : خرج هُدْبة بن خَشْرَم بن كُريز بن أبي حَبَّة بن الأَسْحَم بن عامر بن ثعلبة بن قُرّة بن حبيش بن عمرو بن ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن زيد ، أخي عُذْرَة بن زيد في نفر من بني عمّه وزيادة بن زيد بن مالك بن ثعلبة من ولد الحارث بن سعد أيضاً في نفر من بني عمّه في سفر ، ومع هُدْبة أخته فاطمة بنت خَشْرَم ، ومع زيادة اخته أمّ القاسم ، وكان هُدْبة وزيادة شاعرَين راجزَين ، فساق بهم زيادة وهو يقول :

عوجي عَلَيْنا وارْبَعي يا فاطِما ... أَلا تَرَيْنَ الدَمْعَ مِنّي ساجِما

فظنّ هُدْبة أنّه عرّض بأخته فاطمة ، ثم إنّ هُدْبة ساق بهم فقال :

---

١ - صفن الفرس يصفن صفونا : قام على ثلاث قوائم ، وطرف حافر الرابعة ، والرجل صف قدميه . القاموس .

٢ - بهامش الأصل : حتى تحسن كاحسانهم .

لَقَدْ أراني والغُلامَ الحازِما نُزْجي المَطِيَّ ضُمَّراً سَواهِما
مَتَى تَظُنُّ القُلُصَ الرَواسِما يذكرن[1] أُمَّ قاسِمٍ وقاسِما

فغضب زيادة ، وقال هُدْبة : إني والله ما ذهبتُ حيث ذهبتَ ، ولا عنيتُ اختك ولقد عنيتَ اختي ، وتشاتما ثمّ تناصيا ، ووثب رهط هُدْبة ورهط زيادة فتضاربوا بالنعال ، ثم أقبل كلّ واحد منهما يهجو صاحبه ، وجعلا يتفاخران ، وجاء زيادة في قومه ليلاً إلى هُدْبة فشجّوا أباه عَشْراً وعقروه فقال زيادة :

شَجَجْنا خَشْرَماً في الرَأْسِ عَشْراً ولَمْ نَرْهَبْ هُدَيْبَةَ إذْ هَجانا

ثم اقتتل هُدْبة ورهطه وزيادة ورهطه ، فقتل هُدْبة زيادةَ وجدع زيادة أنف هُدْبة ، وهرب هُدْبة والنفر الذين كانوا معه فلحقوا باليمن وقال :

ألا ليتَ الرِياحَ مُسَخَّراتٌ لِحاجَتِنا تُباكِرُ أَوْ تَؤوبُ
فَتُخْبِرَنا الشَّمالُ إذا التَقَيْنا وتُخْبِرَ أَهْلَنا عَنّا الجَنوبُ

ثمّ إنّ رهط زيادة استعْدوا معاوية بن أبي سفيان على هُدْبة ، فكتب لهم إلى سعيد بن العاص ، وهو عامل المدينة ، يأمره بإعدائهم على هُدْبة ، وأن ينظر في دعواهم عليه ، وأن يطلبه طلباً حثيثاً ، وأن يأخذ به أولياءه ، فأخذ عمّه وأهله فحبسهم في السجن حيناً ، فلما بلغ هُدْبة ذلك أتى السلطان فوضع يده في يده كراهةَ أن يُسْلم عمَّه وأهله ، فأمر سعيد بحبس هُدْبة وخلَّى سبيل مَن حبس بِسببه ووهب لهم مالاً ، وسأل أولياء زيادةَ سعيداً أن ينظر في أمرهم فأخرّ ذلك وأبطأ به ، وكان هُدْبة قد مدحه ، وعرض عليهم

---

١ - بهامش الأصل : يدركن .

أن يدي صاحبهم عنه ثلاث ديات ، فأبوا وقالوا : ارفعْنا إلى أمير المؤمنين معاوية ، فقال هُدْبة :

ألا يا لَقَوْمِ لِلنَوائبِ والدَهْرِ ... ولِلْمرءِ يُرْدي نَفْسَهُ وَهْوَ لا يَدْرِي
ولِلأَرْضِ كَم مِنْ صالِحٍ قَدْ تَلاءَمَتْ ... عَلَيْهِ فَوارَتْهُ بِداوِيّةٍ قَفْرِ
ولَمّا دَخَلْتُ السِجْنَ يا أُمَّ مَعْمَرٍ ... ذَكَرْتُكِ وَالأَطْرافُ في حَلَقٍ سُمْرِ

ولم يزالوا بسعيد حتى حملهم إلى معاوية ودسّ إلى هُدْبة صلة وكسوة ، ونظر معاوية في أمرهم فقضى بِقَوَد هُدْبة ، وكتب بذلك كتاباً مع أولياء زيادة إلى سعيد فجعل لهم سعيد عشر ديات على أن لا يقتلوه فأبى أخوه وأهل بيته ذلك فأُخرج فقُتل ، وقال حين أُخرج :

إنْ تَقْتُلوني في الحَديدِ فإنَّني ... قَتَلْتُ أَخاكُمْ مُطْلَقاً غَيْرَ موثَقِ

فقيل لسعيد لا تقتلْه إلّا مطلقاً عنه حديده ثم قُتل[1] .

ومن ولد سعيد بن العاص :

عمرو بن سعيد وكان سخيّاً لَسِناً وقيل له الأشدق لِلَقْوَةٍ عرضت له فأمالت شِدْقَه ، وسُمّي أيضاً لطيم الجنّ ، ولطيم الشيطان ، ويقال إنّ معاوية دعاه في غلمة من بني أميّة فاستنطقهم فقال عمرو : إنّ الابتداء مَرْكَب صَعْبٌ ومع اليوم غَد ، ثم دعاه فتكلّم بكلام أعجبه فقال : إنّ ابن سعيد لأشدق ، وهذا مما يقوله ولده ، وكان عمرو يُكنى أبا أميّة ، وأمّه أمّ

١ ـ انظر الشعر والشعراء ص ٤٣٤ ـ ٤٣٨ . الأغاني ج ٢١ ص ٢٥٤ ـ ٢٧٤ . حماسة أبي تمام [ط . دمشق] ج ١ ص ٣٨٥ ـ ٥٧٦ .

البنين بنت الحَكَم بن أبي العاص ، وهي أخت مروان وعَمَّةُ عبد الملك بن مروان ، وقد ولي المدينة ليزيد بن معاوية .

اخراج بني أمية عن المدينة

حدثني أبو هشام محمد بن يزيد الرِفاعي حدثني عمّي كثير بن محمد أخبرني عبدالله بن عيّاش الهمداني حدثني أميّة بن عمرو عن أبيه عن محمد بن عمرو المُعَيْطي قال : كتب ابن الزبير إلى عبدالله بن مطيع في نَفْي بني أميّة عن المدينة إلى الشام ، ومروان يومئذ شيخهم ، وابنه عبد الملك ناسكهم ومَن يَصْدُرون عن رأيه ، وكان بعبد الملك يومئذ جُدَري قد ظهر به ، فدخلهم من إخراجهم عن المدينة أمر عظيم ، وكان ابن الزبير رجلاً إذا عرض له الرأي أمضاه من غير رَوِيَّة ولا مشاورة ، فأشخصهم ابن مطيع ، وحمل مروانُ ابنَه عبد الملك على جملٍ وشدّه عليه شَدّاً ، ثمّ إنّ وجوه قريش ومشايخهم اجتمعوا إلى ابن الزبير فقالوا : بلغنا ما أمرتَ به من إلحاق بني أميّة بالشام ، وإنّما بَعَثْتَ عليك أفاعِيَ لا يُبِلُّ سَليمُها ، أَمِثْلُ مروان وبني أميّة يُشْخَصون إلى الشام ؟ فوجّه ابن الزبير رسولاً إلى ابن مطيع بكتاب منه يأمره فيه بإقرار بني أميّة بالمدينة وتَرْك إشخاصهم ، فاتّبعهم حتى وافاهم بأداني أرض الشام فعرض عليهم الانصراف فأبوا ، وقال عبد الملك وقد نقه من مرضه للرسول : قل لأبي خُبيب إنّا نقول لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، يصنع الله .

وكان فيمن شخص معهم عمرو بن سعيد الأَشدق ، وخاله مروان بن الحكم ، وكان معهم خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد بن أبي العاص بن

أميّة فكانا خاصّين بمروان وبعبد الملك ، فوافوا الشام وقد بايع الناس لمعاوية بن يزيد وهو كاره لذلك ، فلم يلبث مروان بعد ذلك إلّا يسيراً حتى مات معاوية بن يزيد وبويع له بالخلافة ، فبايع لابنه عبد الملك بن مروان ولعبد العزيز من بعده ، وكان عمرو الأشدق أجدّ الناس في أمر مروان وأحسَنهم مُعاونَةً ومُكانفةً له واجتهاداً في صَلاح أمره وإفساد أمر ابن الزبير ، فقاتل معه يوم المَرْج ، ووجّه ابن الزبير أخاه مصعب بن الزبير إلى فلسطين فوجّه مروان عمراً الأشدق في جيش لُهام[1] ، فلقيه قبل أن يدخلها فهزم مصعباً وأصحابه حتى رجعوا إلى المدينة ، وكان مروان يَعِدُ عمراً بالخلافة بعده ، يستدعي بذلك طاعته ويستنزل نصيحته ، فكان يقول : الأمرُ لي بعد مروان فقد ولاّني العهد ، فلما استقام لمروان أمرُه ووجّه عمراً إلى ابن جَحْدَم عامل ابن الزبير على مصر ـ وهو عبد الرحمن بن عُتبة بن أبي إياس بن الحارث بن عبد بن أُسد بن جَحْدَم بن عمرو بن عابس بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر ـ وفُتحت مصر ورجع مروان إلى دمشق ، قال لحسّان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي : إنّي أريد توليةَ عهدي عبد الملك وبعده عبد العزيز ، وإنّ عمرو بن سعيد يَدَّعي أنّه الخليفة بعدي ، وخالد بن يزيد يدّعي مثل ذلك ، فقال حسّان : أنا أكفيك أمرهما ، وجمع الناس ثم قام فقال : يَبْلغ أميرَ المؤمنين ويَبْلغنا أنّ رجالاً يتمنّون الأمانيَّ ويدّعون الأباطيل ويحدّثون أنفسَهم بما لم يجعله الله لهم ، وما أُولئك بالراشدين ولا المُسَدَّدين ، فقوموا أيها الناس فبايعوا لعبد الملك ابن أمير المؤمنين ولعبد العزيز من

---

١ ـ اللهام : الجيش العظيم . القاموس .

بعدِه ، فقام الناس فبايعوا مسارعين غير متثَّلين من عند آخرهم ، حتى لم يبق منهم أحد .

المدائني عن خالد بن عطيّة قال: ولّى يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد المدينةَ فشكوه إلى يزيد فعزله، وولّى مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان، فلما قرب من المدينة تلقّوه بذي خُشُب فشكوا إليه عمراً، فلما قدم عثمان خطبهم فمنّاهم ووعدهم ونال من عمرو وقال: ماكان قُرَشيٌّ ليفعل هذا بقريش، فقال عمرو من تحت المنبر: مَهْلاً ياعثمان فوالله ما أنا بحُلْو المَذاق وإنّي لقَمَنُ المَضرّة،ولقد ضَرَّسَتْني الأمور وجَرَّستني الدهور فَزَعاً مَرّةً وأَمنا مَرةً، وإنّ قريشاً لتعلم أني ساكنُ الليل، داهيةُ النهار لا أَتتَبع الظلال، ولا أقمّص[1] حاجبي ولاتُستنكر شِبْهي،ولا أُدْعَى لغير أبي.

وقيل لعمرو بن سعيد إلى من أوصى بك أبوك؟ قال: أوصى إليَّ ولم يوص بي.

مقتل عمرو بن سعيد بن العاص: قال أبو مخنف في روايته وغيره: كان عمرو بن سعيد أشدّ الناس في أمر مروان حتى ولي الخلافة، وقاتل معه الضحّاكَ بن قيس الفِهْري يوم مرج راهط، فلما مات مروان وبويع عبد الملك بالخلافة بلغه أنّ مصعب بن الزبير بن العّوام يريد الجزيرة متوجّهاً من العراق، فسار عبد الملك حتى شارف الفرات ومعه عمرو بن سعيد الأشدق، فقال له عمرو: إنّك تشخصُ إلى العراق فقد كان أبوك أوعدني[2] أن يولّيني الأمر بعده، وعلى ذلك قمت بشأنه وحاربت معه، فاجعل لي الأمر بعدك،

---

١ ـ يقال: وما بالعير من قماص: يضرب لضعيف لاحراك به، ولمن ذل بعد عز.

٢ ـ كذا بالأصول .

فلم يجبْه عبد الملك بشيء مما يسُرّه، فانصرف عن عبد الملك وقصد إلى دمشق حتى دخلها وقال: إنّ مروان كان ولاني عهده ولذلك قمتُ بنصره وصنعتُ ماأنتم عالمون به، فبايعه عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرْز - وهو أبو خالد بن عبد الله البَجَلي ثم القَسْري - ثم بايعه وجوه أهل دمشق ومالوا إليه لسَخائه وجُود كفّه، وألقى على سور دمشق المُسوح والخشب والكرابيس والفُرُش المحشُوَّة وتهيّأ للحصار واستعدّ له، وبلغ عبدَ الملك خبره فانكفأ راجعاً يُغِذُّ السير ويجِدّ فيه حتى أتى دمشق، وقد أغلق عمرو أبوابها وجعل على شُرَطه عبد الله بن يزيد، فحاصره عبد الملك ولم يزل يراسله ويمنّيه ويعده، وضمن له أن يولّيه بيت المال والديوان ويجعل له ولاية الأمر بعده مُقدماً على عبد العزيز، وكتب بينه وبينه بما شرطه له كتاباً، فخرج عمرو إليه وهو في عسكره وكان نازلاً في قصر بالمُعَسكر وأصحابه حوله، فلما دخل عليه بسطه وانسه ثم قال: يا أبا أميّة إنّي حلفت أن أجعل في عنقك سلسلة وأُوثقك بجامعة ثم لاباس عليك، فأُوثق وجعل السلسلة في عنقه، فقال عمرو: ياأمير المؤمنين أَخرجْني إلى الناس لأقوم فيهم بما تحبُّ وأقول ما تريدُ، وإنّما التمس أن يُخرجه من عنده فيُخلصه اصحابه وكانوا مطيفين بالقصر، فقال عبد الملك: هَيْهاتَ أَمَكْراً في السلسلة أبا أميّة، ثم قال عبد الملك لبِشْر بن مروان: قم فاقتله، فأبى، وقال لعبد العزيز: اقتله، فأبى، فأسمعهما وشتمهما وعجّزهما، ثم قال لأبي الزُعَيْزِعَة البربري مولاه: خذه اليك فاقتله، فجرّه بالسلسلة فقال: ارفق ارفق، وأصاب فمه الأرض وخدّيه، فقال: فمي فمي فقال عبد الملك: اللهمّ اخزه فما أحمقه يسأل الرفق ويشكو فمه وهو يُجَرّ للقتل، ثم قال لأبي الزُعَيْزِعَة: لاأنصرفنّ من الصلاة إلا وقد كفيتَنيه، فقتله

أبو الزُعَيْزِعة قبل انصرافه، ذَبَحه ذَبْحاً، فلما انصرف عبد الملك من صلاته أمر برأسه فاحتُزَّ ورُمي به إلى أصحابه الذين حضروا باب القصر، ومعهم يحيى بن سعيد أخوه، فشدّ يحيى على الوليد بن عبد الملك وهو قائم على باب القصر بالسيف، فلما رآه أدبر فضرب به أليته، فبادر الوليد فدخل، وأمَّن عبد الملك الناس أسودهم وأبيضهم ولم يَعْرِضْ ليحيى في ذلك الوقت ولا لغيره، ودعا الناسَ إلى العطاء، ولحق يحيى بن سعيد بمصعب بن الزبير فصار معه، فلما رآه مصعب قال: يايحيى أَفْلَتَ العَيْرُ وانحصّ الذَنَبُ، قال: إنّه لَبِهُلْبِهِ[1].

وحدثني هشام بن عمّار الدمشقي انبأنا صدَقَة بن خالد القرشي عن خالد بن دِهْقان قال: كان عمرو بن سعيد في عسكر عبد الملك وقد فصل من دمشق وهو يريد العراق فقال له: إنّ اباك وعدني أن يجعل لي الأمر بعده فبايع لك ولعبد العزيز إن كان بعدك، فاجعل لي العهد بعدك، فقال له: يالطيم الشيطان أَوَ أنت تصلح للخلافة: أنت ذو كِبْر وجُبْن وسَرَف وعُجْب وإفْك ظاهِرٍ، لا ولا كرامةَ ولاَنُعْمَةَ عَيْنٍ، فانخزل عنه وأتى دمشق ودعا إلى نفسه، وكان سخيّاً، فبويع وإغلق أبوابَ المدينة واستعدّ للحصار، فرجع عبد الملك وترك وجهه ذلكَ، فحاصره وجعل يرسل إليه ويعده ويرفق به ويحلف له لَيولّينّه عهده، فقبل ذلك وسكن إليه وخرج إلى عبد الملك، فيقال إنّه دخل عليه وهو في قصر كان في عسكره وأصحابه مطيفون به فقتله من يومه.

---

١ ـ الهلب: شعر الذنب، وقيل ماغلظ من الشعر، انظر المثل في أمثال أبي عبيد ص٣٢٠ ، وقد أراد: أفلت ولم يتناثر شعره، أو شعر ذنبه.

قال صَدَقَة، وقال غير خالد بن دِهْقان: أنّه فتح أبواب دمشق لعبد الملك فدخلها ونزل في دار الخلافة، وكان عمرو يركب إليه أيّاماً، ثم إنّه جعل في عنقه جامعةً فقال له: ياأمير المؤمنين أنشدك الله أن تُخرجني إلى الناس في هذه الجامعة فيروني، وإنّما أراد أن يُريه كراهته للخروج، يُغريه ذلك بإخراجه فيُخلصه أصحابه، فقال أَمْكراً في الجامعة أبا أميّة؟ ثم أمر أبا الزُعَيْزِعة بقتله فقتله، وجعل يحيى بن سعيد أخوه ومن كان على باب القصر من أصحابه يقولون: ياأبا أميّة ماخبرك؟ أَسْمِعْنا كلامك؛ فأمر عبد الملك برأسه فاحتُزّ ورُمي به إليهم فسكنوا، ووثب أصحاب عمرو على بيت المال بدمشق فانتهبوه، فلم يَعْرِضْ لهم عبد الملك فيه حتى إذا استقام الأمر أخذهم به فارتجعه وفضل مائة ألف درهم.

قال هشام: وسمعت بعض مشايخنا يحدّث أنّ عبد الملك خرج إلى الصلاة وأمر ابا الزُعَيْزِعة أن يقتله قبل انصرافه من الصلاة، فلما ابتدأ عبد الملك صلاته ضجّ أصحاب عمرو فقالوا: أَخْرِجوه إلينا، فوضع عبد الملك يده على أنفه كأنه قد رعف ثم انسلّ فدخل القصر، وأمر برأس عمرو فاحتُزّ وألقاه إلى أصحابه فسكنوا.

وحدثني هشام بن عمّار عن الوليد بن مسلم حدثني رجل من ولد سعيد بن العاص قال: خرج عبد الملك إلى صلاة العصر، وأَقبل يحيى بن سعيد في خلق ينادون: يا أبا اميّة أين أنت؟ اخرج الينا، أَسمعْنا كلامك، فراع ذلك عبدَ الملك فقال: ماأَحْسِبْني على طهر للصلاة، ودخل القصر كأنّه يريد الطهور، وإذا عمرو مقتول، فأمر برأسه فأُلقي إلى اصحابه والناس، ثم وضع لهم المال وذعاهم إلى العطاء فسكتوا.

المدائني عن عليّ بن مجاهد عن عبد الأعْلَى بن ميمون بن مِهْران قال: لما صالح عمرو بن سعيد عبد الملك دخل عبد الملك دمشق فأقام بها وعمرو يدخل عليه مُكرَماً، فدخل عليه ذات يوم فكلّمه بكلام شديد، فأغلظ له عمرو وقال: إنّي لأحقّ بالخلافة منك فإن شئتَ فافْسَخ الصلح وأَعِد الحرب، فأمر به فجعُلت في عنقه سلسلة وأُوثق بجامعة من فضّة، ثم قال لعبد العزيز بن مروان: قم فاضرب عنقه، فأَبى، فقال لأبي الزعيزعة مولاه: لاأرجعنّ من الصلاة إلا وقد قتلَته وأرحتَني منه، فخرج إلى صلاة العصر فلما انصرف وجد أبا الزعيزعة قد ضرب عنقه، فأمر برأسه فأُلقي إلى اصحابه وكانوا مجتمعين يطلبونه ومعهم يحيى بن سعيد أخوه.

وقال هشام بن عمّار: سمعت من يذكر آن ابا الزعيزعة أدخل سيفه في ظهر عمرو حتى أخرجه من بطنه ثم جذبه ففاضت نفسُه.

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عَديّ عن ابن عيّاش الهمداني وأبي جنّاب قالا: قال قبيصة بن ذُؤَيب الخُزاعيّ: كنت عند عبد الملك بن مروان أنا وحسّان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي وولده وإخواته وأبو الزعيزعة مولاه فجاء الآذن فاستأذن لعمرو بن سعيد، فأذن له وجعل يقول:

إحْذَرْ عَدُوَّكَ أَنْ يكونَ صُدَيِّقاً ... وإذا هَمَمْتَ بِقَتْلِهِ فتَمَكَّنِ
أَدْنَيْتُهُ مِنّي لِيَسْكُنَ رَوْعُهُ ... فأَصولَ صَوْلَةَ حازمٍ مُسْتَمكِنِ
غَضَباً ومَحْمِيَةً لِديني إنَّهُ ... ليس المُسيءُ سَبيلُهُ كالمُحْسِنِ

ثم التفت إليّ وإلى حسّان فقال إن شئتما فقوما، فلما نهضنا وقد أقبل عمرو قال عبد الملك وهو يتضاحك: ياحسّان أنت أطولُ من قبيصة، ثم

خرجنا فقال حسّان: هو والله قاتِلُه، إنّ عبد الملك رجلٌ ليس في منطقه فضل، وإنّما مازحنا ليؤنسه ثم يثب به.

قال: وسلّم عمرو ثم جلس مع عبد الملك على سريره فحادثه ساعةً ثم أقبل أبو الزعيزعة فأخذ السيف عن عاتقه فقال: ياأمير المؤمنين أَيؤْخذ سيفي؟ فضحك عبد الملك ثم قال: أَوَتَطْمع لاأبا لغيرك أن تقعدَ معي بسيف بعد الذي كان منك؟ فأَطرق عمرو ثم قال له عبد الملك: ياأبا أميّة إنّي كنت أعطيت الله عهداً إنْ ملأتُ عيني منك مستمكناً أن أجمع يديك إلى عنقك ثم أُثقلك حديداً، فقال عبد العزيز بن مروان: ثم تصنع ما ذا ياأمير المؤمنين؟ قال: ثم أُطلقه وما عسيتُ أن أصنع بأبي أميّة؟ قم يا أبا الزعيزعة فأْتِ بجامعة وقَيْدٍ، فأتى بهما وكانا قد أُعِدّا له فصيّرهما في عنقه ورجليه، فقال عمرو: نشدتك الله ياأمير المؤمنين أن تُخرجني فيهما على رؤوس الناس، فقال: أَوَمكراً ياأبا أميّة، لعمري ماأُخرجك فيهما ولاأُخرجهما منك إلا صُعُداً، ثم جذبه أبو الزعيزعة جذبةً سقط منها على وجهه فأصابت قائمة السرير ثنيّته فانكسرت، فقال: ياعبد الملك نشدتك الله أن يدعوك كسرُ عظمٍ منّي إلى أن تركبني بأَشدّ منه، فقال: ياأبا أميّة لو علمتُ أنّ العرب والعجم يبقون هَمَلاً ويصلح أمرُ قريش فقط لفديتك بدم النواظر، ولكنّه والله مااجتمع فَحْلان في هجمةٍ قطّ إلا قتل أحدُهما صاحبَه، قم ياعبد العزيز فاضرب عنقه؛ وخرج عبد الملك لصلاة العصر فإذا يحيى بن سعيد قد وافى في ألفٍ من مواليه من أهل حِمْص، فلما أحسَّ به عبد الملك أمسَكَ أنفه بيده كالرعيف وقدّم ابنَ أمّ الحَكَم الثقفي وكان خلفه، فصلّى ابنُ أمّ الحَكم بالناس، ودخل عبد الملك القصر فقال لعبد العزيز: ماصنعتَ؟ قال: ياأمير

المؤمنين ناشدني الله والرحم فكرهت قتله، فقال: أخزى الله أمّك البوّالة على عقبيْها فإنّك لم تُشبه غيرَها ـ وكانت أمّه لَيْلَى بنت زبّان بن الأصْبَغ الكلبي ـ أَدْنِه ياغلام، فأُضْجعَ له ثم ذبحه بيده بالسيف ذبحاً وهو يقول:

يا عَمْرُو إلا تَدَعْ شَتْمي ومَنْقَصَتي أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقولُ الهامَةُ(١) اسْقوني

قال: وانقضت الصلاة وخرج يحيى بن سعيد إلى الباب في مواليه وأصحابه، فكثر ضَجيجهم وجعلوا يقولون: أَسمِعْنا صوتَك ياأبا أميّة، فخرج إليهم الوليد بن عبد الملك في موالي عبد الملك وغيرهم فناوشوهم فأصابته ضربة على أَليته وذلك الصحيح ـ ويقال على رأسه ـ فأخذه ابن أرْقم فأَدخله بيتا وأجاف عليه الباب، ودخل عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم من باب المسجد فقال لعبد الملك: أيّها الرحل ماصنعت فقد جَلّ الخَطْب؟ قال: قتلته، قال: اصاب الله بك الخير والرشد، فأخذ ابن امّ الحَكَم الرأسَ فرمى به إلى أصحاب الأشدق فانكسروا حين يئسوا منه، وأمر عبد الملك ببيت المال ففُتح ونادى في الناس أن احضروا أعطياتكم، فأقبل الناس وتركوا ماكانوا فيه. ووُضع لعبد الملك سرير فخرج فجلس عليه وهو يقول: اين الوليد والله لئن كانوا أصابوه لقد أدركوا ثأرهم، فأُخبر بمكانه وأنّه لم يُصَبْ فأَمسك، وأمر عبد الملك فنودي: مَن أتى بيحيى بن سعيد أو بأحد من ولد سعيد فله ألف دينار فأُخذوا جميعاً من ساعتهم فأمر بإشخاصهم إلى الكوفة فصار يحيى مع مصعب بن الزبير.

---

١ ـ كانت عرب ماقبل الاسلام تعتقد أن روح الانسان هي الهامة، وأنه عندما يقتل انسان ظلما تظل الها مة تحلق فوق قبره وتنادي اسقوني حتى يثأر له.

المدائني عن سُحَيم بن حفص قال: انتدب قوم يقاتلون عن عمرو بن سعيد فبعث إليهم عبد الملك قوماً فقاتلوهم وعليهم خالد بن الحَكَم بن أبي العاص.

قالوا: وقال عَوانة بن الحَكَم: كان عبد الملك يتمثّل قبل قتل عمرو.

يا عَمْرُو إلا تَدَعْ شَتْمي ومَنْقَصَتي　　أَضْرِبْك حَتَّى تَقول الهامَةُ اسقوني

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه عن أبي صالح عن ابن عبّاس أنّه بلغه قتلُ عبدِ الملك عمراً الأشدق فقال: أيها الناس إنّ عبد الملك قتل ابن عمّه وابن عمّته بعد أن آمَنَه فلا تأمنوه ولاتصدّقوه. قالوا: وكان ابن الحنفيّة قد شخص يريد عبد الملك بن مروان، فلما بلغه قتلُه عمراً بعد الذي أعطاه من المواثيق استوحش فانصرف إلى الحجاز.

وقال يحيى بن الحَكَم بن أبي العاص، ويقال بِشر بن مروان:

أَعَيْنَيَّ جودا بِالدُّموعِ على عَمْرو　　عَشِيَّةَ شَدَّدْنا الخِلافَةَ بِالغَدْر
كَأَنَّ بني مَرْوانَ إِذْ يَقْتُلونَهُ　　بغاثٌ من الطَيْرِ اجْتَمعْن على صَقْرِ
فرُحْنا وراح الشامِتونَ بِنَعْشِهِ　　كأَنَّ على أكْتافِها فِلَقُ الصَخْرِ
لَحا الله دُنْيا تُدْخِلُ النارَ أَهْلَها　　وتَهْتِكُ ما دونَ المَحارِمِ مِنْ سِتْرِ
وما كانَ عَمْروٌ عاجِزًا غَيْرَ أَنَّه　　أَتَتْهُ المَنايا بَغْتَةً وهو لايدري

وقال يحيى بن سعيد أخو الأشدق:

غَدَرْتُمْ بِعَمْرو يا بني خَيْطِ باطِلِ　　ومِثْلُكُمْ يَبْني البيوتَ على الغَدْرِ
وَدِدتُ وبَيْتِ الله أَنِّي فَدَيْتُهُ　　وعَبْدَ العَزيزِ يَوْمَ يُضْرَبُ في الخَمْرِ

وكان مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ضرب عبد العزيز في شراب، ويقال بل حَدَّة عمرو بن سعيد.

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن أشياخه قال: بايع عبدَ الملك أهلُ الشام والجزيرة، إلا زُفَر بن الحارث الكلابي فإنّه غلب على قَرْقيسياء وتحصّن بها، فخرج إليه عبد الملك وخلّف بِعَقِبِه عمراً الأشدق، فغلب على دمشق وأَغلق أبوابها وأعطى أهلها عطايا كثيرة، فرجع عبد الملك حين أتاه الخبر، فأغلق عمرو أبواب المدينة وتحصّن، فقال له عبد الملك: إنّك قد أفسدت أمرَ أهلِ بيتك، وأطمَعْتَ فيهم عدوّهم، [و] فيما صنعت قُوّةٌ لابن الزبير، أرجعْ إلى بيعتك وطاعتك، فإنّي اجعل لك العهد وأُنفذ كلَّ ماأعطيت من الأموال، فرضي وفتح الأبواب ودخل عبد الملك المدينة، ومع عمرو خمسمائة رجل ينزلون حيث نزل، فقال عبد الملك لحاجبه: ويحك أتستطيع إذا جاء عمرو بن سعيد أن تغلق الباب دون أصحابه؟قال: نعم، قال: فافعل؛ وكان عمرو عظيم الكِبْر لايرى لأحد عليه فضلاً ولا يلتفت إذا مشى، فلما جاء فتح له الحاجب، وأَعوانُه بالباب دون أصحاب عمرو، ومضى وهو لايلتفت وهو يظنّ أنّ أصحابه قد دخلوا معه كعادتهم، فعاتبه عبد الملك طويلاً وكان قد أوصى أبا الزُعَيْزِعة صاحبَ شُرطه أن يضرب عنقه، فكلّمه عبد الملك فأغلظ له، فقال لعبد الملك: أَتستطيل عليَّ كأنّك ترى أنّ لك عليّ فضلاً، إن شِئتَ نقضت العهد بيني وبينك ثم نصبتُ لك الحرب، فقال عبد الملك: فقد شئتُ، فقال عمرو: قد فعلتُ، ثم قال عبد الملك: يا أبا الزُعَيْزِعة شأنَك به، فنظر عمرو فإذا ليس أصحابه في الدار، فسُقط في يده، فدنا من عبد الملك فقال: وما يُدنيك منّي؟قال: أَستعطفك بما بين الرحم والقرابة، فقال لأبي الزعيزعة: إيهِ، فقتله أبو الزعيزعة فقال عبد الملك: ارموا برأسه إلى أصحابه، فلما رأوه

تفرّقوا، وخطب عبد الملك فذكر عمراً وشِقاقه وما جنى بعُقوقه ومُروقه وادّعائه ماليس له حتى قتله، وأنشد:

أَدْنَيْتُــهُ مِنّي لِيَسْكُنَ نَفْـرُهُ   وأَصولَ صَوْلَةَ حازِمٍ مُسْتَمكِنِ
غَضَبـاً ومَحْمِيَـةً لِـديني إنَّـهُ   لَيْسَ المُسيءُ سَبيلُهُ كالمُحْسِنِ

وكان عبد الملك إذا توعَّد رجلاً قال: إنّ جامِعة عمرو عندي، والله لا يدخل فيها عنق رجل فيخرج منها إلاّ صُعُداً؛ وقال هذه المقالة في خطبته بالكوفة.

ومن ولد سعيد بن العاص سوى الأشدق:

يحيى بن سعيد ويكنى أبا أيّوب، وهو الذي ضرب الوليد بن عبد الملك ولحق بمصعب، فكان عبد الملك مَغيظاً عليه، فلما قُتل مصعب آمن الناسَ كلّهم إلاّ نفراً يحيى أحدهم ثم كُلّم فيه فتركه؛ وولدُه بالكوفة وواسط.

قال هشام ابن الكلبي: لما وُلد يحيى بن سعيد استُرضع من بني كنانة، فأتاه قوم من كنانة في حَمالة فمتّوا إليه بالرضاع فلم يصنع بهم خيراً، فقال بعضهم:

ورَبَّتْـكَ مِنّـا كَهْلَةٌ نَـوْفَلِيَّةٌ   لها في بني الدِيلِ الكِرامِ عُروقُ
رَأَيْتُ أبا أَيّوبَ لِلصِهْرِ مُنْكِراً   وما أَنْتَ يا يحيى لِذاكَ خَليقُ
غَذَوْناكَ يا يَحْيى فكان جَزاؤنا   لَكَ الخَيْرُ فيكُمْ جَفْوَةٌ وعُقوقُ

فاعتذر وقضى حاجتهم.

ومن ولد يحيى بن سعيد هذا عَنْبَسة بن يحيى الذي يقول فيه الشاعر العَدْواني :

إذا ما جِئْتَ عَنْبسةَ بنَ يحيى رَجَعْتَ مقلَّداً خُفَّيْ حُنَيْنِ
يَظُنُّكَ حين تَطْلُبُهُ لأَكْلٍ غريماً جاءَ يَطْلُبُهُ بِدَيْنِ
فما هُوَ بالمُؤَمَّلِ مِنْ قُرَيْشٍ ولا هو في بني العاصي بِزَيْنِ[1]

وسعيد بن يحيى بن سعيد :

وولده في جُعْفيّ وكان شريفاً ، وحدثني المدائني عن عليّ بن مجاهد عن عبد الأعلى بن ميمون بن مِهْران قال : حبس عبد الملك سعيدَ بن يحيى بن سعيد أربعين يوماً ، ثمّ دعا به وعنده رجال من خاصّته فشاورهم في قتله فقال بعضهم : اقتلْه ، وقال بعضهم : لا تقتلْه ، فقال عبدالله بن مَسْعدة الفَزاري : إنّ له يا أمير المؤمنين رحماً وقرابة ، والعفو أقرب للتقوى ، وأنت أحقّ بالفضل ، فَمُنَّ عليه وسيّره إلى عدوّك تُكْفَ أمْره بخيل من خيلك ، فلحق بعبدالله بن الزبير فقال له : الحقْ بمصعب .

ومحمد بن سعيد بن العاص

وولده بالشام وأمّه أمّ الأشدق .

---

١ ـ البيتان الأول والثالث في المؤتلف والمختلف للآمدي ـ ط . القاهرة ١٩٦١ ص ٢٩٥ للنابغة العدواني .

وعبدالله بن سعيد

وولده بالكوفة وواسط ، هو الذي مدحه الأخطل فقال :

فَمَن يَكُ سائِلاً بِبَني سعيدٍ فعبد الله أَكْبَرُهُمْ نِصابا
أَيَجْمَع نَوْفَلاً وبَني عِكَبٌ كِلا الحَيَّيْنِ أَفْلَحَ مَنْ أَصابا[1]

فقال عبد الملك : كذب الأخطل ، عثمان بن سعيد أكبرهم نصاباً . وأم عثمان بن سعيد ابنة عثمان بن عفّان وولده بالكوفة ، وأمّ عبدالله بنت جُبير بن مُطْعم بن عَديّ بن نوفل بن عبد مناف ، وأمّ أُمّه من بني عِكَبّ من بني تغلب .

وعنبسة بن سعيد بن العاص :

وكان أثيراً عند الحجّاج ، ولم يزل معه لا يفارقه ، وأمّهُ أَمَةٌ يقال لها عَصماء ، وولده بالمدينة والكوفة ، وبقي بعد الحجّاج ، ومات وقد هِرِم ، ويكنى أبا خالد .

قالوا : ولما وُلد عَنْبَسة قال سعيد ليحيى ابنه : آنحلْه قال : وما انحله وهو ابن أمة ؟ فنحله دجاجةً فقال سعيد : لئن صدق القائل ليكوننَ أكثرهم ولداً .

ومن ولد عنبسة عبدالله بن عَنْبَسة ، وكان بمكة قبل أيّام داود بن عليّ وهو والي الحجاز ، وعبد الرحمن بن عَنْبَسة بن سعيد كان شريفاً بالكوفة .

---

١ ـ ديوان الأخطل ص ٥٤ .

وأبان بن سعيد بن العاص بن [أبي] أحيحة :

كان ينزل أَيْلَة للعُزلة ، فخطب عائشة ابنة عثمان بن عفّان فقالت : ما أَنْزَلَه أَيْلَة إلاّ سقوطُه وتمثّلت :

مُقيمٌ بجحر الضَبِّ لا أنت ضائِرٌ عَدُوّاً ولا مُسْتَنْفِعاً أَنْتَ نافِعُ

وله يقول عبدالله بن عنبسة بن سعيد وهو ابن أخيه :

أتركْتَ طَيْبَة رَغْبَةً عن أَهْلِها وَنَزَلْتَ مُنْتَبِذاً بِدَيْرِ القُنْفُذِ

فأجابه :

أوطَنْتُ أَرْضاً بُرُّها كَتُرابِها والفَقْرُ مَعْدِنُهُ بِقَصْرِ الجُنْبُذِ

وولد أبان بالكوفة .

وعبد الرحمن بن سعيد :

وكان ابنه سعيد بن عبد الرحمن بن سعيد مع يزيد بن عمر بن هُبيرة وفيه يقول خلف بنَ خليفة :

وأمّا سعيدٌ إذا ما مَشَى فحُبْلَى تُرادُ لها قابِلَهْ

وكان عظيم البطن وقُتل مع ابن هُبيرة .

وكان لعنبسة بن سعيد ابن يقال له الحجّاج بن عنبسة سمّاه الحجّاج بأسمه فآمنه المنصور ، وله عقب .

ومن بني عمرو الأشدق :

موسى بن عمرو الذي يقول فيه ابن قُنَيْع النَصْري :

وكُلُّ بني العاصي حَمِدْتُ عَطاءَهُ ... وإنّي لِموسَى في العَطاءِ لَلائِمُ
ولَيْسَ بِمُعْطٍ نائِلاً وَهْو قاعدٌ ... وحَسبُكَ مِن بُخْلِ امْرِئٍ وَهْوَ قائِم
فإنْ يَكُ مِنْ قَومٍ كِرامٍ فإنَّهُ ... ذُنابَى أَبَتْ أَنْ تَسْتَوي وِالقَوِدامُ

فزعموا أنّ خالد بن سعيد قال : والله ما أعْطى أحدٌ خيرا قطّ حتى يقعد .

ومنهم اسماعيل بن عمرو بن سعيد وهو صاحب الأغْوَص الذي قال فيه عمر بن عبد العزيز : لو أنّ لي من الأمر شيئاً لولّيت صاحب الأغْوَص .

ومنهم اسماعيل بن أميّة بن عمرو الأشدق الفقيه وكان بمكة .

وسعيد بن عمرو الأشدق وكان أعلم قريش بالكوفة وولده بها ، وفيه يقول داود بن مُتَمِّم بن نُويرة :

إنْ تَجْفُني بِشْرُ بْنَ مَرْوانَ يَكْفِني ... سَعيدُ بْنُ عَمْرٍو ذو الندى ابْنُ سُعيدِ
فَتىً وَجَدَ الخَيْراتِ قد قَدَّمَتْ لَهُ ... مَساعِيَ آباءٍ لـه وجُدودِ

وعمرو بن أميّة بن عمرو بن سعيد الشاعر .

وزعم أبو اليقظان : انّ مُعَيقيب بن أبي فاطمة الدَوْسي كان مولىً أو حليفاً لأبي أُحَيْحة ، وكانت له صحبة وكان به جُذام ، وكان لسعيد بن العاص مولىً له يقال له أبو رافع ، وله ابن يقال له رافع ، وله ابن يقال له عبيدالله ، وكان رسول الله ﷺ أعتق رافعاً ، فكان يدّعي ولاء رسول الله ﷺ، فضربه الأشدق بالسياط حتى قال: أنا مولاك، وقد ذكرنا خبره في موالي رسول الله ﷺ ، فلما قُتل الأشدق قال عبيدالله بن أبي رافع :

صَحَّتْ ولا شُلَّتْ وضَرَّت عَدُوَّها يَمِينٌ هَراقَتْ مُهْجَةَ ابْنِ سعيد
وَجَدْتُ ابْنَ مَرْوانَ الرَّشيدَ فِعالُهُ أبِيّاً حَديدَ العَزْمِ غَيْرَ بَليدِ
هُوَ ابْنُ أبي العاصي قراراً ويَنْتَمي إلى عُصْبَةٍ طابَتْ له وجُدودِ

وولد أبو العيص بن أمية :

أسيد بن أبي العيص ، أمّه أَرْوَى بنت أسيد بن عِلاج الثقفي ، وأمّها صَفيّة بنت وهب بن الحارث بن زُهْرة، وكانت أمّ أسيد الثقفي سوداء، فكان أبو سفيان وولده يُسبّون بالسواد ، وأَرْوَى بنت أبي العيص أمها رُقيّة مخزوميّة فتزوّج أَرْوَى أبو جَهْل بن هشام ؛ وعمي أسيد بن أبي العيص ، ولم يدرك الإسلام .

فمن ولد أسيد أبي العيص : عَتّاب بن أسيد بن أبي العيص ، أسلم يوم فتح مكّة فحسن إسلامه واستعمله رسول الله ﷺ على مكة فقال له : يا رسول الله أصحبك وأكون معك ، فقال له : «أَوَما ترضى بأن استعملتُك على أهل الله» ، فلم يزل عليها حتى قُبض رسول الله ﷺ ، وولّاه رسولَ الله الطائف أيضاً، وأمره أن يخرص[1] أعناب ثقيف كخرص النخل ؛ ولما استُخلف أبو بكر رضي الله تعالى عنه أَقَرَّه خلافته كلّها ، فماتا جميعاً لم يعلم واحد منهما بموت صاحبه . ولما حضرت عَتّاباً الوفاةُ استخلف مُحْرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العُزّى بن عبد شمس ، فأقرّه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ؛ وقال الهَيْثم بن عَديّ : بقي عَتّاب إلى خلافة عمر ومات بمكة

١ ـ خرص النخلة والكرمة يخرصها خرصاً : إذا حزر ما عليها من الرطب تمراً ومن العنب زبيباً . النهاية لابن الأثير .

وذلك وهم ، وقال مصعب بن عبدالله الزبيري : جاء نعي أبي بكر حين توفيّ عَتّاب .

وحدثني عمر بن شبّة عن أبي عاصم النَبيل عن خالد بن أبي عثمان قال : قال عَتّاب بن أسيد : ما أصبت من عملي إلاّ ثوبَيْن معقّدين كسوتهما غلامي كيسان .

وولد عَتّاب بن أسيد عبد الرحمن بن عَتّاب ، وأمّه جُوَيْرية بنت أبي جَهْل ، وأمّها أرْوَى بنت أبي العيص ، وكان من رجال قريش ، وشهد الجمل مع عائشة فقُتل فمرّ به عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : هذا يَعْسوب قريش[١] ، ويقال إنّ كفّه قُطعت فاحتملها عُقاب فأُصيبت ذلك اليوم بِحَجْر من اليَمامة ، فعُرفت بخاتمه .

وكان لعبد الرحمن هذا ابن يقال له سعيد ويُلّقب الطِرْس لسواده ، وفيه يقول عُبيد بن حُصين الراعي :

أَبْلِغْ سَعيدَ بن عَتّابٍ مُغَلْغلةً ... إنْ لَمْ تَغُلْكَ بِأَرْضٍ دونَهُ غولُ[٢]

وكان مَعْبَد بن عَلقَمة المازني عنده فخرج فوجد سرجه مكسوراً ، فلم يعطهِ سرجاً مكانه فقال :

ألا فَأَبْلِغا ابْنَ أَبي سعيدٍ ... جَـزاهُ الله شرّاً مِنْ عَميدِ
فلو في دارِ طَلْحَةَ دُقَّ سَرْجي ... لأداني عـلى سَرْجٍ جَـديـدِ
وما آعْرَوْرَيْتُ تَحْتَ الليلِ لِبْداً ... على بَغْلٍ وسِيساءٍ[٣] حديدِ

١ ـ اليعسوب : أمير النحلِ وذكرها ، والرئيس الكبير . القاموس .
٢ ـ ديوان الراعي النميري ص١٩٣ .
٣ ـ السيسياء : الظهر من الحمار أو البغل .

يقال اعْرَوْرَيْتُ الدابّة : إذا ركبتها عُرْياً .

ومن ولده أمّ الجُلاس بنت سعيد بن عبد الرحمن بن عَتّاب ، وأمّها من تَيْم قريش تزوّجها الحَجّاج بن يوسف الثقفي .

ومن ولد عَتّاب بن أُسيد حُلَيْلان وهو عَتّاب بن عَتّاب بن سعيد بن عبد الرحمن بن عَتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أميّة، وأمّه أمة، وكان من فتيان أهل البصرة ، وكان صاحب حمامٍ وصيد ولَهْو وشُرْبٍ ينتابه الفتيان والمغّنون وأصحاب الشِطْرَنْج والنَرْد ،واستشهده رجلٌ على رجل بمال فدعاه الى الشهادة عند سَوّار بن عبدالله العنبري قاضي أمير المؤمنين المنصور بالبصرة ، فخاف ألاّ يُجيز شهادته ، فغرم المال افتداءً من الشهادة ، وكان ذا يسار وسخاءٍ يصوغ الغناء ويتغّنى للناس أيضاً ؛ وكان لحليلان ابن يقال له سعيد ، صاحب نبيذ ، وكان حسن المذهب سخيّاً .

وكان كنية عَتّاب بن أُسيد أبا عبد الرحمن ، وأمّه وأمّ خالد بن أُسيد بن أبي العيص زَيْنب بنت أبي عمرو بن أميّة ، وأسلم خالد بعد فتح مكة وتوفّي بمكة ، ويقال انّه استُشهد باليمامة ، ويزعم قوم أنّ رسول الله ﷺ مرّ به فسلّم عليه فلم يُردّ فقال : «اللهمّ جَنّبْهم النصر وأَلزمْهم العجز» ، فلم يلق أحد من ولده أحداً إلاّ هزمه العدوّ .

فولد خالد بن أُسيد:أميّة بن خالد ، وعبدَالله بن خالد ، وأبا عثمان .

فأمّا عبدالله بن خالد فكان ذا قدر ، ولاّه زياد أُرْدَشيرخُرَّه من فارس ، ويقال ولاّه فارس بِأَسْرها ، ووهب له ابنة جُوانبوذان بن المُكَعْبر فولدت له الحارث بن عبدالله ، وكتب زياد إلى معاوية وعبدالله بن خالد عنده أن آبعث إليَّ رجلاً من قريش يكون بقربي فإن حدث بي حدث استخلفته ، فكتب

إليه : آخترْ من شئت ، فاختار عبدالله بن خالد ، فكان عند زياد وهو صلّى عليه حين مات ، وجعله خليفته فلم يزل قائماً بعمله حتى قدم الضحّاك بن قيس الفِهْري والياً على الكوفة ، فلعبدالله بن خالد يقول قُبَيْع النَصْري :

وأنْتَ كَريمٌ من لُؤَيِّ بْنِ غالِبٍ وقَومُكَ أَقْوامٌ وأنْتَ شَرِيفُ

فولد عبدالله بن خالد بن أُسيد أميّة بن عبدالله ، وخالدَ بن عبدالله ، وعبد الرحمن ، وأمّهم بنت شَيْبة بن عثمان العَبْدَري يقال لها أمّ حُجْر ؛ وعبدَ العزيز بن عبدالله ، وعبدَ الملك بن عبدالله ، وأمّهما أمّ حبيب بنت جُبير بن مُطْعِم ؛ وعمران ، والقاسم ، وعمر ، ومحمداً ، والمُخارِق ، والحصين ، وأبا عثمان لأمّهات أولاد شَتّى .

فأمّا أميّة بن عبدالله بن خالد فكان يكنى أبا عبدالله ، استعمله زياد على السُوس ، ثم على الأُبُلَّة وكُوَر دِجْلة ، وزوّجه رَمْلة بنت زياد ، وكان أميّة جواداً ، فتوجّه إلى أبي فُديك عبدالله بن ثور الخارجي وهو بالبَحْرين ، ففرّ أبو فُديك ، فقال الفرزدق :

جاءوا على الريحِ أَوْ طاروا بِأَجْنِحَةٍ ساروا ثلاثاً إلى الجَلْحاءِ مِنْ هَجَرا[1]

حدثنا خَلَف بن سالم حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن عمّه مصعب بن زيد ومحمد بن أبي عُيَيْنة قالا : خرج أبو فُديك بالبَحْرين فلقيه أميّة بن عبدالله فهُزم ، فركب أميّة فرساً له جواداً كان يقال له المِهْرَجان فدخل البصرة عليه في ليلتين ، فقال يوماً وهو بالبصرة : لقد سرت على

١ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص ٣١٠ وفيه «إلى البحار من هجرا» .

المِهْرَجان إلى البصرة فدخلتها في ليلتين ، فقال بعضهم : هذا المِهْرَجان فلو ركبت النَوْروز لم تسر إلاّ ليلةً حتى تدخلها .

وحدثنا خَلَف وأحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي قالا : حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن مصعب بن زيد وغيره أنّ خالد بن عبدالله قدم البصرة فتجهّز لقتال الحروريّة ، ثم خرج اليهم وهم بِنَهْر تِيرَى ، وكان بإزائه قَطَريّ ، وخرج أبو فُديك بالبَحْرين ، فبعث إليه خالد أخاه أميّة فهُزم ، فبعث عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر فقتله ، ثم استعمل عبد الملك أميّة على خراسان فمكث عليها حيناً ، ثم أتى دمشق فمات بها ، وصلّى عليه عبد الملك وقال : أما إنّي أعلم أنّ بقائي بعده قليل .

وكان أميّة ولّى ابنه عبدالله بن أميّة سِجستان فقال أبو حُزابة[1] :

إنّي وإن كُنْتُ كبيراً نازِحا يَطَّرِحُ القفر بِيَ المَطارِحا
أَلْقَى مِن الغُرّام[2] بَرْحاً بارِحا لَمادِحٌ إنّي كَفَى بي مادِحا
مَن لَمْ أَجِدْ في العِرْضِ مِنْهُ قادحا إنَّ لِعَبْدالله وَجْهاً واضِحا
ونَسَباً في الصالحين صالحا النافِحينَ بالنَدَى المَنافِحا

وخرج عبدالله بن أميّة مع ابن الأشعث فآمنه الحجّاج وبعث به إلى عبد الملك ، فلما دخل عليه قال : ويلك أَخَرَجْتَ مع ابن الأشعث ؟ فقال : إنّما مثلي ومثلك قول الشاعر :

---

١ ـ الوليد بن حنيفة ، شاعر من شعراء تميم في الدولة الأموية ، بدوي ، حضر وسكن البصرة . الأغاني ج ٢٢ ص ٢٦٠ .
٢ ـ أي الدائنون .

إذا نَزَواتُ الحُبِّ أحدَثْنَ بَيْننا عِتاباً تَراجَعْنا وعادَ العَواطِفُ

فقال له : كذبت يا أحمق ، وعفا عنه .

ووُلد لعبدالله بن أميّة عبدالله ، أمّه ابنة ضِرار بن القَعْقاع ، وأبو عثمان ، وإبراهيم ، وعبد العظيم .

وكان عبد العظيم فاضلاً ناسكاً ، وذكروا أنّه سأل الحَسَن البَصْري عن لعب الشطرنج فقال : لابأس ما لم تحلفوا عليها ، وتزوّج محمد بن سليمان بن عليّ ابنته نُهيَّة ، ثم خلف عليها اسحاق بن سليمان وماتت عنده .

وكان عبدالله بن أبي عثمان بن عبدالله بن أميّة بن خالد بن أُسيد ولي البصرة ، وذلك أنّ أهلها اصطلحوا عليه حين قُتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، وهرب القاسم بن محمد الثقفي عامل يوسف بن عمر عليها ، وهو القائل :

ما قُرَيْشٌ بِمُنْكِرينَ إذا ما قُلْتُ إنّي كَريمُها وفَتاها

وأقرّه عبدالله بن عمر بن عبد العزيز على البصرة ، ويقال إنّه كان المتولّي لحفر نهر عبدالله بن عمر بالبصرة ، ثم ضعف أمره لأنّه لم يكن معه جند فولّى عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان البصرة وعزله ، وكان ابن أبي عثمان هذا يشذ حين اصطلحوا عليه في كلّ أيّام ساعة ، فيصير إلى منزله فيأتيه وجوه أهل البصرة فيردّونه .

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عَديّ عن ابن عيّاش أنّ أميّة بن عبدالله بن خالد بن أسيد قال لأبيه : والله ما عندك شيء أُقْوَى به ، وقد أردت التزويج ، وماأُظُنُّني إلاّ سآتي زياداً فأخطب إليه ، فقال : يا بُنيّ والله

ما أحبّ أن تخلط سَمْنك بإهالته ، قال : فرحل إلى زياد وهو بالبصرة فقال : يا بن أخي ما أقدمك ؟ قال : لِتَصِلني وتزوّجني ، قال : نَعَم ونُعْمَةَ عَيْنٍ ، فزوّجه آمنة بنت زياد ، ثم دعا كاتبه على الخراج فقال : اطلب له كورةً يعيش بها مرتفعةً عن عُمق السواد ، متَنحيّةً عن حُزونة الجبال وبَرْدِها ، فقال الكاتب : السُوس ، فولّاه إيّاه فقال أميّة : والله ما كنت أفرش إلّا الخزّ ، ولا أستشعر إلّا به ، ولا أشرب إلّا السكر ، ولقد عُزِلْتُ عنها وما أظُنّ أحداً يلبس إلّا الخزّ ولا يأكل إلّا السُكّر ، ثم ولّاه كُوَر دِجْلة ، وولّاه عبد الملك خراسان ، ثم عزله وضمّ خراسان إلى الحجّاج .

وحدثني عليّ بن المغيرة الأَثْرم عن مَعْمر بن المُثنّى قال : كانت عند عبدالله بن خالد بن أُسيد أمّ حُجْر الحَجَبيّة وكانت مُوسِرة ، فضاق عبدالله ضيقاً شديداً فقال لأمّ حُجْر: إنّي خارج إلى معاوية فأصحبيني جاريةً تخدمني ، فأصحبته جارية لها فزّانيّة سوداء ، فخرج إلى معاوية وهي معه ، فوصله معاوية وأسنى له العطيّة ، فانصرف إلى منزله وبالجارية حَبَلٌ ، فسألتها أم حُجْر عن حَبَلها فقالت : هو من عبدالله بن خالد ، فقال عبدالله : والله ما وطئتُها قطّ ، أَوَمِثْلي يطَأُ مثلَها ، وحلف على كذبها ، فولدت غلاماً فسُميّ رشيداً فكان يخدمهم ، ومات عبدالله وبلغ رشيد أربعين سنة فأعتقته أمّ حُجْر ، فاكتنى أبا عثمان ، وادّعى أنّه ابن عبدالله بن خالد .

وأمر عبد الأَعْلَى بن أبي عثمان لِخَلَفِ الأَقْطَع بشيء ولم يُنْفذه فقال :

أراكَ إذا هَمَمْتَ بِفِعْلِ خَيْرٍ هَمَمْتَ لِدَفْعِ ذاكَ بِأَمْرِ شَرِّ
أَبَتْ لَكَ ذاكَ أُماتٌ ثَلاثٌ مِنَ الأَحْبوشِ هُنَّ لِشَرِّ نَجْرِ

وَلَمْ يُعْتَقْ أَبـوكَ مِن اعْتِبادٍ   أَبـو عُثْمانَ إلاّ بَعْـدَ دَهْرِ
أَلَمْ تَـكُ أُمُّهُ أَمَـةً لُكـاعـاً   مِنَ الفَزّانِ قَيْنَةَ أُمِّ حُجْرِ
تَعَمَّمَتِ الخَبيثَ على اعْتِداءٍ   بِـلا إِذْنِ الحَليلَةِ أَوْ بِمَهْـرِ

وأبو عثمان جدّ الحسن بن محمد بن أبي الشوارب عَبْدِ الملك بن محمد بن عبدالله بن أبي عثمان بن عبدالله بن خالد بن أُسيد قاضي سُرَّ مَن رأى .

خبر يوم الجفرة بالبصرة سنة تسع وستين :

كان يقال لها جُفْرة نافع ثم سُميّت جُفْرة خالد .

قالوا : وأمّا خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد فكان جواداً ، ويكنى أبا سعيد ، وكان بالشام مع عبد الملك يحبّه ويستصحبه .

فحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف بإسناده أنّ خالداً قال لعبد الملك : وجّهني إلى البصرة في جماعة من أهل الشام آخُذْها لك وأَدعو الناس إلى طاعتك ، فقال له : اذهب بكتبي إلى وجوه أهلها وامض مستخفياً ، وأنا مُتبعك جنداً كثيفاً مع رجل أثق به ، فسار خالد حتى دخلها وعليها من قِبل مصعب بن الزبير عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر القرشي ثم التَيْمي ، وجّهه إليها من الكوفة عند مقتل المختار بن أبي عبيد ، وكان صاحب شرطته عبّاد بن الحُصين الحَبَطي من بني تميم ، وكان مصعب يستخلفه عليها ويوليّه تدبير الأمر فيها اذا حضرها أو غاب عنها ، فنزل خالد على عليّ بن أُصْمع الباهلي ، فعجز عليّ عن الذبِّ عنه ومَنْعِه من عبّاد إن اراده ، فدلّه على مالك بن مِسْمع بن شِهاب أحد بني جَحْدَر بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة ، فأتى مالكاً فاستجار به وأوصل إليه كتاباً من عبد

الملك ، فسرّه ما وعده فيه ومنّاه فأجاره ، وبعث إلى مَنْ يثقُ به من أهل البصرة ممّن كتب إليه عبد الملك بن مروان وغيرهم ، فأتاه زياد بن عمرو العَتَكي في الأزد إلاّ آل المهلّب ، ووافته خيول بَكْر بن وائل إلاّ آل شقيق بن ثَوْر السَدوسي ، واجتمعت إليه شيعة بني أميّة من العثمانيّة ، وأتاه صَعْصَعة بن معاوية عمّ الأحنف ، وكان ممّن كتب إليه عبد الملك ، وأتاه عبيدالله بن أبي بَكْرة ، ثم قدم عليه عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان من الشام في جيش سرّحه معه عبد الملك إلى خالد كما وعده ، وكان عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان قد خلع مصعباً ولحق بعبد الملك بن مروان لأنّ مصعباً قتل أخاه النابىء بن زياد فكان حنقاً عليه ، فسأل عبد الملك أن يكونَ الذي يوجّهه إلى العراق لمحاربته ، فسرّحه إلى خالد بذلك الجيش وأمره أن يسمع له ويطيع ، فاجتمعوا بالجُفْرة التي تُعرف بجُفْرة خالد ، وزحف إليهم عمر بن عبيدالله بن مَعْمر في الزُبَيْريّة ومن معه من أهل البصرة فاقتتلوا أشدّ قتال وأَبْرَحَهُ ، وفُقئت عين مالك بن مِسْمع يومئذ ، ثم إنّ القوم كرهوا الحرب وخافوا أن يتفانوا فتحاجزوا ، وأقبل مصعب بن الزبير من الكوفة حين بلغه خبر خالد بن عبدالله بن خالد وشُغْلِ عبدِ الملك بن مروان عنه بعَمْرو وبزفر بن الحارث ، وكتابِه إلى خالد أنّه لا يمكنه ورود العراق في عامه لِما انتشر عليه من الأمور ، فوهن أمر خالد ، وطلب مالكُ بن مسمع بن شِهاب ومن معه ممّن أنجد خالداً الأمان من عمر بن عبيدالله فآمنهم ، وهرب خالد بن عبدالله حتى أتى عبدَ الملك ، وهرب أيضاً مالك بن مِسْمع إلى قرية من قرى اليمامة لبَكْر بن وائل يقال لها ثاج ، فلم يزل بها إلى أن صالح عبدالملك زُفَر بن الحارث الكِلابي وانصرف إلى الشام ثم شخص إلى

العراق فقتل مصعباً ، ويقال إنّه رجع إلى البصرة في أيّام حمزة بن عبدالله ثم رَجع إلى ثاج ، ويقال أيضاً انّ مصعباً استُؤمِنَ له حين رجع إلى البصرة .

وولّى عبد الملك خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد بعد استقامة الأمور له بالبصرة ، فأكرم مالكاً ومن كان أجاره وقاتل معه ، فكان عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان أتى الشام بعد الجُفرة ثم قدم العراق مع عبد الملك ، ويقال إنّه اعتزل في بعض النواحي حتى أقبل عبد الملك إلى العراق فأتاه .

وحدثني عليّ بن المغيرة الأَثْرم عن مَعْمَر بن الْمُثَنّى عن أبي عمرو قال : كان قيس بن الهَيْثَم ويكنى أبا كبير خليفةً للحارث بن أبي ربيعة - وهو القباع - على البصرة أيّام ابن الزبير ، وكان ممّن قاتل مالك بن مِسْمع مع الزُبيْريّة وهو على فرس مجلجل ، وقد استأجر قوماً يقاتلون معه فكانوا يرتجزون :

لَساءَ ما تَحْكُمُ يا جَلاجِلُ النَقْدُ دَيْنٌ والطِعانُ عاجـلُ
وأَنْتَ بِالماءِ ضَنينٌ باخِلُ

وحدثنا خلف بن سالم حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال :- ولا أعلمه إلاّ عن مصعب بن زيد - أنّ أشرافَ أهلِ العراق كتبوا إلى عبد الملك بن مروان يدعونه إلى أنفسهم ويخبرونه أنّهم مُبايعوه، فلم يبق بالبصرة شريف إلاّ كتب إليه غير المهلّب بن أبي صفرة ، فبعث عبد الملك خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد ليقاتل في طاعته ، فقدم وقد كان الطاعون الجارف وقع بالبصرة ، وذلك في سنة تسع وستين ، فكثر الموت بالبصرة حتى جعل أهل الدار يموتون عن آخِرهم لا يجدون من يدفنهم ، وأمير البصرة يومئذ

عمر بن عبيدالله بن مَعْمر بها ، استعمله عليها مصعب ، فقدم خالد على مالك بن مِسْمع وعَسْكَرَ بجُفْرة خالدٍ ، ومال إليه كثير من الناس ، فكان ممّن أتاه من الأزد مَعْن بن المغيرة بن أبي صُفْرة ، وكان قد عتب على المهلّب في تأخير صلته ، فكان القوم يغدون إلى المِرْبَد ثم يفترقون : فرقةٌ إلى خالد وفرقة إلى المُصْعَبيّة فإذا رجعوا رجع الأَخَوانِ أحدهما من هؤلاء وأحدهما من هؤلاء فيقول هذا : فعلنا بكم ، ويقول هذا : فعلنا بكم ، فلم يزالوا على ذلك حتى هرب خالد بن عبدالله وتفرّق أصحابه وهرب مالك إلى اليمامة ، فلما قتل عبد الملك مصعباً ودخل الكوفة بعث خالداً أميراً على البصرة ، واستعمل بِشر بن مروان أخاه على الكوفة ، وبلغ ذلك مالكَ بن مِسْمع وهو باليمامة ، فأقبل حتى دخل البصرة ، فأتى دار الإمارة على ناقته ، ففُتح له الباب فدخل حتى أناخ على بِساط خالد ، وأقطعه عبد الملك قطائع كثيرة ووصله ، وكتب عبد الملك إلى المهلّب وهو بإزاء الحَروريّة : إنّ الناس مجتمعون على بيعتي ، فإن دخلتَ فيما دخل الناس فيه عرفنا لك منزلتك وشرفك ، وإن لم تفعل استعنّا بالله عليك ، فكتب إليه : أمّا إذ اجتمع الناس فإني لم أكن أَشُقّ عصا المسلمين ، ولا أسفك دماءهم ، ولا أفرّق جماعتهم ، فكتب إليه بإقراره على ما هو بسبيله .

وحدثني العمري عن الهَيْثم بن عَديّ قال : التقى الأُمَويّة والزُبَيْريّة بالبصرة ففُقِئَت عين مالك بن مِسْمع ، وقال وَهْب بن أَبْجَر العِجْلي :

وَنَحْنُ صَرَمْنا أَمْرَ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ وأَنْتَ بِتَاجٍ لا تُمِرُّ ولا تُحْلي
هَجَرْتَ لُجَيْماً أَنْ أَصبْتَ زِيادَةً وَعُذْتَ بهم عِنْد الزَلازِلِ والأَزْلِ

فَلا تَرْجُ خَيْراً عِنْدَ بابِ ابْنِ مِسْمَعٍ   إذا كُنْتَ مِنْ حَيَّيْ حَنيفَةَ أَوْ عِجْلِ [١]

قال : فقال جرير :

وَفَيْنا كَما أَدَّتْ رَبيعَةُ خالِداً   إلى قَوْمِهِ حَرْباً ولَمّا يُسالِمِ [٢]

وحدثنا خَلَف بن سالم حدثنا وهب بن جرير عن محمد بن أبي عُيَيْنة عن ذَكْوان مولى أبي عُيَيْنة قال : لمّا قدم خالد البصرة واجتمعت الحَروريّة بالأَهْواز خرج إليها خالد في نحو تسعين ألفاً من أهل البصرة والكوفة ومن أمدّه به بِشْر بن مروان ، فقاتلته الخوارج وفلّوه ونادوا : يا خالد يا مُخَنّث ، فأتى البصرة، وكان رئيس الخوارج قَطَريّ، وكان خالد قد وجّه أخاه عبد العزيز إلى جماعة من الخوارج انحازوا إلى فارس ، بعد قتل أبي فُدَيْك ، فهزموه أقبحَ هزيمة وفضحوه ، فكتب خالد بأمر الخوارج إلى عبد الملك وقال للمهلّب : ما ظَنّك بأمير المؤمنين ؟ قال : أحسبه سَيعزلك فما كنتَ صانعاً فاصنعه فقال : أتراه يَنْسى بَلائي ويستخفّ بحقّ قرابتي ؟ قال المهلّب : إنّ الناس حديثو عَهْدٍ بفِتْنَة ، ويبلُغه ما لقيتَه من الخوارج ويأتيه خبرُ أخيك عبد العزيز فيخاف أن يُطمَع فيها قِبَلَك ويُجْتَرأ عليك ، فتنتشرَ الأمورُ وَيضيعَ العملُ ، فعزله عبد الملك وجمع البصرة والكوفة لبِشْر بن مروان .

قالوا : ولما قتل عبد الملك مصعباً ودخل الكوفة ولاّها حين أراد الرجوع إلى الشام قَطَن بن عبدالله بن الحُصين الحارثي أربعين يوماً

١ ـ البيتان الأول والثالث ـ مع فوارق ـ في حماسة أبي تمام ـ ط . دمشق ص ١٠٧١ والشاعر هو عمرو بن الهذيل العبدي ، وهو شاعر ربعي مخضرم له ذكر بالاصابة لابن حجر (ترجمة رقم ٦٥١٩) ، وقيل الشاعر رجل من عجل .

٢ ـ ديوان جرير ص ٤٥٨ مع فوارق .

أو شهرين ، ثم عزله وولّى بِشْراً أخاه ، فاستخلف بِشر على الكوفة حين ولي البصرة عمروَ بن حُريث ، ثم قدم البصرة فأقام أشهراً ، ثم احتُضر فاستخلف خالداً على عمله حتى قدم الحجّاج وقد شدّ خالد على بيت المال فأخرج جميع ما فيه ففرقه على الناس ، فيزعمون أنه جلس مجلسين فلم يقم حتى فرق ألف ألف درهم ؛ وكان الحجاج أراد حَبسه ومُحاسبته ، فأمر عبد الملك أن لا يعرض له فتركه ، فلما شخص عن البصرة شيّعة القرشّيون ، ففرّق فيهم ثلاثمائة ألف درهم .

وقال المدائني وأبو عبيدة : أقبل عبد الملك من الشام يريد العراق ومعه خالد بن عبدالله بن خالد بن أَسيد فقال له : إن وجّهتنيَ إلى العراق وأَتْبَعْتني خيلاً يسيرة كفيتُك البصرة ، فوجّهه عبد الملك فقدمها مستخفياً في خاصّته ومواليه حتى نزل على [علي] بن أَصْـمَع الباهلي ، فأرسل إلى عبّاد بن الحُصين وهو على شرطة ابن مَعْمر : إني قد أَجرت خالداً وأنا أحبُّ أن تعلم ذلك وتكون لي ظهيراً ، فبعث إليه : والله لا أنزل عن فرسي حتى آتيك في الخيل ، فقال ابن أَصْمَع لخالد : لا أغرّك إنّ عبّاداً يأتينا الساعة ولا أقدر على منعك ولكن عليك بمالك بن مِسْمع ، ويقال انّ نزوله كان على عمرو بن أَصْمَع ، وأنّ عبّاداً أرسل اليه ابتداءً : إنّه قد بلغني نزول خالد عليك ، وأنا موافيك في الخيل .

المدائني عن مسلمة وعوانة قالا : فخرج خالد من عند ابن أَصْمَع يركض وعليه قميص قُوهيّ رقيق ، وقد حسر عن فخذَيْه وأخرج رجليه من الركابين حتى أتى مالكاً فقال : إنّي قد اضطُرِرْتُ إليك فأَجِرْني ، قال : نعم ، وخرج وبنو أخيه فأرسل إلى بكر بن وائل والإزد ، فكانت أوّل رايه

أتته راية بني يَشْكُر ، وأقبل عبّاد بن الحُصين في الخيل فتواقفوا ولم يقتتلوا ، فلما كان الغد بدروا إلى جُفْرة نافع بن الحارث التي نُسبت بعدُ إلى خالد ، ومع خالد رجال من بني تميم وافوه ، وهم : صَعْصَعة بن معاوية وعبد العزيز بن بشر ومُرَّة بن مِحْكان الرُبَيْعي ، ومعه عبيدالله بن أبي بَكْرة وحُمْران ومغيرة بن المهلّب ، وكان على الزُبَيْريّة قيس بن الهَيْثَم السُلَمي ، وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه ، فتقاضى رجل أُجرته فقال : غداً أُعطيك إيّاها ، وكان في عنق فرسه جلاجل ، فقال رجل يقال له غطفان بن أُنَيْف أحد بني كعب بن عمرو بن تميم :

لَبِئْسَ ما حَكَمْتَ يا جَلاجِلُ　　النَقْدُ دَيْنٌ والطِعانُ عاجِلُ

وأَنْتَ بِالْبَذلِ ضَنينٌ باخِلُ

وكان على خيل بني حنظلة عمرو بن وَبَرة العُجَيْفي ، وكان [له] عَبيدٌ يؤاجرهم كلَّ يوم بثلاثين فيُعطيهم عشرةً عشرةً ، فقيل له :

لَبِئْسَ ما حَكَمْتَ يا بنَ وَبَرَه　　تُعْطَى ثَلاثينَ وتُعْطي عَشَرهْ

ووجّه مصعبُ بن الزبير زَحْر بن قيس الجُعْفِي مدداً لابن مَعْمَر في ألف ، ووجّه عبد الملك عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان بن الجَعْد أحد بني عائِش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة مدداً لخالد ، فوافى وقد تفرّق الناس عنه ، فلحق بعبد الملك .

أبو الحسن المدائني عن رجل عن السَكَن بن قَتادة قال : اقتتلوا أربعة وعشرين يوماً فأُصيبت عين مالك بن مِسْمِع ، فضجّوا من الحرب ، ومشت السفراءُ بينهم وفيهم : يوسف بن عبدالله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، فصالحهم ابن مَعْمَر على أن يُخْرِج خالداً من البصرة وهم آمنون ، فخرج

خالد فلحق بالشام ، وخاف مالك ألاّ يُجيز مصعبُ أمانَ عمر بن عبيدالله أو عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمر فلحق مالك بِتاج ، فقال الفرزدق :

عَجِبْتُ لأَقوامٍ تَميمٌ أَبُوهُمُ ... وهُمْ في بَني سَعْدٍ عِظامُ المبارِكِ
وكانوا أَعَزَّ الناسِ قَبْلَ مَصيرِهِمْ ... إلى الأَزْدِ مُصْفَرّاً لِحاها ومالِك
وما ظَنُّكُمْ بِآبنِ الحَوارِيِّ مُصْعَبٍ ... إذا آفْتَرَّ عَنْ أَنْيابه غَيْرَ ضاحِكِ
ونَحْنُ نَفَيْنا مالِكاً عَنْ بِلادِهِ ... ونَحْنُ فَقَأْنا عَيْنَهُ بَالنَّيازِكِ[1]

وقال بعض بني حنظلة :

أَبْلِغْ أَبا حَسّان أَنَّكَ إِنْ تَعُدْ ... تَعُدْ لَكَ بالبِيضِ الخِفافِ تَميمُ
تَقاضَوْكَ عَيْناً مِنْكَ حَتّى قَضَيْتَها ... ورُحْتَ وفي الأُخْرَى عَلَيْك خُصومُ

وقال غَطَفان بن أُنَيْف :

كَيْفَ رَأَيْتَ نَصْرَنا الأَميرا ... بصَرْحَةِ المِرْبَدِ إِذْ أُبيرا
يقودُ فيهِ جَحْفَلاً جَرورا ... الخَيْلَ والصَلادِمَ الذّكورا
وصارِماً ذا هيئةٍ مَأْثورا ... فَأَصْبَحَ ابْنُ مِسْمَعٍ مَحْصورا
يَرَى قُصوراً دونَهُ ودورا

وقال الشاعر لمصعب :

أَلْحِقْ أُميَّةَ بِالحِجازِ وخالِداً ... وآضرب عِلاوَةَ مالِكٍ يا مُصْعَبُ
فلَئِنْ فَعَلْتَ لَتَحْزُمَنَّ بِقَتْلِهِ ... ولَيصفُوَنْ لَكَ بِالعِراقِ المَشْرَبُ

وقال آخر :

أَخافُ عَلَيْكَ زِيادَ العِراقِ ... وأَخْشَى عَلَيْكَ بَني مِسْمَعِ

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٥٧ .

فقال مصعب : يكفي الله مؤونتهم .

قالوا : ولما بويع مصعب وانصرف عبد الملك إلى دمشق بسبب عمرو الأشدق لم يكن له همّة إلاّ البصرة ، وطمع أن يدرك خالداً ، فلمّا قدمها وجده قد خرج ، ووجد ابن مَعْمَر قد آمن الجُفْريّة ، فغضب على ابن معْمر وحلف أن لا يوليّه ، وأرسل الى الجُفْريّة فشتمهم وأنّبهم وقال : نصرتم ابن طَريدِ رسولِ الله ﷺ على ابن حواريه ، وأقبل على عُبيدالله بن أبي بكْرة فقال : يا بن مَسْروحٍ إنّما أنت ابن كلبة تعاورتها الكلاب فجاءت بأحمر وأسود وأصفر من كلّ كلبٍ ما يُشبهه ، وإنما كان أبوك عبداً نزل إلى رسول الله ﷺ من حصن الطائف ، تدّعون أنّ أبا سفيان زنى بأُمكم ، أما والله لئن بقيتُ لأُلحِقَنْكم بنسبكم ، ثم دعا بحُمْران فقال : يا بن اليهوديّة إنّما انت علج نَبطيّ سُبيتَ من عَيْن التَمْر وكان أبوك يُدْعى أبي . ثم قال للحَكَم بن المنذر بن الجارود : يا بن الخبيثة اللَخْناء أتدري من أنت ومن الجارود ؟ إنما كان علجاً بجزيرة ابن كاوانَ فارسياً فقطع إلى ساحل العرب فانتمى إلى عبد القيس ، ولا والله ما أعرف حيّاً أشدّ إشتمالاً على سَوْءَة منهم ثم انكح أختَه المُكَعْبِر الفارسيّ فلم يُصِبْ شرفاً قطّ أعظم من ذلك ، فهؤلاء ولدها يا بن قباذ ؛ ثم أُتي بعبدالله بن فَضالة الزَهْراني فقال : ألستَ من أهل هَجَر ثم من اهل سمَاهِيج[1] ؟ أما والله لأَرُدَّنّك إلى نسبك . ثم أُتي بعليّ بن أُصْمَع فقال : أنت عبد لبني تميم مرّة ، وعربي من باهلة مرّة . ثم أُتي بعبد العزيز بن بِشْر بن حناط فقال : يا بن المشتور ألمْ يسرق عَمّك في زمن عمر

---

١ ـ سماهيج : اسم جزيرة في وسط البحر بين عمان والبحرين . معجم البلدان .

فأمر به فسُيِّر ليقطعه ؟ أما والله ما أعيبُ إلاّ من نكح أختَك ، وكانت اخته تحت مُقاتل بن مِسمع ، ثم أُتي بأبي حاضر الأَسَدي فقال : يا بن الإصْطخْريّة وما أنت والأشراف ؟ إنّما أنت دعيّ في بني أَسَد . ثم أُتي بزياد بن عمرو فقال : يا بن الكِرْماني إنّما أنت علج من أهل كِرْمان قطعت إلى فارس فصرت ملاّحاً ، مالك وللحرب ؟ أنت بجرِّ القَلْسِ أعلمُ . ثم أُتي بعبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص فقال : أَعليَّ تكْثِر وأنت علج من أهل هَجَر لحق أبوك بالطائف ، وهم يضمّون مَن تأشّب اليهم ليتعزّزوا به ، أما والله لأَرُدَّنّك إلى أَصْلك ، ثم أُتي بشَمْخ بن النعمان فقال : يا بن الخبيثة أنت علج من أهل زَنْدَوَرْد[1] هربت أمّك وقُتل أبوك فتزوّج أخته رجلٌ من بني يَشْكُر فجاءت بغلامَيْن فأَلحقك بنسبهما . ثم ضربهم مائةً مائةً ، وحلق رؤوسهم ولِحاهم ، وهدم دورهم ، وصهرهم في الشمس ثلاثاً ، وحملهم على طلاق نسائهم ، وجمّر أولادهم في البعوث ، وطاف بهم في أقطار البصرة ، وأحلفهم أن لا ينكحوا الحرائر ؛ فلما استقام الأمر لعبد الملك أمر ببناء دورهم . وبعث مصعبٌ خِداشَ بن يزيد في طلب مَن هرب من أصحاب خالد ، فأدرك مُرَّةَ بن مِحْكان فقال :

بَني أَسَدٍ إنْ تَقْتُلوني تُحارِبوا ... تَميماً إذا الحَرْبُ العَوانُ أشْمَعَلَّتِ
بَني أَسَدٍ هَلْ عِنْدكُم مِنْ هَوادَةٍ ... فَتْعْفوا وإنْ كانتْ بِيَ النَعْلُ زَلَّتِ
أَيمْشي خِداشٌ في الأَزِقَّةِ آمِناً ... وقد نَهِلَتْ مِنّي الرِماحُ وعَلَّتِ

---

١ - زندورد : مدينة كانت قرب واسط ، مما يلي البصرة ، خربت بعمارة واسط . معجم البلدان .

فضرب به خِداش فقتله وكان على شُرَط مصعب يومئذ ، وهدم مصعب دارَ مالك بن مسمع وأخذ ما كان فيها فكان مّما أخذ جارية ولدت له عمر بن مصعب ، ولم يزل مصعب بالبصرة حتى أتى الكوفة ثم مَسكِن[1] فقُتل .

قالوا : لما قُتل مصعب وثب حُمْران بن أَبان ، وعبيدالله بن أبي بَكْرة فتنازعا ولاية البصرة ، فقال ابن أبي بَكْرة : أنا أعظم غناءً منك ، أنا كنت أُنفق على أصحاب خالد بن عبدالله يوم الجُفرة ، فقيل لحُمْران : إنّك لا تقوى على ابن أبي بكْرة فآستعن بعبدالله بن الأَهْتَم ، فاستعان به فغلب حُمْرانُ على البصرة ، وجعل ابنَ الأَهْتَم على شُرَطها ، وكان لحُمْران عند بني أميّة منزلة ، وزعموا أنّ رداءَ حُمْران زال عن كتفه فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيّهما يسويه ، وقيل إنه مدّ رجلَه فابتدرها معاوية وابن عامر أيّهما يغمزها ؛ وكان الحجّاج حبس حُمْران لأنّه وليَ لخالد بن عبدالله سابور فكتب إلى عبد الملك :

لو بِغَيْرِ المـاءِ حَلْقي شَرِقٌ كُنْتُ كالغَصّانِ بِالماءِ اعتِصاري

فكتب إلى الحجّاج : إنّ حُمْران أخو مَن مضى منّا ، وعمّ من بقي ، وهو رُبْع من أرباع بني أميّة ، فلا تعرضْ له وأَكْرِمْه واعرف له حقَّه ، ففعل واعتذر إليه ورد عليه ما استأداه ، وبعث بذلك مع غلمان وَهَبهم له ، وكان الذي أغرمه مائة ألف درهم ، فقسمها في أصحابه ، وقال للغلمان : أنتم أحرار .

---

١ ـ مسكن : موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق . معجم البلدان .

المدائني قال : ولي خالد بن عبدالله البصرةَ سنتْين فوجّه في ولايته أخاه أميّة إلى أبي فُدَيْك إلى البَحْرين فهزمه أبو فُدَيْك ، ووجه أخاه عبد العزيز بن عبدالله إلى الأزارقة بفارس فهزموه أيضاً ، وأخذوا امرأته أمَّ حَفْص بنت المنذر بن الجارود فقتلوها ، فقال الفرزدق :

كلُّ بَني السَوْداءِ قَدْ فرَّ فرَّةً ... فلَمْ يبْق إلاّ فَرَّةٌ عِنْدَ خالِدِ
فَضَحْتُمْ قُرَيْشاً بِالفِرارِ وأَنْتُمُ ... لدى الحَرْبِ أَنْكاسٌ قِصارُ السواعِدِ[1]

فطلبه خالد فلحق بِبِشْر بن مروان وقال :

وما كفَّ عَنّي خالدٌ عَنْ تَقِيَّةٍ ... ولكِنْ بَدَتْ دوني اللُّيوثُ الهَواصِرُ
غَداةَ رَأى مِن مالِكٍ تَحْتَ غابِها ... وَرائي ودوني مَن يَخافُ المُحاذِرُ
تحلَّلْتَ إذْ أَقْسَمْتَ أنكَ قاتِلي ... وكفِّرْ إذا آليت أنَّكَ قادِرُ
أتوعِدُني والمالِكانِ[2] كِلاهما ... ورَائي وسَعْدُ والحُلولُ الكَراكِرُ
هُمُ مَنَعوني مِنْ زيادٌ وقد رأى ... زِيادٍ مَكاني وَهْو للناس قاهِرُ
ومِن مُصْعَبٍ حَيْثُ القُباعُ لخوفه ... عَلَيَّ ولَمّا تَسْتَطِعْني زَماجِرُ[3]

وقال في ابن أبي بَكْرة :

تَداركَني مِنْ خالِدٍ بَعْدَ ما آلْتَقَتْ ... على ودَجي أَنْيابُهُ[5] ومَخالِبُهْ[4]

قال أبو الحسن : ولما قُتل مصعب خرج رسول فَطَمَّ إلى مالك بن مِسْمع وهو بثاج يبشّره بقتله ، فقدم وخالد بن عبدالله بالبصرة قد قدمها

١ - ليسا في ديوانه المطبوع .
٢ - المالكان : مالك بن زيد مناة ، ومالك بن حنظلة .
٣ - ليست في ديوانه المطبوع .
٤ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٥٤ .
٥ - طم : خف ، أوعدا سهلاً . القاموس .

والياً ، فجاء يسيرُ حتى أناخ ناقته على بساط خالد ، فقال العُدَيْل بن الفَرْخ :

أُنيخت على ظَهْرِ البِساطِ فَلَم تثرْ على رَغْمٍ مَنْ أمْسَى عَدُوّاً لِخالدِ

ثم انصرف مالك إلى داره وقد هُدمت ، فعدل عنها فنزل في بني جَحْدرَ ، ولم يمكث مالك إلاّ سبع عشرة ليلة حتى هلكْ ، فدُفن عند دار عيسى بن سليمان حيث دُفن بعده بِشر بن مروان ، وجاءَ مالك فخاصم في الجارية التي أخذها مصعب ، فمات قبل أن يُحكم له بها .

وقال الأخطل يمدح خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد ، وقدم إليه وهو بالبصرة :

إلى خالدٍ حَتَّى أَنَخْنَ بِخالدٍ فنِعْمَ الفَتَى يُرْجَى ونِعْمَ المُؤَمَّلُ
أخالِدُ مَأْواكُمْ لِمَنْ حَلَّ واسِعٌ وجَدْواكَ غَيْثٌ للصَعاليكِ مُرْسَلُ
أَبَى عودُكَ المَعْجومُ إلاّ صَلابَةً وكَفَّاكَ إلاّ نائِلاً حينَ تُسأَلُ
ألا أيُّها الساعي لِيُدْرِكَ خالِداً تَناهَ وأَقْصرْ بَعْضَ ما كُنْتَ تَفْعَلُ
فَهَلْ أَنْتَ إن مَدَّ المَدَى لَكَ خالِدٌ مُوازٍ لَهُ أَو حامِلٌ ما يُحَمَّلُ(١)

وحدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن ابن عَوانة عن عَوانة قال : كان خالد وأميّة ابنا عبدالله بن خالد بن أُسيد عند عبد الملك بن مروان ، فقدمت عليه عِير من العراق عليها مالٌ حمله الحجّاج بن يوسف ، فقال عبد الملك : هذا والله الجَلَب الأَغرّ لا جَلَبُكما ، أمّا أنت يا خالد فاستعملتُك على البصرة وهي تهدم(٢) بالأموال فاستعملتَ كلَّ ذئب فاجر : تحمل من العشرة درهماً

١ ـ ديوان الأخطل ص ٢٢٨ .
٢ ـ الهدمة : الدفعة من المال . القاموس .

وتحتجن التسعة لنفسك ، وأما أنت يا أميّة فإنّي ولَيتك خُراسان وسجستان وهما يقلسان الذهب والفضّة ، فبعثتَ إليّ ببِرذون حَطِم وحريرتَيْن ومفتاح فيه رطل من ذهب زعمت أنّه مفتاح مدينة الفِيل ، وما مدينة الفيل قبحها الله ، فإذا استعملناكم أسأتم وقصّرتم ، وإذا استعملنا غيركم قلتم : حَرَمَنا وقَطَع أرحامنا وآثر علينا غيرنا ، والمُلك لا يصلح إلاّ بالرجال ، والرجال لا يُقيمها إلاّ الأموال ، والأموال لا تجتمع إلاّ بالتوفير والاحتياط وأداء الأمانة ، فقال خالد : بعثَتني إلى البصرة والنَاس بها رجلان : رجل هواه معك ، ورجل هواه لسواك ، فأعطيتُ الذي هواه معك لأَسْتَثْبت مَوَدَّته وأَستديم طاعته ، وأعطيتُ الذي يهوى غيرَك متألفاً لأَجتّر هواه وأُعطّف قلبه وأَستنزل نصيحته ، وكان اتّخاذ الرجال أحبَّ إليّ وأَصْوب عندي من جمع الأموال ، وإنّ الحجّاج جمع الأموال وأَوْغر صدور الرجال ، فكأني بهم قد انتقضوا عليه ، فأَنفقْتَ هذه الأموال وأَضْعافها ، فلما خرج أهل العراق على الحجّاج قال عبد الملك : يا خالد هذا مصداق ما قُلْتَ .

وحدثني الحسن بن عليّ الحِرْمازي عن أبي الحسن المدائني عن عبدالله بن مسلم قال : قال عبد الملك بن مروان : إنّـا لنولّي الرجلَ فيخون ويعجز ، كأنه يعرِّض بخالد بن عبدالله بن خالد بن أَسيد ، فقال خالد : أمّا العجز فإنّه لم يعجز مَن وطّأ لكَ مجلسك هذا ، وأمّا الخيانة فما طُلب العمل إلاّ لاصطناع المعروف ، وما زال الناسُ من لدن عثمان يصيبون من هذا المال : أنت وغيرك ، فسكت عبد الملك .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مِسْكين المَدَني قال : باع خالد بن عبدالله ثمرة أبيه وحمل ثمنها في كُمّه ، فلقيه أبو صخر الهُذَلي

فقال له : هب لي هذه الدنانير التي في كمّك ، فقال : والله ما مدحتَني قطّ ، قال : بلى والله قبل أن تولد ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

إذا نُفِسَ المَوْلودُ مِنْ آلِ خالِدٍ ... بَدا كَرَمٌ لِلناظِرينَ يَطيبُ

قال : خذها فهي لك ، فأتى أباه عبدالله بن خالد فسأله عن ثمن الثمرة فأخبره بخبرها فقال : أحسنتَ ، وكانت ثلاثمائة دينار .

وكان سعيد بن خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد جواداً يقال له عَقيد الندى ، فمدحه موسى شَهَوات فقال :

فِدىً لِلكَريمِ العَبْشَمِيِّ ابْنِ خالدٍ ... بَنِيَّ ومالي طارِفي وتَليدي
عَقيدُ النَدى ماعاشَ يَرْضى به الندى ... فإن ماتَ لم يَرْضَ الندى بِعقيدِ
أَبا خالِدٍ أَعْني سَعيدَ بْنَ خالدٍ ... أَخا العُرْفِ لا أَعْني ابْنَ بِنْتِ سَعيد
ولكِنَّني أَعْني ابْنَ عائِشَةَ الذي ... كِلا أَبَوَيْهِ خالِدُ بنُ أَسيدِ
دَعُوه دَعوهُ إنَّكُمْ قد رَقَدْتُمُ ... وما هُوَ عن إِحْسانِكُمْ بِرَقودِ

وأمّ عَقيد الندى عائشة بنت عبدالله بن خَلَف الخُزاعي أخت طَلْحة الطَلَحات الجواد ، وأبوه خالد ، وجدّه خالد بن أُسيد ، وكلّ واحد منهما ابن أُسيد ، وابن بنت سعيد : سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان امّه آمنة ـ ويُقال حُمَيْدة ـ بنت سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحة فهو ابن بنت سعيد ، ويقال انّه كان يُغلب على عقله ستّة أشهر ويُفيق ستّة فيكون أصحّ الناسِ وأسخاهم ، وقد ذكر ذلك أبو اليقظان .

وحدثني عبدالله بن صالح المُقْرىء عن ابن عَوانة عن أبيه عن جدّه قال : شكا سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان موسى شَهَوات إلى سليمان بن عبد الملك وقال هجاني ، فقال سليمان لموسى : لا أُمّ لك أتهجو

سعيد بن خالد وهو ابن أمير المؤمنين عثمان ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أحدّثك بقصّتي وقصّته، عشقتُ جارية لبعض أهل دمشق، فأبى أهلها أن ينقصوها من مائتَيْ دينار ، فأتيتُ سعيدَ بن خالد هذا فأخبرته بذلك وسألته أن يشتريها لي ، فقال : بُورِكَ فيك ، فقال سليمان : ما هذا بموضع بُورِكَ فيك ، قال : ثم أتيتُ سعيدَ بن خالد بن عبدالله [بن خالد] بن أُسيد فشكوتُ إليه ذلك فدعا بمُطْرَف خزّ فبسط ثم قال : يا جارية صرّي في كلّ جانب منه مائتَيْ دينار وفي وسطه مائتي دينار ، ثم قال : خذ المُطْرف بما فيه ، فأخذتُه وفيه ألف دينار فقُلْتُ ، وأنْشَدَهُ الأبيات التي تقدّم ذكرها ، وزاد فيها ببيت وهو :

فقُلْ لِبُغاةِ الخَيْرِ قد مات خالدٌ وماتَ النَدَى إلاّ فُضولَ سَعيدِ

قال : فقال سليمان بن عبد الملك : قُل ما بدا لك فلن تُلام .

المدائني عن سُحَيْم قال : كان عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد سيّداً ، وجّهه أخوه خالد إلى الخوارج بفارس وعليهم قَطريّ فهزموه وقتلوا أصحابه وأخذوا امرأته امّ حَفْص بنت المنذر بن الجارود ، فمرّ بالمهلّب فكساه ووصله وحمله ، فقال الشاعر :

عَبْدَ العَزيزِ فَضَحْتَ جَيْشَكَ كُلَّهُمْ وتَرَكْتَهُمْ صَرْعَى بِكُلِّ سَبيلِ
هَلاّ صَبَرْتَ مَعَ الشهيدِ مُقاتِلٍ إذْ رُحْتَ تُمْعِنُ هارباً بِأصيلِ
وتَرَكْتَ عِرْسَكَ والرِماحُ شَوارِعٌ عارٌ عَلَيْكَ إلى المَماتِ طَويلُ

الشهيد : مُقاتل بن مِسْمع كان معه فقُتل .

وولّى عبد الملك عبدَ العزيز بعد ذلك مكة ، فمدحه رجل من بني الحارث بن كعب فقال :

أبا خالدٍ إنّي أعوذُ بخالِدٍ وما جارُهُ بالمُسْتَذَلِّ المُغَرَّرِ
أعوذُ بِبُرْدَيْهِ اللَّذَيْنِ ارْتَداهُما كريمُ المُحَيّا طَيِّبُ المُتَأَزَّرِ

وعزل عبد الملك عبد العزيز وولّى بعده أخاه عمرو بن عبدالله ، وبقي عمرو إلى دولة بني العبّاس .

وأما عبد الملك بن عبدالله بن خالد بن أسيد فله شرفٌ وعقب بالبصرة .

ومن ولد عبد الرحمن بن عبدالله بن خالد بن أسيد العالية بنت عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، تزوّجها المنصور أمير المؤمنين ، وبعث اسحاقَ الأزرقَ مولاه فحملها من الحجاز ، وحمل إليه امرأة أخرى تزوجها من ولد طلحة بن عبيدالله التيمي .

وولد أبو العاص بن أمية :

عفّان وعفيف بن [أبي] العاص درجا ، وعَوْفاً درج في الجاهليّة ، وصفيّة ، أمّهم آمنة بنت عبد العزيز بن حارث من بني عَديّ ، والحَكَم ، والمغيرة ، ورَيْحانة تزوّجها بشر بن دُهْمان الثقفي ، أمّهم رُقَيّة بنت الحارث بن عُبيد بن عمر بن مخزوم ؛ فأمّا صفيّة فتزوجها أبو سفيان بن حرب ، وسعيدَ بن أبي العاص درج ، وخالدةَ تزوّجها الأَخْنَس بن شريق الثقفي ، ولُبابَة أمّها صفيّة بنت ربيعة بن عبد شمس ، تزوّجها غَيْلان بن سَلَمة بن مُعَتِّب الثقفي ، وأمّ حبيب بنت أبي العاص تزوّجها أميّة بن أبي الصَلْت الثقفي الشاعر .

وأما المغيرة بن أبي العاص فولد معاويةَ بن المغيرة ، وأمّه ابنة صفوان بن نوفل بن أَسَد بن عبد العُزى ، فولد معاويةُ بن المغيرة عائشةَ أمَّ عبد الملك بن مروان ، وكان معاوية بن المغيرة جدع أنفَ حمزة بن عبد المطّلب ، فقُتل بأُحُد بعد انصراف قريش بثلاث ، ولا عقبَ له سِوى عائشة ، وأمّ عائشة ابنة عُقْبَة بن أبي مُعَيط .

وكانت لمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ابنة يقال لها أمّ جميل ، تزوّجها سفيان بن عبد الأَسد المخزومي ، وكانت له ابنة ثالثة يقال لها عَمْرة تزوجها أبو تجراه النصراني فهم يعابون بذلك .

وقال المدائني : لعن رسول الله ﷺ الحَكَم وولده إلاّ المؤمنين منهم ، وسيّره النبي ﷺ إلى بطن وجّ .

وقال المدائني : في آل الحَكَم يقول حسّان ، وكانوا في الجاهليّة فقراء :

لَقَدْ أَبْصَرْتُكُمْ عن غَيْرِ بُعْد وما تُلْقُونَ في بيت بِساطا
وكان أَبي لَكُمْ في الدَهْر نَكْلاً وفي الإسلام كُنْتُ لَكُمْ عِلاطا[1]

فقال عبدالله بن عمر : عِلاط سوء ، وقال عبد الملك : ما كان ابن الزبير يعيّرنا به ؟ قالوا : الفقر .

فولد عفّان بن أبي العاص عثمانَ بن عفّان ويكنى أبا عمرو وأبا عبدالله ، وآمِنةَ وأرْنب وهي أمّ طَلْحة ، أمهم أَرْوَى بنت كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، فأمّا آمنة فتزوجها الحكم بن كَيْسان حليف بني

١ ـ لم يردا في ديوان حسان ، وهما في الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار ـ ط . بغداد ١٩٧٢ ص ٢٥٦ ، لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

المغيرة ثم تزوّجها عبدالله بن أبي سعد ـ ويقال ابن سعد ـ حليف أبي أميّة بن المغيرة ، ويقال انّه من سَعْد العشيرة .

وقُتل عفان بالغُميْصاء[١] مع الفاكه بن المغيرة ، ويقال إنّه مات بالشام في تجارة ، ومات عفّان وحربُ بن أميّة في شهر واحد ، فقال الحارث بن أميّة الأصغر بن عبد شمس وكان شاعراً :

والله لولا أنّ حَرباً دعامة لَقُلْتُ على عفّانَ ما يُسْمعُ الصُمّا
أفي نصف شَهرٍ كان مَوْتُهُما معاً لقد جاء أهلَ الله[٢] ما يُنْطِقُ البُكما

وإخوة عثمان لأمّه: الوليد ، وخالد ، وعمارة ، وأمّ كلثوم ، بنو عُقْبَة بن أبي مُعَيْط .

وقال المدائني : لم يكن لعفّان نباهَةٌ فقال الشاعر :

عفان اوّل حائك لثيابكم قِدْماً وقد يُدْعى أَخا الأَشْرارِ
ولكن جاء والله الإسلام فشرف عفّان بعثمان ، والحمدلله[٣] .

---

١ ـ الغميصاء : موضع في بادية العرب قرب مكة المكرمة . معجم البلدان .
٢ ـ بهامش الأصل : يعني أهل مكة .
٣ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر عثمان بن عفان
وفضائله وسيرته ومقتله رضي الله تعالى عنه

أمّ عثمان أَرْوَى بنت كُرَيْز وأمّها أمّ حَكيم البيضاء بنت عبد المطَّلب ، تَوْأَمة عبدالله والد رسول الله ﷺ ، وكان عثمان يُدعى في الجاهليّة أبا عمرو ، فلما ولدت له رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ عبدالله اكتنى أبا عبدالله ، وكناه المسلمون بذلك .

وكانت أمّ حكيم بنت عبد المطَّلب تُرقص عثمان في صغره فتقول :

ظَنّي بِهِ صِدْقٌ وَبِرّ يَأْمُرُهُ وَيَأْتَمِرْ
مِنْ فِتْيَةٍ بيض صُبُرْ يَحْمُونَ عَوْراتِ الدُّبُرْ
ويَضْرِبُ الكَبْشَ النَّعِرْ يَضْرِبُهُ حَتَّى يَخِرْ
مِنْ سررٍ ومِنْ أُخُرْ

المدائني قال : نزل عصفان بن قيس اليربوعي على أروى بنت كريز فقُري وأُكرم فقال :

خَلِّفْ على أَرْوَى السَّلامَ فإِنَّما جَزاءُ الثَّوِيِّ أَنْ يَعِفَّ ويَحْمَدا

حدثني محمد بن سعد مولى بني هاشم عن الواقدي محمد بن عمر عن محمد بن صالح عن يزيد بن رُومان قال : خرج عثمان وطلحة بن عبيدالله على أثر الزبير بن العوّام حين أسلم ، فدخلا على النبيّ ﷺ فعرض عليهما الإسلام وقرأ القرآن فآمنا وصدّقا . وقال عثمان : يا رسول الله قدمتُ حديثاً من الشام ، فلما كنتُ بين معان وموضع سمّاه إذا منادٍ ينادي : أيها النيام هبُّوا إنّ أحمد قد خرج بمكة ، فقدمنا فسمعنا بك ، فلم أتمالك أن جئتك[1] .

قالوا : ولما أسلم عثمان بن عفّان أوثقه عمُّه الحَكم بن أبي العاص بن أميَّة رباطاً وقال : أترغب عن دين آبائك إلى دين مُحدث ؟ والله لا أحُلُّك أبداً ! فلما رأى صلابته في دينه تركه ، وحلفت أُمُّه أَرْوَى بنت كُريز ألا تأكل له طعاماً ولا تلبس له ثوباً ولا تشرب له شراباً حتى يدع دينَ محمد ، فتحوّلت إلى بيت أخيها عامر بن كُريز فأقامت به حولاً ، فلما أيست منه رجعت إلى منزلها .

قالوا : وأتى عثمان رضي الله تعالى عنه أبا أُحَيْحة فقال له : إنّي قد آمنتُ واتّبعتُ محمداً ﷺ ، فقال : قُبِّحْتَ وقُبِّح ما جئت به . ثم خرج من عنده وأتى أبا سفيان بن حَرْب فأعلمه إسلامه فعنَّفَهُ . وكان عثمان ممَّن هاجر الهجرتين جميعاً إلى أرض الحبشة فراراً من قريش بأديانهم وتنحّياً عن أذاهم ومكروههم ، وكانت معه في هجرته الثانية رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «وإنّهما لأوّل من هاجر إلى الله تعالى بعد إبراهيم ولوط». ثم هاجر إلى المدينة ، ولما هاجر من مكة إلى المدينة نزل على أُوس بن ثابت

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٥ .

الأنصاري من بني النجّار ، فأقطعه رسول الله ﷺ داره التي في المدينة وآخى بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ، وآخى أيضاً بينه وبين أوس بن ثابت ، ويقال : آخى بينه وبين سعد بن عثمان الزُرَقي من الأنصار ، ويُكنى أبا عبيد .

وحدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أنَّ عثمان دفع مالاً مضاربةً على النصف[١] .

وحدث ابن دأب عن داود بن الحصين عن عبدالله بن عمرو بن عثمان قال : قال عثمان : دخلت على خالتي بنت عبد المطَّلب أعودها وعندها رسول الله ﷺ فقلت له : يا أبا القاسم ما أعجب ما يقال عليك مع مكانك منّا ، فقال : «يا عثمان لا إله إلا الله» ، الله يعلم أنّي قد اقشعررت ثم قال : ﴿وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ والأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُون﴾[٢] فخرج فاتبعتُه فأسلمت .

المدائني عن سعيد بن خالد عن صالح بن كيسان عن سعيد بن المسيّب قال : نظر رسول الله ﷺ إلى عثمان فقال : «هذا التَّقيّ المؤمن الشهيد شبيهُ إبراهيم» .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عتبة بن جَبيرة عن الحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ عن محمد بن لبيد أنّه رأى عثمان على بغلة عليه ثوبان أصفران وراءه غديرتان .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٠ .
٢ ـ سورة الذاريات ـ الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ .

حدثني محمد بن سعد عن خالد بن مَخْلَد عن الحكم بن الصَلْت عن أبيه قال : رأيت عثمان وعليه خميصة سوداء وهو مخضوب بالحنَّاء(١) .

المدائني عن شعبة عن حصين قال : قلت لأبي وائل : أعليٌّ أفضل أم عثمان ؟ قال : عليٌّ إلى أن أحدث ، فأمَّا الآن فعثمان .

وحدثني محمد بن سعد حدثنا عفَّان بن مسلم حدثنا يزيد بن هارون عن ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن سعد قال : رأيت عثمان على بغل مُصَفِّراً لحيته .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن محمد عن ثابت بن عجلان عن سُليم أبي عامر قال : رأيت على عثمان بُرْداً ثمنه مائة دينار(٢) .

حدثنا عفَّان حدثنا حمَّاد بن سَلَمة أنبأنا عبدالله بن عثمان بن خُثيم حدثنا إبراهيم عن عكرمة عن ابن عبَّاس في قول الله عزّ وجلّ ﴿هلْ يَسْتَوي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾(٣) قال : عثمان بن عفَّان .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سَبْرة عن مروان بن أبي سعيد قال : حدثني الأعرج عن محمد بن ربيعة بن الحارث قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يوسعون على نسائهم في اللباس الذي يُصان ويُتجمَّل به ، ثم يقول : رأيت على عثمان مُطْرف خزٍّ ثمَّنته مائة دينار ، فقال : هذا لنائله ، كسوتُها إيَّاه فأنا ألبسه لأسرّها بذلك(٤) .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٧ .
٢ ـ في ابن سعد ج ٣ ص ٥٨ : برداً يمانياً ثمن مائة درهم» .
٣ ـ سورة النحل ـ الآية : ٧٦ .
٤ ـ بهامش الأصل : مائتي ، وفي ابن سعد ج ٣ ص ٥٨ : «مائتي درهم»

حدثنا عبدالله بن صالح عن ابن أبي الزِناد عن أبيه قال : كان عثمان يتختَّم في اليسار .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده قال : كان عثمان رَبْعة ليس بالطويل ولا القصيرِ حسنَ الوجه رقيق البَشَرة كثَّ اللحية أسمر اللون عظيم الكراديس بعيدَ مابين المنكبين كثير شعر الرأس يصفِّر لحيته[1] .

حدثنا محمد بن الصبّاح البزّاز حدثنا هُشيم بن بَشير عن حصين [عن عمرو] بن جاوان عن الأحنف بن قيس قال : رأيت على عثمان مُلاءة صفراء .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن واقد بن أبي ياسر أنّ عثمان كان قد شدّ أسنانه بالذهب ، قال واقد بن أبي ياسر : وأخبرني عبيدالله بن أبي دارة أنّه كان بعثمان سَلَس البول فكان يتوضّأ لكلّ صلاة[2] .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد وأحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي قالا : أنبأنا أبو أُسامة حمَّاد بن أُسامة عن عليّ بن مَسعَدة الباهلي عن عبدالله الدومي قال : كان عثمان يَلي وضوء الليل بنفسه فقيل له : لو أمرتَ بعضَ الخدَم لكفاك ، فقال : الليل لهم يستريحون فيه .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا عفَّان أنبأنا وهيب بن خالد عن يونس عن الحسن قال : رأيت عثمان بن عفَّان نائماً في المسجد متوسّداً رداءَه[3] .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٨ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٨ .
٣ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٠ .

حدثنا خَلَف بن هشام البزّار حدثنا هُشيم أنبأنا محمد بن قيس عن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان على المنبر يوم الجمعة والمؤذّنون يؤذّنون وهو يحدّث الناس ويستخبرهم عن أسعارهم وأخبارهم ومَرْضاهم .

ورورى الواقدي في إسناده عن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان على المنبر ، فذكر نحوه وزاد فيه : فإذا سكت المؤذّن قام فتوكأ على عصاً له عقفاء وخطب وهي بيده ثم يجلس جلسته فيبتدىء كلام الناس فيسألهم كمسألته الأولى ثم يقوم فيخطب ويُقيم المؤذّنون .

حدثنا عفان حدثنا سُليم بن أخضر عن ابن عون عن ابن سيرين قال : كان عثمان أعلمهم بالمناسك وبعده ابن عمر .

وحدثنا عفّان بن مسلم ، حدثنا وُهيب بن خالد ، أنبأنا خالد الحذّاء ، حدثني أبو قِلابة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «أصدق[١] أمّتي حياءً عثمان» .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا عبدالله عن نُمير عن قيس عن أبي إسحاق عن رجل سمّاه قال : رأيت رجلاً طيِّب الريح نظيف الثوب قائماً يصلّي إلى الكعبة وغلام خلفه كلّما تعايا فتح عليه فقلت : من هذا ؟ قالوا : عثمان[٢] .

حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي شيبة حدثنا زيد بن الحُباب أنبأنا ابن لَهيعة عن يزيد بن عمر المَعافري قال : سمعت أبا ثور الفَهْمي يقول : قال عبد الرحمن بن عُديس البَلَوي وكان ممّن بايع تحت الشجرة : دخَلْنا على عثمان وهو محصور فقال : إني رابع الإسلام .

---

١ ـ بهامش الأصل : «أشد» .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٧٦ .

محمد بن أبان والمدائني عن أبي هلال عن قتادة قال : قال رجل بالكوفة : أشهد أنّ عثمان قُتل شهيداً ، فأُتي به عليٌّ عليه السلام فقال له عليّ : وما علّمك ؟ قال : فأنت تعلم ، أتيتُ رسول الله ﷺ وأنت حاضر فسألتُه فأعطاني ، وسألت أبا بكر فأعطاني ، وسألت عمر فأعطاني ، وسألت عثمان فأعطاني ، فقلت للنبي ﷺ : ادعُ لي بالبركة ، فقال : «وكيف لا يبارك الله لك إنما أعطاك نبيّ أو صدّيق أو شهيد» .

وحدثنا خَلف البزّار حدثنا أبو شهاب عن خالد عن أبي قِلابة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «أرحمُكم أبو بكر ، وأشدُّكم في الدين عمر ، وأقرؤكم أُبَيّ ، وأصدقكم حياءً عثمان ، وأعلمكم بالحلال والحرام مُعاذ بن جَبَل ، وأفرضُكم زيد بن ثابت ، ألا وإن لكلّ أُمة أميناً وامينُ هذه الأمّة أبو عبيدة بن الجرّاح» .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا يحيى بن الحجّاج عن أبي مسعود الجُريري عن ثُمامة بن حزن[1] القُشيري قال : أشرفَ عثمان من داره علينا فقال : ائتوني بصاحبَيْكم اللّذَيْنِ ألّباكم عليَّ ، قال : فجيء بهما كأنّهما حماران فقال : أنشدكما الله هل تعلمان أنّ رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء مستعذَب إلّا بئر رُومة فقال : «مَنْ يشتري بئر رومة فيجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين بِخَيرٍ له منها الجنَّة» ؟ فاشتريتها من صُلب مالي ؟ قالا : اللهمَّ نعم ، قال : فأنشدكما الله والإسلامَ هل تعلمان أنّ المسجد ضاق بأهله ، فقال رسول الله ﷺ : «من يشتري بقعة آل فلان لتُزاد في المسجد بخيرٍ له

١ ـ بالأصل «ابن حرب» وهو تصحيف ، انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ـ عثمان بن عفان ـ ط . دمشق ١٩٨٤ ص ٣٣٩ . تهذيب التهذيب لابن حجر (مادة ثمامة) .

منها الجنَّة» ؟ فاشتريتها من صلب مالي ؟ قالا : اللهمّ نعم ، قال : فأنشدكما الله هل تعلمان أنّي جهَّزت جيش العُسرة من مالي ؟ قالا : اللهم نعم ، قال : أنشدكما الله هل تعلمان أنّ رسول الله ﷺ كان بثَبير ـ أو قال بِحراء ـ فتحرّك الجبل حتى تساقطت حجارته إلى الحضيض فركضه برجله فقال : «اسكُنْ ، فما عليك إلا نبي أو صدّيق أو شهيد» ؟ قالا : اللّهم نعم[١] .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ومحمد بن حاتم بن ميمونَ قالا : حدثنا عبدالله بن ادريس قال : سمعتُ حصيناً يذكر عن عمرو بن جاوان عن الأحنف بن قيس قال : قدمنا حاجِّين فإنّا لَبِمنى[٢] إذ أتى آتٍ فقال : إنّ الناس قد اجتمعوا في المسجد ، فانطلَقْنا فإذا الناس مجتمعونَ على نَفَر في وسط المسجد ، وإذا عليٌّ والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقّاص ، قال : فإنّا كذلك إذ جاء عثمان وعليه مُلاءةٌ صفراءُ قد قنَّع بها رأسه فقال : أَنشدكم الله الذي لا إله إلا هو ، أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال : «من ابتاع مِرْبَد بني فلان غفر الله له» ، فابتعته له بعشرين ـ أو قال : بخمسة وعشرين ـ ألفاً فقال : «اجعَلْه في مسجدنا وأجرُه لك» ؟ قالوا : نعم ، قال أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال : «من ابتاع بئر رُومة غفر الله له» ، فابتعتها بكذا وكذا ، فقال : «اجعَلْها سقاية للمسلمين وأجرُها لك» ، قالوا : اللهمَّ نعم ، قال : أنشدكم الله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم فقال : «من جهَّز هؤلاء ـ يعني جيش العُسرة ـ غفر الله له» ، فجهَّزتهم حتى

---

١ ـ ورد هذا الخبر مع أخبار مماثلة في تاريخ دمشق ـ نفسه ـ ص ٣٣٤ ـ ٣٤٣ .
٢ ـ في ابن عساكر ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ «بالمدينة» . .

لم يفتقدوا عِقالاً ولا خِطاماً؟ قالوا: نعم، قال اللهمّ اشهَد، اللهمّ اشهَد، اللهمّ اشهَدْ.

وحدثني عمر بن بكير عن هشام ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عبَّاس قال: تدارَأ[1] عثمان والزبير في شيءٍ فقال الزبير: أنا ابن صفيَّة، فقال عثمان: هي أَدْنتك من الظلّ، ولولا هي كنتَ ضاحياً.

حدثني رَوْح بن عبد المؤمن المقرىء حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا قرّة بن خالد عن محمد بن سيرين قال: جمع عثمان القرآن على عهد رسول الله ﷺ، يقول: حفظه.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن مسلم بن يسار قال: جمع عثمان القرآن على عهد عمر، قال الواقدي: وهذا أثبتُ ما رُوي.

حدثنا شيبان بن فرُّوخ الأُبُلّي حدثنا سلام بن مسكين وأبو هلال قالا: حدثنا محمد بن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين أرادوا قَتْلَه: إن تقتلوه أو تَدَعوه فقد كان يُحيي الليل بركعة يختم فيها القرآن.

حدثني الحسين بن عليّ بن الأسود أنبأنا أبو أسامة عن محمد بن عمرو عن محمد بن إبراهيم عن عبد الرحمن التَيْمي قال: قمت في الحِجْر فقلت: لا يغلبني عليه أحد الليلة، فجاء رجل من خلفي فغمزني، فأبيتُ أن ألتفت، ثم غمزني فأبيت أن التفت، ثم غمزني الثالثةَ فالتفتُّ، فإذا عثمانُ، فتأخّرتُ عن الحِجْر، فقرأ القرآن في ركعة ثم انصرف[2].

١ ـ تدارأوا: تدافعوا في الخصومة. القاموس.
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٧٦.

حدثنا شيبان الآجُرّي حدثنا عقبة بن الأصمّ قال ، سمعت الحسن يقول : أعطى رسول الله ﷺ عثمانَ من غنيمة بدرٍ ولم يشهد القتال ، تخلَّفَ على رُقَيَّة .

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام حدثنا شعيب بن حرب حدثنا عبيد بن بُخْت حدثنا رِبْعيّ بن حِراش قال : قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطَّاب : «ألا أدلُّك على خَتَنٍ خير لك من عثمان وأدلّ عثمان على ختن خير له منك» ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : «زوِّجْني ابنتك وأزوّج ابنتي من عثمان» .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي قال ، حدثتني أُمّ غُراب جدّة عليّ بن غراب عن بُنانة أنّ عثمان كان يتنشَّف إذا توضّأ بعد الوضوء ، فكنت أجيئه إذا تنشَّف بثيابه فقال : لا تنظري إليّ فإنّه لا يحِلّ لك ، وعليه حُلَّة صفراء كانت لامرأته ؛ قالت : وكان لحيته بيضاء .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة قال : أعطى عثمانُ طلحةَ في خلافته مائتي ألف دينار .

حدثني خَلف البزّار حدثنا عبد الوهّاب عن عطاء عن سعيد بن أبي عَرُوبة عن ابن أخي مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِخِّير عن مُطَرِّف قال : لقيت عليّاً يوم الجَمَل ، فأسرع إليّ بدابّته فقلت : أنا أحقُّ أن أُسرع إليك ، فقال : أحسبُ عثمانَ منعك من إتياننا ، فأقبلتُ أعتذر إليه فقال : لئن أَحبَبْتَهُ لقد كان أبرَّنا وأوصلنا .

حدثني عبدالله بن صالح وأبو نصر التمّار أخبرني شَريك أخبرني بعض آل حاطب عن أبيه قال : رأيت على عثمان قُوهيّاً وهو على المنبر .

وحدثنا محمد بن سعد حدثنا خالد بن مَخْلَدَ عن إسحاق بن يحيى بن طلحة عن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان وعليه ثوبان مَمصَّران[1] .

المدائني عن عبد الحميد بن مِهْران عن أبيه قال : دخل على سالم بن عبدالله بن عمر رجلٌ ، وكان ممّن يحمد عِليّاً ويذمّ عثمان ، فذكر له فضائل عثمان ثم قال : غزا رسول الله ﷺ غزاة تبوك فلم يلقَ في غزاة من غزواته ما لقي فيها من الظَمَأ والمَخْمَصة ، فاشترى عثمان طعاماً وأُدماً وما يصلح للنبي ﷺ والمؤمنين ، فنظر إليه النبي ﷺ وهو مقبل فرفع يديه وقال : «اللهمّ إنّي راضٍ عنه فارْضَ عنه» ، ثلاثاً .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي قال : أتى عثمان منزل عائشة فسأل عن رسول الله ﷺ فقالت : ذهب يبتغي لأهله قُوتاً فإنّه ما أُوقد في أبياته نار منذ سبعة أيّام ، فقال : رحمك الله أفلا تُعلميني إذا كان مثل هذا ؟ ورجع فبعث بطعام وشاة إلى كلّ بيت . فلما رجع رسول الله ﷺ قال : ما هذا يا عائشة ؟ قالت : بعثَ به عثمان ، فقال : ابعثي منه إلى النسوة ، فقالت : ما منهنّ امرأة إلاّ أتاها مثل هذا ، فرفع يديه وقال «اللهمّ لا تنسَها لعثمان» .

حدثني وهب بن بَقِيَّة عن يزيد بن العَوام بن حَوْشب قال : قال محمد بن حاطب لعليّ : إنّ هؤلاء سيسألونا عن عثمان غداً فما نقول ؟ قال : نقول : كان من الذين ﴿آمنوا وعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ثُمَّ ٱتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ ٱتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾[2]

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٥٧ ـ ٥٩ . الممصر : المصبوغ بالأحمر . القاموس .
٢ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٩٣ .

حدثني أبو عمر الدُوري المقرىء عن عبَّاد بن عبَّاد المهلَّبي عن هشام بن عروة عن عروة قال : أوصى عثمان ولم يتشهَّد في الوصيَّة ؛ قال عبَّاد : إن يتشهَّد الرجل فحسنٌ ، وإن لم يتشهَّد فلا بأس .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا خالد بن مخلد عن إسحاق بن يحيى بن طلحة قال : قال رجل لعثمان : إنك لأجمل الناس ، قال : ذاك رسول الله ﷺ .

حدثنا عمرو الناقد حدثنا قَبيصة بن عقبة عن سفيان الثوري قال : بلغني أنَّ عثمان كان إذا وُلد له ولدٌ دعا به وهو في خِرْقة فشمَّه ، فقيل له : لِمَ تفعل هذا ؟ قال : أُحبّ إن أصابه شيء أن يكون قد وقع له في قلبي شيءٌ ، يعني من الحبّ والرِقّة .

المدائني عن أبي اليقظان عن أبي المِقْدام ، قال : بعث رسول الله ﷺ إلى عثمان بشيء ، فأبطأ الرسول بالانصراف ، فلما رجعَتْ إليه قال : «أراكِ جَعَلْتِ تنظرين إلى عثمان ورُقَيَّة أيّهما أحسن» .

حدثني عَلان الورّاق عن الجُمَحي عن ابن دأب ، قال : كان سعيد بن يربوع بن عَنْكَثة المَخْزُومي يقول : دخلت وأنا غلام ومعي طائر أريد أن أُرسله وذلك في الهاجرة وإذا شيخ نائم تحت رأسه لِبْنة ، فجعلت أنظر إليه متعجباً من حسنه ، ففتح عينه فقال : مَن أنت يا غلام ؟ فأخبرتُه ، فدعا لي بألف درهم وحُلَّة ، فأمر فأُلبستُ الحُلَّة وأُعطيت الألف الدرهم ، فرجعت إلى أبي فأخبرته ، فقال : يا بُنَيّ هذا أمير المؤمنين عثمان .

حدثني مصعب بن عبدالله الزبيري عن أبيه عن أشياخهم أنَّ عبدالله بن الزبير قال : لَقِيَني قوم ممَّن يطعن على عثمان فحاجّوني فحدّثتُهم

بسيرة أبي بكر وعمر وما كان منها مما لم يُعَبْ وعِيبَ على عثمان فحججتُهم حتى كأنّهم صبيانٌ يمضغون سُخُبهم[١] .

وحدثني وهب بن بقيَّة عن يزيد بن هارون عن القاسم الحُدّاني عن أبي سعيد أخي محمد بن زياد قال : قال عليّ : أنا والله على أَثَرِ الذي أتى عثمانُ ، لقد سبقتْ له في الله سوابقُ لا يعذّبه بعدها أبداً .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه أنّ رجلاً كان آنساً بعثمان ، وكان الرجل من ثقيف ، فحُدَّ في الشراب ، فقال له عثمان : لن تعود والله إلى مجلسي والخلوة معي ما لم يكن لنا ثالثٌ .

حدثني عمرو الناقد حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق عن عوف عن محمد بن سيرين قال : قال عليّ بن أبي طالب : إنّي لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممّن قال الله : ﴿ونَزَعْنَا مَا في صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِين﴾[٢] .

وحدثني عمرو الناقد عن عمرو بن عاصم عن جعفر بن أبي وَحْشِيَّة أبي بشر عن يوسف بن سعيد مولى حاطب عن محمد بن حاطب ، وكان قدم البصرة مع عليّ ، أنّ علياً ذكر عثمان فقال ومعه عُود يَنْكُت به ﴿إنَّ آلذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا آلْحُسْنَىَ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُون﴾[٣] أُولئك عثمان وأصحاب عثمان .

---

١ ـ السخب : قلادة من سك وقرنفل ومحلب بلا جوهر ، ومضغهم لها دليل على حيرتهم . القاموس .

٢ ـ سورة الحجر ـ الآية : ٤٧ .

٣ ـ سورة الأنبياء ـ الآية : ١٠١ .

المدائني عن الحسن بن دينار عن ابن سيرين عن أبي موسى الأشعريّ ، أو عبدالله بن عمرو بن العاص ، أنَّ النبيّ ﷺ كان في حائط مدّلياً رجله في بئر، فاستأذن أبو بكر فقال: «ائذنْ له وبَشرّه بالجنَّة»، فدخل فدلّى رجله في البئر؛ ثم جاء عمر فقال: «ائذن له وَبشِّرْه بالجنَّة»، فدخل فدلّى رجله في البئر أيضاً ؛ ثم جاء عثمان فقال النبيّ ﷺ : «ائذن له وبشِّرْه بالجنَّة على بَلْوى شديدة ستناله» ، فدخل وعيناه تذرفان .

المدائني عن الأسود بن شيبان عن ابن سيرين قال : قالت عائشة : دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ وهو مضطجع وعليه ثوبه فقضى حاجته وخرج ، ودخل عمر فقضى حاجته وخرج ، ثم جاء عليّ فقضى حاجته وخرج ، ثم جاء عثمان فجلس له رسول الله ﷺ ، فقلتُ له : لم تصنع هذا بأحد ، فقال : «إنّ عثمان شديد الحياءِ ولو رآني على تلك الحال لانقبض عن حاجته وقصَّر فيها» .

المدائني عن عبَّاد بن راشد عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : «من يجهِّز هذا الجيش ـ يعني جيش العُسرة ـ بشفاعة متقبَّلة» ؟ فقال عثمان : يا رسول الله بشفاعة متقبلَّة ؟ قال : «نعم عَلَى الله ورسوله» ، قال : أنا ، فجهَّزهم بسبعين ألفاً .

وفي حديث آخر أنّ النبيّ ﷺ قال : «كيف لا أستحيي ممّن تستحيي منه الملائكة» ؟

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام حدثنا شعيب بن حرب أنبأنا إسرائيل أنبأنا أبو إسحاق عن حارثة بن مضرِّب قال : حججتُ مع عمر فسمعت الحادي يقول :

إِنَّ الأَميرَ بَعْدَهْ ابْنُ عَفَّانْ

وحدثني أحمد بن هشام ، حدثنا وكيع بن الجرّاح عن الأعمش عن أبي صالح قال : كان الحادي يحدو لعثمان فيقول :

إِنَّ الأَمـيـرَ بَعْـــدَهُ عَــلِيٌّ وفي الـزُّبَـيْـرِ خَلَفٌ رَضِيُّ

فقال كعب : لا بل هو صاحب البغلة الشهباء - يعني معاوية - فأتى معاوية كعباً فقال : يا أبا اسحاق أنَّى يكون هذا وهؤلاء أصحاب النبيّ ﷺ ؟ قال : أنت صاحبها يا أبا عبد الرحمن .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا حمّاد بن أُسامة أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي سَهْلَة مولى عثمان عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه : «وددتُ أنّ عندي بعض أصحابي ، فقلت : يا رسول الله ، أندعو لك أبا بكر ؟ فاسكت ، فقلت : أندعو لك عمر ؟ فأسكت ، فقلت : أندعو لك عثمان ؟ قال : نعم ، فدعوته ، فلما أقبل أشار رسول الله ﷺ أن تَباعَدي . وجاء عثمان فجلس فجعل رسول الله ﷺ يقول له قولاً ولونُ عثمان يتغيّر ، فلما كان يوم الدار قيل لعثمان : ألا تقاتل ؟ فقال : إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً وأنا صائر إليه» ؛ قال أبو سهلة : فيرَوْن أنّه ممّا كان قال له ذلك اليوم .

المدائني عن يزيد بن عِياض عن ابن جُعْدُبة عن صالح بن كيسان قال : كان عثمان محبَّباً في قريش ، قال القائل :

أُحِبُّكَ والرحمنْ حُبَّ قُرَيْشٍ عُثمانْ إذا دعا بالميزانْ

حدثنا عبَّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن خالد بن سعيد الأموي قال : تزوّج سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحة هند بنت الفَرافِصة[1] بن الأحوص الكلبي ، فبلغ ذلك عثمان فكتب إليه إن كان لها أُخت أن يخطبها عليه ، فبعث سعيد إلى الفَرافِصة بن الأحوص الكلبي ، وكان نصرانياً ، أن زوّج أميرَ المؤمنين ابنتَك فقد ذكرها ، فقال لضبّ بن الفرافَصة : زوِّجْها أمير المؤمنين فإنك على دينه ، فزوّجه نائلة ؛ وقال لها الفَرافِصة : إنّكِ تقدمين على نساء من قريش هُنّ أقدر على العطر منك فلا تُغْلَبي على الكحل والماء ، تَطَهَّري حتى يكون ريحك ريح شَنَّةٍ أصابها قَطْر ، فقالت حين حُملت إلى المدينة :

أَلَستَ ترى يا ضَبُّ بِالله أَنَّني ... مُصاحبةٌ نَحْوَ المَدينَـةِ أَرْكُبا
أُريدُ أميرَ المُؤمِنينَ أَخا التُّقى ... وخَيْرَ قُرَيْشٍ مَنْصِباً ثمَّ مَرْكَبا

وكان عثمان مَهَرَها عشرة آلاف درهم وأعطاها كيسانَ أبا سليم وامرأتَه رُمّانة ، وهي من سَبَيْ كرْمان ، فأعتقتها نائلة وهو خرج معها الى الشام بعد عثمان ، ويقال إنّه من موالي كلب ، قدم معها ثم خرج الى الشام معها . فلما دخلت على عثمان جلس على سرير وأُجلست على سرير ثم وضع قلنسوته فبدت صلعته فقال : لا تكرهِن ما تَرَيْنَ من صلعي فإنّ وراءه ما تحبِّين ، فقالت : إنّي من نسوةٍ أَحَبُّ بعولتهنّ إليهنّ الشيخُ السيِّد ، قال : إمّا أن

---

١ ـ بهامش الأصل : «قال ابن ماكولا : قال ابن حبيب : كل اسم في العرب فرافصة فهو مضموم الفاء إلا الفرافصة بن الحارث بن الحصين الكلبي» . الإكمال لابن ماكولا ج ٧ ص ٦٤ ـ مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ـ ط . الرياض ١٩٨٠ ص ٢٣٣ . وفي هذين المصدرين «ابن حصن الكلبي» .

تقومي إليَّ أو أقوم أليكِ، قالت: ما تجشّمتُ من مسافة السَماوة أبْعَدُ من عَرْض البيت، ثم قامت فجلست الى جانبه فمسح رأسها ودعا لها ثم قال: اطرحي ملحفتك، فطرحتها، ثم قال: اطرحي خمارك، فطرحته، ثم قال: اطرحي درعك، فطرحته، ثم قال: اطرحي إزارك، فقالت: أنتَ وذاك، فلم تزل عنده حتى قُتل، فلما دخل عليه أهل مصر، وكانت عظيمة العَجيزة، ضرب رجل منهم بيده على أَلْيَتها فقالت: أشهدُ أنّك فاسق وأنك لم تأْتِ غضباً لله ولا مُحاماةً عن الدين، وذهب بعضُهم ليضرب عثمان فاتّقَتْه بيدها فقطع السيف إصبعَيْن من أصابعها، وولدت لعثمان مريم، فتزوّجها عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، وكانت مريم سيِّئة الخُلق، فكانت تقول له: جئتك بَرْداً وسلاماً، فيقول: قد أفسد بَرْدَك وسلامَكِ سوءُ خلقك، وخطب معاوية نائلة وألحّ عليها، فنزعت ثنيَّتَيْن من ثناياها فأمسك عنها، وولدت لعثمان أمّ أبان وأمّ خالد وأرْوَى أيضاً، وقالت نائلة حين قُتل عثمان:

وما ليَ لا أبْكي وأُبْكي قَرابَتي ... وقد نُزِعَتْ مِنّا فُضولُ أبي عَمْرِو
إذا جِئْتَهُ يَوْماً تُرَجِّي نَوالَهُ ... بَدَتْ لَكَ سيماهُ بِأَبْيَضَ كَالبَدْرِ

قال: وكان جُنْدَب بن عمرو بن حُمَمَة الدَوْسي قدم المدينة مهاجراً، ثم أتى الشام غازياً وخلَّف ابنته عند عمر بن الخطّاب وقال: إن حدث بي حدثٌ فزوِّجها كفوءاً ولو بشِراكِ نعله، فكان يدعوها ابنتي وتدعوه أبي، فلما استُشهد أبوها قال عمر: مَن يتزوّج الجميلة الحسيبة؟ فقال عثمان: أنا، فزوّجه إيّاها على صداق بذله، فأتاها به عمر فوضعه في حجرها، فقالت: ما هذا؟ قال مَهْرك، فنفحت به، فأمر حفصة فأصلحت من شأنها،

ودخل بها عثمان فولدت له . وكان يقول : ما شيء أحببته في امرأة إلا وهو فيها .

وتزوّج عثمان رضي الله تعالى عنه ابنة شَيْبة بن ربيعة على ثلاثين ألفاً ، ويقال أربعين ألفاً .

وتزوّج ابنةَ خالد بن أُسيد على أربعين ألفاً .

وتزوّج أمّ عبدالله بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على ثلاثين ألفاً .

وخطب فاطمة بنت عمر الخَطّاب رضي الله تعالى عنه، بعد وفاة عمر، وأصدقها مائة ألف ، فقال ابن عمر : إنّ ابن عمّها أحقّ بها ، فزوّجها عبدَ الرحمن بن زيد بن الخطّاب .

وتزوّج ابنة عُيَيْنة على خمسمائة دينار .

وحدثني عبَّاس بن هشام عن أبيه عمّن حدّثه عن حسين بن عبدالله بن عبدالله بن عبَّاس عن أبيه عن عبدالله بن عبَّاس أنّ عثمان شكا عَلِيّاً الى العبَّاس فقال له : يا خال إنّ علِيّاً قد قطع رَحِمي وألَّب الناسَ عليَّ ، والله لِئن كنتم يا بني عبد المطَّلب أقررتم هذا الأمر في أيدي بني تَيْم وعَدِيّ فبنو عبد مناف أحقّ أن لا تنازعوهم فيه ولا تحسدوهم عليه ، قال عبدالله بن العبَّاس : فأطرق أبي طويلاً ثم قال : يا ابن أختِ ، لئن كنت لا تحمد عَلِيّاً فما نحمدك له ، وإنّ حقَّك في القرابة والإمامة لَلحقُّ الذي لا يُدْفَعُ ولا يُجحد ، فلو رقَّيْتَ فيما تطأطأ أو تطأتطأت ما يرقى تقاربتما ، وكان ذلك أوصل وأجمل ، قال : صَيّرتُ الأمرَ في ذلك إليك ، فقرِّب الأمر بيننا ، قال : فلما خرجنا من عنده دخل عليه مروان فأزاله عن رأيه فما لبثنا أن جاء

أبي رسولُ عثمان بالرجوع إليه ، فلما رجع قال : يا خالِ ، أُحبّ أن تؤخّر النظر في الأمر الذي ألقيتُ إليك حتى أرى من رأيي ، فخرج أبي من عنده ثم التفتَ إليَّ فقال : يا بُنيّ ، ليس الى هذا الرجل من أمره شيءٌ ، ثم قال : اللهمّ اسبقْ بي الفِتَنَ ولا تُبْقِني الى ما لا خير لي في البقاء إليه ، فما كانت جمعة حتى هلك .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرقي ، حدثني أبو داود الطيالسي عن شعبة عن عمرو بن مُرّة عن ذَكْوان عن صُهيب مولى العبَّاس انّ العبَّاس قال لعثمان : أُذكرك الله في أمر ابن عمّك وابن خالك وصهرك وصاحبك مع رسول الله ﷺ ، فقد بلغني أنّك تريد أن تقوم به وبأصحابه ، فقال : أوّل ما أُجيبك به أنّي قد شفّعتك ، إنّ عليّاً لو شاء لم يكن أحد عندي إلا دُونَه ، ولكنّه أبى إلا رأيه ، ثم قال لعليّ مثل قوله لعثمان فقال عليّ : لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت .

وجدت في كتابٍ لعبدالله بن صالح العِجْلِي : ذكروا أنّ عثمان نازع الزبير ، فقال الزبير : إن شئتَ تَقَاذَفْنا ، فقال عثمان : بماذا ؟ بالبعر يا أبا عبدالله ؟ قال : لا والله ولكن بطَبْعِ خَبَّابٍ وريش المُقْعَد ، وكان خبَّاب يطبَع السيوف وكان المقعد يَريش النَبْل .

حدثني عبَّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه محمد بن السائب عن محمد بن سهل بن سعد الساعدي قال : تنازع عليّ وطلحة في شِرْب ، فكان عليّ يحبّ إقراره وكان طلحةُ يحبّ إبطاله ، فاختصما الى عثمان ، فركب معهما الى الشِرْب ، ووافاهم معاوية قادماً من الشام فأدركته المنافيَّة فقال : إن كان هذا الشرب مُقَرّاً في خلافة عمر فمن ذا يغيّر شيئاً أقرّه عمر ؟ فلَقِنَها

عثمان فقال : هذا شِرْبٌ لم يغيّره عمر ولسنا بمغيّري ما أقرّه عمر ، فقال طلحة : وماذا الذي أنت عليه من أمر عمر ؟

المدائني قال : وقع بين سالم بن دارة ـ وهي أُمُّهُ وأبوه مُسافِع بن عقبة من بني عبدالله بن غَطَفان ـ وبين زُمَيْل بن أُبَيْر الفَزاري ـ وهو ابن أُمّ دينار ـ كلامٌ ، فضربه فجرحه زُميل ، فأُدخل المدينة وحُمل الى عثمان ، فأمر عثمان الطبيبَ فنظر إليه فقال : لا عمق للجِراحة ، فأمر أن يداوى ، فدسّت ابنة عُتَيْبة امرأة عثمان الى الطبيب دنانير فذَرّ على جرحه سمّاً فانتقض فمات ، ويقال : أعطى منظورٌ الطبيبَ دينارَيْن فسمّ جرحه ، فقال لابيه وهو بالموت :

أبلِغْ ابا سالِمٍ عَنّي مُغَلْغَلَةً فلا تَكونَنَّ أَدْنَى القَوْمِ لِلْعارِ
لا تَأْخُذَنْ مِائَةً مني مُوَسَّمةً ولَوْ أتاكَ بها يحذي[1] ابْنُ سَيَّارِ

١ ـ تحاذى القوم فيما بينهم : تقاسموا . وحذا الإبل : ساقها . القاموس .

أمر الشورى وبيعة عثمان رضي الله تعالى عنه :

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أنّ عمر رضي الله تعالى عنه قال : إنّ رجالاً يقولون إنّ بيعة أبي بكر كانت فَلْتة وقى الله شرّها ، وإنّ بيعة عمر كانت عن غير مشورة ، والأمر بعدي شورى ، فإذا اجتمع رأي أربعة فليتبع الاثنان الأربعة ، وإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتبعوا رأي عبد الرحمن فاسمعوا وأطيعوا ، وإن صفّق عبد الرحمن بإحدى يديه على الأخرى فاتبعوه[1] .

وحدثنا عبيدالله بن مُعاذ العنبري ، حدثنا أبي ، أنبأنا شعبة ، أنبأنا قتادة عن سالم بن أبي الجَعْد عن مَعْدان اليَعْمُري انّ عمر بن الخطّاب خطب الناس يوم جمعة فذكر النبيّ ﷺ وأبا بكر ثم قال : إنّي رأيت كأنّ ديكا نقرني ولا أراه إلا حضور أجَلي ، وإن قوماً يأمرونني أن أستخلف ، وإن الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته والذي بعث به نبيَّه ، فإن عجل بي الأمرُ فالخلافة شورى بين هؤلاء الستّة الذين تُوفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وقد

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦١ .

علمتُ أنّه سيطعن في الأمر أقوامٌ أنا ضربتهم بيدي على الإسلام ، فإنْ فعلوا فأولئك أعداء الله الضالّون .

وحدثني الحسين بن عليّ بن الأسود حدثنا عبيدالله بن موسى أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : كنت شاهداً لعمر يوم طُعن ، فذكر حديثاً طويلاً ثم قال : [قال عمر] : ادعوا لي عليّاً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص ، فلم يكلّم أحداً منهم غير عليّ وعثمان ، فقال : يا عليّ ، لعل هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النبيّ ﷺ وصهرك وما أنالَك الله من الفقه والعلم، فإن وَليتَ هذا الأمر فاتّقِ الله فيه ، ثم دعا بعثمان فقال : يا عثمان ، لعلّ هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسِنَّك ، فإن وَليتَ هذا الأمر فاتّقِ الله ولا تحمل آل أبي مُعيط على رقاب الناس ، ثم قال : ادعوا لي صُهيباً ، فدُعي ، فقال : صلِّ بالناس ثلاثاً وليَخْلُ هؤلاء النفر في بيت ، فإذا اجتمعوا على رجل منهم فَمَن خالفهم فاضربوا رأسه . فلما خرجوا من عند عمر قال : إنْ وَلَّوْها الأجْلَح[1] سلك بهم الطريق ، قال ابن عمر : فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين ؟ قال : أكره أن أتحمَّلها حيّاً وميتاً .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا الواقدي عن محمد بن عبيدالله الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عُتبة عن ابن عبَّاس قال : قال عمر : لا أدري ما أصنع بأمّة محمد ـ وذلك قبل أن يُطعن ـ فقلت : ولم تهتمّ وأنت تجد من تستخلفه عليهم ؟ قال : أصاحبَكم ؟ يعني عليّاً ، قلت : نعم هو أهل لها

---

١ ـ أي الامام علي بن أبي طالب .

في قرابته برسول الله ﷺ وصهره وسابقته وبلائه ، فقال عمر : إنّ فيه بطالةً وفكاهة ، قلت : فأين أنت عن طلحة ؟ قال : فأين الزَهْو والنَّخْوة ؟ قلت : عبد الرحمن بن عوف ، قال : هو رجل صالح على ضَعْف فيه ، قلت : فسعد ، قال : ذاك صاحب مِقْنب وقتال لا يقول بقرية لو حُمِّلَ أمْرَها ، قلت : فالزبير ، قال لقسٌ[1] ، مؤمن الرضى ، كافر الغَضب ، شحيح ، إنّ هذا الأمر لا يصلح إلا لقويٍّ في غير عُنف ، رفيقٍ في غير ضَعف ، جوادٍ في غير سَرف ، قلت : فأين أنت عن عثمان ؟ قال : لو وَلِيَها لحمل بني أبي مُعَيط على رقاب الناس ، ولو فعلها لقتلوه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن عبد الرحمن بن عبدالله عن أبيه قال : ذكر عمر من يستخلف فقيل : أين أنت عن عثمان ؟ قال : لو فعلتُ لحمل بني أبي مُعَيط على رقاب الناس ، قيل : الزبير ، قال : مؤمن الرضى كافر الغضب ، قيل : طلحة ، قال : أنفه في السماء واسته في الماء ، قيل : سعد ، قال : صاحب مِقْنب ، قريةٌ له كثيرٌ ، قيل : عبد الرحمن ، قال : بِحَسبِهِ أن يُجْري أهل بيته .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن الثوري عن حصين عن عمرو بن ميمون أنّ عمر جعل الشورى الى ستّة وقال : عبدالله بن عمر معكم وليس معه من الأمر شيء[2] .

حدثنا هشام بن عمّار الدمشقي قال : سمعتُ مالك بن أنس يقول : قال عمر بن الخطّاب : من يدُلّني على رجلٍ برّ تقيّ أُوَلّيه ؟ فقال المغيرة بن

١ ـ اللقس : من يلقب الناس ويسخر منهم ، ومن لا يستقيم على وجه . القاموس .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ، ٣٤١ ـ ٣٤٤ .

شُعبة : أنا أدلّك عليه يا أمير المؤمنين ، قال : من هو ؟ قال : عبدالله بن عمر ، قال : قاتلك الله ، والله ما الله أرَدْتَ بها . قال هشام : وبلغنا أنّ عثمان لما ولي الخلافة قال له المُغيرة : أما والله لو ولي غيُرك ما بايعتُه ، فقال عبد الرحمن بن عوف ، كذبتَ يا أعور ، لو ولي غيره لبايعتَه ولقلتَ له مثل هذا القول .

وفي رواية الواقدي أنّ عمرو بن العاص تطاول ليدخل في الشورى فقال له عمر :اطمئنَّ كما وضعك الله ،لا أجعل فيها أحداً حمل السلاح على نبي الله .

حدثنا محمد بن سعد حدثني شهاب بن عبادة حدثنا إبراهيم بن حميد عن ابن أبي خالد عن جُبير بن محمد بن جبير بن مُطعِم قال : أُخبرنا إنّ عمر قال لعليّ : إن وَليتَ من أمر الناس شيئاً فلا تحملنّ بني عبد المطّلب على رِقاب الناس ، وقال لعثمان : إن وليتَ من أمر الناس شيئاً فلا تحملنّ بني أبي مُعَيط على رِقاب الناس .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده أنّ عمر بن الخطّاب لما طُعن قال : ليُصَلِّ صُهيب ثلاثاً وتشاوروا في أمركم والأمر الى هؤلاء الستَّة ، فمن نَغِلَ بأمركم فاضربوا عنقه[1] .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن نافع بن أبي نُعيم عن نافع عن ابن عمر قال : قال عمر : ليَتبع الأقلُّ الأكثر ، فمن خالفكم فاضربوا عنقه .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦١ .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده أنّ المِسَور بن مَخْرَمة قال : كان عمر بن الخطّاب وهو صحيح يُسأل أن يَستخلف فيأبَى ذلك ، ثم صعد المنبر فتكلّم بكلمات ثم قال : إن مِتُّ فأمركم الى هؤلاء الستّة النفر فارقوا رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ : عليّ بن أبي طالب ، ونظيره الزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، ونظيره عثمان ، وطلحة ، ونظيره سعد بن مالك ، ألا وإني أُوصيكم بتقوى الله في الحُكْم والعدل في القَسْم .

وحدثني عبَّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده أنّ عمر بن الخطّاب أمر صُهيباً مولى عبدالله بن جُدْعان حين طُعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين والأنصار ، فلما دخلوا عليه قال لهم إنّي قد جعلتُ أمركم شورى الى الستّة نفر المهاجرين الأوّلين الذين قُبض رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ليختاروا أحدهم لإمامتكم ، وسمّاهم ، ثم قال لأبي طلحة زيد بن سهل الخَزْرَجي : اخْتَرْ خمسين رجلاً من الأنصار يكونون معك فإذا تُوُفِّيتُ فاستحثَّ هؤلاء النفر حتى يختاروا لأنفسهم وللأمّة أحدَهم ولا يتأخرُنَّ عن أمرهم فوق ثلاث . وأمر صُهيباً أن يصلّي بالناس الى أن يتّفقوا على إمام ، وكان طلحة بن عبيدالله غائباً في ماله بالسَّراة فقال عمر : إن قدم طلحة في الثلاثة الأيّام وإلا فلا تنتظروه بعدها وأبرِموا الأمر واصرِموه وبايعوا من تتّفقون عليه ، فمن خالف عليكم فاضربوا عنقه ، قال : فبعثوا الى طلحة رسولاً يستحثّونه ويستعجلونه بالقدوم فلم يَرِدِ المدينة إلا بعد وفاة عمر والبيعةِ لعثمان ، فجلس في بيته وقال : أعَلَى مثلي يُفْتَأتُ ؟ فأتاه عثمان فقال له طلحة : إن رددتُ الأمر أتَرُدُّه ؟ قال : نعم قال : فإنّي أُمضيتُه ، فبايَعَه ،

وقد قال بعض الرواة إنّ طلحة كانَ حاضراً لوفاة عمر والشورى ، والأوّل أثبت .

وقال أبو مخنف : أمر عمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً فإن اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل واثنان على رجل رجعوا في الشورى ، فإن اجتمعوا أربعةٌ على واحد وأباه واحدٌ كانوا مع الأربعة ، وإن كانوا ثلاثة [وثلاثة] كانوا مع الثلاثة الذين فيهم ابن عوف ، إذ كان الثقةَ في دِينه ورأيه المأمونَ على الاختيار للمسلمين .

وحدثنا محمد بن سعد والوليد بن صالح عن الواقدي عن إسماعيل بن إبراهيم من ولد عبدالله بن أبي ربيعة أنّ عبدالله قال : إن بايعتم علياً سمعنا وعصينا وإن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا ، فاتّقِ الله يا بن عوف .

وحدثاني عن الواقدي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أنّ عمر قال : إن اجتمع رأيُ ثلاثة وثلاثة فاتبعوا صِنْف عبد الرحمن بن عوف واسمعوا وأطيعوا .

وحدثني عبَّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده أنّ عليّاً شكا إلى عمّه العبَّاس ما سمع من قول عمر «كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف» وقال : والله لقد ذهب الأمر منَّا ، فقال العبَّاس : وكيف قلت ذلك يا بن أخي ؟ فقال : إنّ سعداً لا يخالف ابنَ عمّه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن نظير عثمان وصهره ، فأحدهما لا يخالف صاحبه لا مَحالةَ ، وإن كان الزبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذ كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين ؛ وقال ابن الكلبي : عبد الرحمن بن عوف زَوْجُ أمّ كلثوم بنت

عقبة بن أبي مُعَيط ، وأمّها أَرْوَى بنت كُريز ، وأروى أمّ عثمان فلذلك قال صهره .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أبي بكر بن إسماعيل عن أبيه قال : كان طلحة بالسّراة في أمواله وَافَى الموسمَ ثم أتى أمواله وانحدر عمرُ ، فلما طُعن وذَكره في الشورى ، بُعث إليه رسولٌ مُسرع ، فأقبل مُسرعاً فوجد الناس قد بايعوا لعثمان ، فجلس في بيته وقال : مثلي لا يُفتأت عليه ، ولقد عجلتم وأنا على أمري ، فأتاه عبد الرحمن بن عوف فعظَّم عليه حُرْمةَ الإسلام وخوّفه الفرقةَ .

حدثني محمد عن الواقدي عن محمد بن إسماعيل عن محمد بن زيد أنّ طلحة لما قدم أتاه عثمان فسلَّم عليه ، فقال طلحة : يا أبا عبدالله ، أرأيتَ إن رددتُ الأمر أتردّه حتى يكون فينا على شورى ؟ قال عثمان : نعم يا أبا محمد ، قال طلحة : فإنّي لا أردّه ، فإن شئتَ بايعتُك في مجلسك وإن شئت ففي المسجد ، فبايعه ، فقال عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح : مازلت خائفاً لأن ينتقض هذا الأمر حتى كان من طلحة ما كان فَوَصَلَتْهُ رَحِمٌ . ولم يزل عثمان مُكْرِماً لطلحة حتى حُصر ، فكان طلحة أشدّ الناس عليه .

وقال الواقدي في إسناده ، قال عمر قبل أن يموت بساعة : يا أبا طلحة كن في خمسين من الأنصار من قومك مع أصحاب الشورى ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث من وفاتي حتى يؤمّروا أحدهم ؛ قال : فلما قُبض عمر وافى أبو طلحة في أصحابه فَلَزِم أصحابَ الشورى ، فلما جعلوا أمرهم إلى عبد الرحمن بن عوف ليختار لهم لزم بابَ عبد الرحمن حتى بايع عثمان .

وفي رواية أبي مخنف أنّ عليّاً خاف أن يَجتمع أمرُ عبد الرحمن وعثمان وسعد فأتى سعداً ومعه الحسن والحسين فقال له : يا أبا إسحاق إنّي لا أسألك أن تدع حقّ ابن عمّك بحَقِّي أو تؤثرني عليه فتبايِعَني وتَدَعَهُ ، ولكن إن دعاك إلى أن تكون له ولعثمان ثالثا فأنْكِرْ ذلك فإنّي أُدْلي إليك من القَرابة والحقّ بما لا يُدْلي به عثمان ، وناشده بالقرابة بينه وبين الحسن والحسين وبحق آمنة أمّ رسول الله ﷺ ، فقال سعد : لك ما سألت ؛ وأتى سعدٌ عبدَ الرحمن فقال له عبد الرحمن : هُلمَّ فلنجتمع ، فقال سعد : إن كنتَ تَدعوني والأمر لك وقد فارقك عثمان على مُبايعتك كنتُ معك ، وإن كنت إنَّما تريد لعثمان فَعِليٌّ أحقّ بالأمر وأحبّ إليَّ من عثمان ؛ قال : وأتاهم أبو طلحة فاستحثّهم وألحّ عليهم ، فقال عبد الرحمن : يا قومُ أراكم تتشاحّون عليها وتؤخّرون إبرام هذا الأمر ، أفكلُّكم رحمكم الله يرجو أن يكون خليفةً ؟ ورأى أبو طلحة ما هم فيه فبكى وقال : كنت أظنّ بهم خلاف هذا الحرص ، إنَّما كنتُ أخاف أن يتدافعوها .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن موسى بن عقبة عن مكحول قال : لم يكن سعد في الشورى ؛ قال: وحدثني ابن أبي ذئب عن الزهري قال : لم يكن سعد في الشورى .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم الفِهري وابن جُعْدُبة انّ عمر أدخل ابنه عبدالله في الشورى على أنّه خارجٌ من الخلافة وليس له إلا الاختيار فقط ، قال أبو الحسن المدائني : ولم يجتمع على ذلك .

وحدثني عبَّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناد له قال : لما دُفن عمر أمسك أصحاب الشورى وأبو طلحَةَ يومَهم فلم يُحْدِثوا



بئسَ الفَوارِسُ عَنْدَ مُخْتَلَفِ القَنا　　عِدْلاَ الحِمارِ مُحارِبٌ وسَلولُ[1]

وحدثني العُمَري عن الهيثم بن عديّ قال : خطب عامر بن مسعود فقال : يا أهل الكوفة لأُنسينَّكم سيرة عمر بن الخطّاب ؛ قال : وقال يوماً : يا أهل الكوفة إنّي قد تزوّجت امرأة من بني نصر بن معاوية فأعينوني بأرزاقكم شهراً فقال قائل : نعم ، فأخذ أرزاقهم كلّها لشهر ؛ قال : وحُصِب ذات يوم على المنبر فغطى وجهه بكمّه وقال : لِمَ ذا حَسْبُكم الآنَ .

وقال ابن همّام السلولي :

مازِلْتُ أَرْجو أبا حَفْصٍ وسيرَتَهُ　　حَتّى نَكَحْتَ بِأَرْزاقِ المَساكينِ
أنْكَحْتُمُ يا بَني نَصْرٍ فَتاتَكُمُ　　وَجْهاً يَشينُ وجُوهَ الرَبْرَبِ[2] العِينِ
أنكَحْتُمُ لا فَتَى دُنْيا يُعاشُ به　　ولا شُجاعاً إذا شُقَّتْ عَصا الدينِ
يا بْنِ الزُبَيْرِ لَقَدْ وَلَيْتَهُ شَبِقاً　　كَزَّ اليَدَيْنِ بَخيلاً غَيْرَ عِنّينِ
لا يَسْتَطِفُّ لَهُ مالٌ فيَتْرَكَهُ　　ولا يقولُ لِما يُعطاهُ يَكْفيني

قالوا : وولّى عامر عُمّالاً فأساءوا السيرة ومالوا إلى الخيانة ، فقال ابن همّام في ذلك :

يا بْنَ الزُبَيْرِ أميرَ المُؤْمِنينَ أَلَمْ　　يَبْلُغْكَ ما فَعَلَ العُمّالُ بِالعَمَلِ
باعو التِجارَ طَعامَ الأَرْضِ واقْتَسَموا　　صُلْبَ الخَراجِ شِحاحاً قِسْمَةَ النَفَلِ
وقَدَّموا لَك شَيْخاً كاذِباً خَذِلاً　　مَهْما يَقُلْ لَكَ شَيْخٌ كاذِبٌ يَقُلِ

الشيخ هو مَرْثَد بن شراحيل كان أميناً على التِجار في بيع الطعام .

---

١ ـ ديوان الأخطل ص ٣٠٢ .
٢ ـ الربرب : القطيع من بقر الوحش . القاموس .

وفيكَ طالِبُ حَقٍّ ذو مَزابِنة[1] جَلْدُ القُوى لَيْسَ بِالواني ولا الوَكَلِ
أُشدُدْ يَدَيْكَ بِزَيْدٍ إنْ ظَفِرْتَ بِهِ وَأَشْفِ الأَرامِلَ من دُحْروجَةِ الجُعَلِ

زيد خازنه وهو مولى عتّاب بن وَرْقاء .

إنا مُنِينا بضَبٍّ مِن بَني خَلَفٍ يَرَى الخِيانَةَ شَرْبَ الماءِ بالعَسَلِ

يعني عامرا .

خُذِ العُصَيْفير فَأنْتِفْ ريشَ ناهِضِهِ حَتَّى يَنوءَ بِشَرٍ بَعْدَ مُقْتَبَلِ

يعني عبدالله بن أبي عصيفير الثقفي ، وكان على المدائن ، وهو الذي مات الأحنف في داره بالكوفة .

وما أمانَةُ عَتّابٍ بِسالِمَةٍ لا غَمْزَ فيها ولكِنْ جَمَّةُ السَبَلِ

يعني عَتّاب بن ورقاء كان على أصبهان .

وقَيْسُ كِنْدَةَ قد طالَتْ إمارَتُهُ بِسُرَّةِ الأَرْضِ بَيْنَ السَهْلِ والجَبَلِ

قال هشام ابن الكلبي : هو قيس بن يزيد بن عمرو بن شراحيل بن النعمان بن المنذر بن مالك بن الحارث الكندي ، وبعض من لا عِلْمَ له يقول : هو قيس بن الأشعث .

وخُذْ حُجَيْراً فأتْبِعْهُ مُحاسَبَةً ومَنْ عَذَرْتَ فلا تَعْذِرْ بني قَفَلِ

يعني حجير بن حجّار بن الحُرّ ، ويقال : حجير بن جُعيل الجُمَحي ، كان على الزوابي أو الزاذانات[2] ، وبنو قَفَل من تيم الله بن ثعلبة كان منهم قوم على صدقات بكر بن وائل .

١ ـ المزابنة : بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر .
٢ ـ زاذان : موضع الرقة . معجم البلدان .

ما رابَني مِنْهُمُ إلاّ آرْتِفاعُهُمُ إلى الخَبيصِ عَنِ الصَحْناةِ والبَصَلِ
وما غُلامٌ على أَرْضٍ مُسالِمَةٍ كَمَنْ غَزا دَسْتَبَى غيرَ مُجْتَمِلِ
يُجْبَى إلَيْهِ خَراجُ الأَرْضِ مُتَّكِئاً مُسْتَهْزِئاً بِغِناء القَيْنَةِ الفُضُلِ
والوالِبِيُّ الذي مِهْرانُ أَمَّرَهُ فَزالَ مِهْرانُ مَذْموماً ولَمْ يَزَلِ

مهران مولى زياد ، كان شفع في هذا الرجل ، فصار في عِداد العُمّال ، والرجل سعيد بن حَرْمَلة بن الكاهل الوالبي ، ويقال : هو أبو هيّاج عمرو بن مالك الوالبي :

ودونَكَ ابْنَ أَبي عُشٍّ وصاحِبَهُ قبل السبيع فقَدْ أَجْرَى على مَهَلِ

ابن أبي عُشّ همذانيٌّ قدم الكوفة ، فقال مَنْ سيّد قومي ؟ فقالوا : الحجّاج بن عمرو الزبيدي فقال : أنا لا أُقيم ببلدة يسود فيها زُبَيْديٌّ ، وكان على الدِينَوَر ، وصاحبه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني

لا تَجْعَلَن بيت مال الله مَأْكَلَةً لِكُلِّ أَزْرَقَ مِنْ هَمْدانَ مُكْتَحِلِ
والدارِميُّ يُطيفُ البَهْرَمانُ[1] بِهِ في شارِبٍ بُدِّلَتْ مِن رِعْيَةِ الإبلِ

الدارمي لبيد بن عُطارد ، ويقال مسعود بن قيس بن عطارد .

ومُنْقِذُ بْنُ طَريفٍ مِنْ بني أَسَدٍ أُنْبِئْتُ عامِلُهُمْ قد راحَ ذا ثِقَلِ

يعني منقذ بن طريف بن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد ، وأخبر أنّ عاملهم ، وهو رجل منهم ، قد حسنت حاله للخيانة ، وقال ابن الكلبي : وكان عاملهم نُعيم بن دَجّاجة وكان على أسفل الفرات .

---

١ ـ بهامش الأصل : والدارمي القهرمان .

وما أُخَيْنِسُ جُعْفِيٍ يُمانِعُهُ مِنَ المَتاعِ قِيامُ اللَّيْلِ بِالطُّوَلِ

يعني زحر بن قيس ، ويقال محمد بن أبي سَبْرة كان على جوخى

وآخَرانِ مِنَ العُمّالِ عِنْدَهُما بَعْضُ المَنالَةِ إنْ تَرْفُقْ بها تَنَلِ

مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ والذي كَذَبَتْ بَكْرٌ عَلَيْهِ غَداةَ الرَوْعِ والوَهَلِ

محمد بن عمير بن عُطارد ويزيد بن رُوَيم حين أمر به عمرو بن حُريث .

وما فُراتٌ وإنْ قيلَ امرؤٌ وَرِعٌ إنْ نالَ شَيْئاً بِذاكَ الخائفِ الوَجِلِ

فرات بن زَحْر قتله المختار يوم جَبّانة السَبيع .

والحارثيُّ سَيَرْضَى أَنْ تُقاسِمَهُ إذا تَجاوَزْتَ عَنْ أعْمالِهِ الأُوَلِ

الحارثي السَرِيّ بن وقّاص وكان على نِهاوَنْد

وادع الأقارِعَ فَاقْرَعْهُمْ بِداهِيَةٍ واحمِلْ خِيانَةَ مَسْعودٍ على جَمَلِ

مسعود من بني أَسَد

كانوا أتونا رِجالاً لا رِكابَ لَهُمْ فَأَصبَحوا اليَوْمَ أَهْلَ الخَيْلِ والإِبِلِ

لن يُعْتِبوكَ ولَمّا يَعْلُ هامَهُمُ ضَرْبُ السِياطِ وشَدٌّ بَعْدُ في الحُجُلِ

جَمْعُ حجل .

إنَّ السِياطَ إذا عَضَّتْ غَوارِبَهُمْ أَبْدَوْا ذَخائِرَ مِن مالٍ ومِنْ حُلَلِ

وحدثني المدائني عن سُحيم بن حفص عن أشياخه قالوا : كان ابن الزبير يُكنى أبا بكر وأبا خُبيب ، وكان شديد القلب واللسان ، وهو أوّل مولود بالمدينة في الإسلام ، وكان بخيلاً فقال فيه الشاعر :

رَأَيْتُ أبا بَكْرٍ ورَبُّكَ غالِب على أَمْرِهِ يَبْغِي الخِلافَةَ بالتَمْرِ

وقُتل وهو ابن ثلاث وسبعين ، ويقال : اثنتين وسبعين وأشهرٍ .

وقال لعامله على وادي القُرَى : أكلتَ تمري وعصيت أمري ، وجعل يضربه .

وقال لأعراب أتوه : إنّ سلاحكم لَرَثٌ ، وإن حديثكم لغثّ ، وإنّكم لعيال في الجَدْب ، وأعداء في الخِصب .

وأتاه أعرابيّ يستفرضه فقال : افرضوا له ، فقال : أَعْطِني ، قال : قاتِلْ أَوّلاً ، فقال الأعرابيّ : دمي نَقدٌ ودراهمك نسيئة .

قالوا : ولما طال الحصار على ابن الزبير حَبسَ الطعامَ وقال إنْ أخرجتُه فَنِيَ ولكنّكم تنظرون اليه فتقوى قلوبكم وتطيب أنفسكم ، ومتى أكلتموه نفد ، ولا يأتيكم ميرةٌ فتُلْقُون بأيديكم .

قالوا : وشكت امرأة من أهل مكة إلى ابن الزبير فقالت : غَررتَ سفهاءَنا وأخذت رِباعنا ، فأَقِلْ سفهاءَنا واردد رباعنا ، فقال : ما تقول هذه الهرة الثَّرْماء[1] .

قالوا:وقال صخُير بن أبي الجَهْم : دخلت على ابن مُطِيع وهو عاتب على ابن الزبير ، وعليَّ سيفي ، فقال ضَعْ سيفك وأَرِحْ نفسك فما عند ابن الزبير خير لِدين ولا دنيا ، قال : فأتيت الحجّاج فأعطاني الأمان .

المدائني عن عوانة ، قال : نادى أهل الشام يا بن الزبير يا بن الحواريّ فقال لمولىً له : أَجبْهم فقال : هل تعيبون من حواريّ رسول الله ﷺ شيئاً ؟ قالوا : يا بن ذات النطاقَيْنْ فقال أتعيبونها بالنطاق التي كانت تحمل به الطعام إلى رسول الله ﷺ وإلى الصِدّيق أَمْ بالنطاق الذي تَنَطَّقُ به المرأة الحرّة

١ ـ الثرماء : التي انكسر لها سن من الثنايا أو الرباعيات . القاموس .

في بيتها وقد قال لها رسول الله ﷺ : «لك نطاقان في الجنة» فقالوا : يا بن الزبير يا مشؤوم فسكت ، فقال له ابن الزبير ، أَجِبْهم ، قال : كيف أجيبهم وقد صدقوا .

المدائني عن المثنّى بن عبدالله عن عوف ، قال : قال ابن عمر : كنت أتمنى ألاّ اموت حتى أعلم إلى ما يصير أمر ابن الزبير ، فيرحم الله أبا بكر طَلَبَ دراهم العراق ، ورحم الله مروان طلب دراهم الشام .

المدائني عن عبدالله بن فائد ، قال : نظر ثابت بن عبدالله بن الزبير إلى أهل الشام فقال : إنّي لأبغضهم فقال سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان : تبغضهم لأنّهم قتلوا أباك ؟ قال : صدقت قتل أبي علوجُ الشام وجُفاتُه ، وقتل جدَّك المهاجرون والأنصار .

المدائني عن عليّ بن حمّاد ، قال : قال مصعب بن الزبير لابن عمر : يا أبا عبد الرحمن أنسيتَ حقّ الله عليك في هذا الأمر ؟ قال : نعم كتبت إلى عبد الملك آمره بتقوى الله وأن يكفّ نفسه ، فكتب اليّ:أنا أُخْرِجُ نفسي إنْ أخرِجَ ابنُ الزبير نفسه ويجعل الأمر شورى ، وكتبت إلى أخيك فكتب إليّ : إنّك لست من هذا الأمر في شيء .

المدائني ، قال : قال ابن أبي مُلَيْكة : ما رأيت أحداً أحسن مناجاةً لربّه في عَقِبِ الصدر من عبدالله بن الزبير .

المدائني قال : كان مصعب بن الزبير جواداً ، فكتب إلى أخيه عبدالله : من سألك شيئاً فاكتبْ إليّ له فإنْ أعطيتُه كان حمدُه لك ، وإن منعتُه كان ذَمُّهُ عليّ ، فلم يكتب لأحد إليه إلاّ أعطاه ، فأمسك عن الكتاب لأحد إليه .

قال : وقال عليّ بن زيد : كان عبدالله طويل الصلاة ، كثير الصيام ، شديد البأس ، كريم الجدّات والأمهّات والخالات ، وكانت فيه خلال مباينة لما حاول مِن الخلافة : بُخلٌ وضيق وسُوءُ خلق ، ولجاجٌ .

المدائني عن أبي زكريّاء العَجْلاني عن ابن نَجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : إن هذا الأمر بدأ بنبوّة ورحمة ، وخلافة ، وإنّه اليومَ مُلْك عَقيم ، فمن سمع مقالتي فليهرب من بني أميّة وآل الزبير فإنّهم يدعون إلى النار .

المدائني عن سفيان عن عمرو بن دينار : انّ ابن الزبير أقاد من لَطْمة .

المدائني عن أبي هلال الراسبي : إنّ الحسن[1] كتب إلى ابن الزبير : إنّ لأهل الخير عَلاماتٍ يُعْرَفون بها ويعرفونها من أنفسهم ، فمنها الصبر على البلاء ، والرضى بالقضاء ، وإنّما الإمام سُوق فما نفق فيها حُمل إليها فأنظر أيّ سوقٍ سوقُك .

المدائني عن ابن المبارك قال : قال أبو بَرْزة الأَسْلَمي : إنّكم معشرَ العرب كنتم على الحال التي علمتم من القلّة والذلّة والضلالة ، وإن الله رفعكم بالإسلام وبمحمد عليه السلام حتى بلغتم ما ترون ، وإنّ هذه الدنيا قد أفسدت ما بينكم ، أمّا الذي بالشام ـ يعني مروان ـ فإنّما يقاتل عن الدنيا ، وكذلك الذي بمكّة ـ يعني ابن الزبير ـ وما يقاتل الذين تدعونهم قُرّاءكم إلاّ على الدنيا ، وما نرى خير الناس إلاّ عصابة لابدةً خِماص البطون من أموال الناس ، خِفاف الظهور من دمائهم .

---

١ ـ الحسن البصري .

حدثني هُدبة حدثنا حمّاد بن سَلَمة عن أبي حمزة قال : قلت لابن عبّاس : إنّي بايعت ابن الزبير فأعطاني وحملني على فرس ، أفأُقاتل معه ؟ قال : لا تقاتل معه ، وَرُدَّ عليه ما أعطاك واشتر بغلاً أو بغلين ، وغلاماً واغزُ المشركين ، فإن قُتلتَ على ذلك كنت شهيداً إن شاء الله تعالى ، قال : فرددت على ابن الزبير ما أخذت منه .

المدائني عن قيس بن الربيع عن ابن أبي ليلى عن عطاء ، قال : أُتي ابن الزبير برجل فأمر بضرب عنقه فقال امرأته طالق ثلاثاً فورَّثها منه .

المدائني ، قال : بعث يزيد بن معاوية الضحاك بن قيس ليأخذ بيعة ابن الزبير فأبى أن يبايع فقال الضحّاك إنّك إن لم تبايع طائعاً بايعتَ كارها ، فقال ابن الزبير : إنّك يا ثعلبة بن ثعلبة تَيسُ بَحِيْرَةٍ تبيع الصَرَبَة[1] بالقبضة ، أردت الحَقْحَقَة فأخطأت آستُك الحفرة .

المدائني ، قال : جاء رجل إلى ابن عمر فقال : هذه خيلنا ، قال : أيّة خيل ؟ قال : خيل ابن الزبير ، قال : ما هي لنا بخيل ، وجاءه آخر فقال : بايعت ابن الزبير على كتاب الله وسنّة نبيّه ، فأبى ذلك ، فقال : صدق ولو أعطاك ذلك لم يَفِ لك به ؛ قال : وجاءه آخر فقال : بما ذا تأمر يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : بطاعة الله ، والجماعة وأنهاك عن الفرقة ، قال : ثم بما ذا ؟ قال : إن كانت لك ضيعة فألحق بضيعتك .

المدائني عن عبد الله بن فائد ، قال : كان ابن الزبير لا يتكلم يوم الجمعة إلاّ بالمواعظ ، إلاّ أنه كان يشتم ثقيفاً فيقول قصار الخدود . لِئام الجدود . سود الجلود . بقيّة ثمود .

---

١ ـ الصربى : البحيرة لأنهم كانوا لا يحلبونها إلاّ للضيف . القاموس .

المدائني عن يزيد بن زُرَيع عن حبيب بن الشهيد : أنّ عبد الله بن جعفر لقي ابن الزبير فقال له ابن الزبير : أتذكر يوم لقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وأحد ابني فاطمة ؟ فقال : نعم ، فحملنا وتركك ، فسكت ولو علم ابن الزبير أنه يقول حملنا وتركك ما سأله

المدائني عن ابن فائد ، قال : سمع معاوية رجلاً من كلب يقول :

وِمِنْ رَقاشٍ ماجِدٌ سَمَيْدَعُ   يَأْبَى فَيُعْطي عَنْ يَدٍ ويَمْنَعُ

فقال ذاك مِنّا ، ذاك عبد الله بن الزبير.

المدائني عن مَسلمة وغيره : انّ فضالة بن شريك الأَسدي أتى عبد الله بن الزبير فقال له : إنّي جشمت إليك سفراً بعيداً ، أتعبت فيه نفسي وأنفدت نفقتي ، وأنقبت فيه راحلتي ، فقال ارقعها بسِبْت ، واخصِفْها بهُلْب ، وأَنْجِد بها العصرين يَبْرُدُ خُفُّها ، فقال : لعن الله ناقةً حملتني إليك ، فقال : إنَّ وراكبها ، وانصرف ولم يَصِلْه فقال :

أقـولُ لِغِلْمَتي أُدْنوا رِكـابي   أُفارِقُ بَطْنَ مَكَّةَ في سَوادِ
فما لي حينَ أَقْطَعُ ذاتَ عِرْقٍ   إلى ابْنِ الكاهِلِيَّةِ مِن مَعادِ
سُيبعِدُ بَيْنَنا حَثُّ المَطايا   وتَـعْـليـقُ الأَداوَى والمَـزادِ
أرَى الحاجات عِنْدَ أَبي خُبَيْبٍ   نَـكِـدْنَ ولا أُميَّـةَ بِـالبِـلادِ
وكَيْفَ بِأَنْ يَسوسَ الأَمْرَ مِنْهُمْ   أَغَـرُّ مُقـابَـلٌ واري الزِنـادِ
مِنَ الأَعْياصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ   أَغَـرُّ كَغُرَّةِ الفَرَسِ الجَـوادِ

فلما بلغ ابنَ الزبير الشعر فمرّ به قوله إلى ابن الكاهليّة قال : لو علم أنّ لي جدّة أَلأَمَ من عمّته لَسَبَّني بها ، وكانت أمّ خويلد بن أسد بن عبد العُزّى ،

جدّة العوام بن خويلد ، زهرة بنت عمرو بن حَنْثَر[1] ، من بني كاهل بن أسد بن خُزَيْمَة .

وقال بعض قُضاعةَ :

عَدِمْتَ قُرَيْشاً أَنْ رَضُوا بِك سَيِّداً   وأَنْتَ بَخيلُ الكَفِّ غَيْرُ جَوادِ

فقال عبد الله بن الحجّاجِ :

أَتَطْلُبُ شَأْوَ ٱبْنِ الزُبَيْرِ ولَمْ تَكُنْ   لِتُدْرِكَهُ ما حَجَّ لِلَّهِ راكِبُ
تَكَلَّفْتَ أَمْراً لَمْ تَكُنْ لِتَنالَهُ   طَوالَ اللَيالِي أَوْ تُنالَ الكَواكِبُ
فَمَهْلاً بَني مَرْوانِ لَسْتُمْ بِذادَةٍ   إذا ما ٱلْتَقَتْ يَوْمَ اللِقاءِ الكَتائِبُ
إذا ٱلْتَقَتِ الأَبْطالُ كُنْتُمْ ثَعالِباً   وَأُسْدَ الشَرَى في السِلْمِ عِنْدَ الكَواعِبِ

المدائني ، قال : قال وهب بن مُنَبِّه : استعمل ابن الزبير على اليمن رجلا دميا ، وكان يلقَّب عجوز اليمن ، فكتب إليه ابن الزبير يأمره بالجباية ، فقال : لي أرضيكم مجرودةٌ فانطلقوا إلى أمير المؤمنين ، فآدفعوا عن أنفسكم ، فقدمتُ في وفد ، ودخلت عليه وعنده عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال لي : كيف عجوز اليمن ؟ فقلت : ﴿أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[2] ولكن ما فعلت عجوز قريش أُمّ حَبْلٍ حَمالة الحَطَب ؟ فضحك ابن الزبير وقال لآبن خالد : أَسَأْتَ المسألة وأَحْسَنَ الجواب .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه قال : أُهدى أبو حَمَل ـ أحد بني حصين بن سَعْدانة بن حارثة الكلبي ـ إلى عبد الله بن الزبير

---

١ ـ بهامش الأصل : كان عمرو بن حنثر يلقي الحجر ويقول : لا أفر حتى يفر. من الاكمال لابن ماكولا . انظر الاكمال ج ٢ ص ٢٤ .

٢ ـ سورة النمل ـ الآية : ٤٤ .

فُطْراً فأتاه به وعنده زُفَر بن الحارث الكِلابي ، فقال زفر يحرّض ابن الزبير على صِلَته :

أَلا أَبْلِغْ أَبا حَمَلٍ رَسولاً فقد أَهْدَيْتَ فُطْرَكَ مِنْ بَعيدِ
فأَنْتَ المَرْءُ يُعْطَى كُلَّ خَيْرٍ ويُحْبَى بِالوَلائِدِ والعَبيدِ

فقال ابن الكلبي : قال خالد بن سعيد : فوالله ما أثابه عليه شيئاً ، وقد أتاه به من السماوة ، فلقيه زُفَر بن الحارث بعد ذلك فقال له : يا أبا الكَوثَر ، أو : يا أبا الهذيل ، والله ما أعطاني قيمة الفطر ، فكيف يَحْبوني بالولائد والعبيد .

وقال هشام ابن الكلبي:أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه قال : حَمَل بن سَعْدانة الذي يقول :

لَبِّثْ قَليلاً يَلْحَقِ الهَيجاَ حَمَلْ

وكان حمل بن سعدانة بن حارثة العُلَيمي وفد إلى النبيّ ﷺ وعقد له لواءً .

وقال أبو دَهْبَلٍ واسمه وهب بن وهب بن زَمْعة الجُمَحي :

أتاركةٌ عُلْيا قُرَيْشٍ سَراتَها وساداتِها عند المَقامِ تُذَبَّحُ
هم عُوَّذٌ بِاللَّهِ جيرانُ بَيْتِهِ بِهِ يُعْصِمون أَنْ يُباحوا ويُفْضَحوا

وقال ابن الزبير : لا تزال قريش تعرف العزّ وإنكار الضيم ما رَأَتْني حيّاً .

المدائني قال : بعث الزبير ابنه عبد الله إلى خاله العبّاس بن عبد المطّلب فوافقه يتغدّى فقال : ادْنُ يا بن أختي فأكل أكلاً ضعيفاً ثم أُتي

بقَعْب من لبن فقال اشرب فشرب شرباً ضعيفاً فقال يا بن اختي أُضْوَاك[1] آل أبي بكر .

حدثني أبو مسلم الأحمري عن هشام ابن الكلبي عن أبيه وعَوانة قالا : خطب النَوارَ بنت أَعْيَنَ بن ضُبَيعة بن ناجية بن عِقال رجلٌ من بني مُجاشِع بن دارم بن مالك فقالت للفرزدق بن غالب بن صعصعة بن ناجية : أنت وليّي واشهدت له برضاها بما صنع في تزويجها ، فلما خرج الشهود قال لهم : حفظتم الشهادة ؟ قالوا : نعم ، قال : واشهدوا أنّي قد تزوّجتُها على خمسة آلاف وبلغها الخبر فلم ترض ، وأتت ناجية بن عقال ، فأعانوها على الفرزدق ، وحوّلوها إلى بني عاصم من بني مِنْقَر بن عُبيد واكتروا لها كريّاً من بني عَديّ بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة أحد بني مِلْكان بن عَديّ ، ومعه أُجيرٌ له خراسانيّ يقال له زهير ، وخرجت إلى ابن الزبير مستغيثةً به ، ويقال : إنّهم حوّلوها إلى بني عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع فقال الفرزدق :

ولَوْلا أَنْ يَقولَ بَنو عَدِيٍّ أَلَيْسَتْ أُمَّ حَنظَلَةَ النَوارُ

أمّ حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، النوار بنت جَلّ بن عَديّ بن عبد مناة ، فيقول لولا أن يقولوا أليست جدتّكم منّا

إذاً لأَتَى بَني مِلْكانَ مِنّي بَضائِعُ لا يُقَسِّمُها التِجارُ[2]

ملكان بن عديّ بن عبد مناة أخو جَلّ بن عديّ ، وقال :

---

١ ـ الضوى : دقة العظم وقلة الجسم خلقه ، أو الهزال ، وأضوى : دق وأضعف . القاموس .

٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٧٣ مع فوارق .

لَقَدْ أَهْدَتْ وَليدَتُنا إِلَيْكُمْ عَزائِزَ لا يُقَسِّمُها التِجارُ
لَبِئسَ العِبْءُ يَحْمِلُهُ زُهَيْرٌ على أَعْجازِ صِرْمَتِهِ نَوارُ

وقال أيضاً :

ولَوْلا أَنَّ أُمّي مِنْ عَدِيٍّ وأنّي كارِهٌ سُخْطَ الرباب
لَصُلْتُ عَلَى بني مِلْكانَ مِنّي بِجَيْشٍ غَيْرِ مُنْتَظَرِ الإِيابِ[1]

وقال يهجو بني قيس بن عاصم :

بَني عاصِمٍ إنْ تُلجِئوها فإنَّكُمْ مَلاجِئُ لِلنِسْوانِ دُسْمُ العَمائِمِ
بَني عاصِمٍ لَوْ كانَ حَيّاً لَدَيْكُمُ لَلامَ بَنيهِ الشَيْخُ قَيْسُ بْنُ عاصِمِ[2]

فقالوا للفرزدق : والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنّك ؛ وخرج الفرزدق إلى ابن الزبير ، فنزلت النوار بنت أعيَن على أمّ هاشم بنت منظور بن زبّان ، ونزل الفرزدق على بني عبد الله بن الزبير وسألهم أن يشفعوا له ، وشفعت أمّ هاشم للنوار فشفّعها ، فقال الفرزدق :

أَمّا بَنوهُ فَلَمْ يُقْبَلْ شَفاعَتُهُمْ وشُفِّعَتْ بِنْتُ مَنْظورِ بْنِ زَبّانا
ليس النَجِيُّ الذي يَأْتيكَ مُؤْتَزِراً مِثْلَ النَجِيِّ الذي يَأْتيكَ عُرْيانا[3]

فقال ابن الزبير للنَوار : إن شئتِ فرقتُ بينكما وقتلتُه فلا يهجونا ، وإن شئتِ سيّرتُه إلى بلاد العدوّ ؟ فقالت : ما أريد واحدة منهما ، قال : فإنّه ابن عمّك ، وهو راغب فيك فأزوجك إيّاه ؟ فقالت : نعم فزوّجها إيّاه ،

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٩٥ مع فوارق .
٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٣ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

فكان الفرزدق يقول : خرجنا متباغضَيْن ورجعنا متحابّين والله يفعل ما يشاء .

وقال قوم : نزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله بن الزبير وقال :

اليَوْمَ قد نَزَلَتْ بِحَمْزَةَ حاجَتي إنَّ المُنَوَّهَ بِٱسْمِهِ المَوْثوقُ
بأَبي عُمارَةَ خَيْرِ مَنْ وَطِىءَ الحَصَا ونَمَتْ بِهِ في الصالحِينَ عُروقُ
بَيْنَ الحَوارِيِّ الأَغَرِّ وهاشِمٍ ثُمَّ الخَليفَةُ بَعْدَهُ الصِدّيقُ[1]

وقال أيضاً :

يا حَمْزُ هَلْ لَكَ في ذي حاجَةٍ عَرَضَتْ أَنْضاؤُهُ بِمَكانٍ غَيْرِ مَعْمورِ
وأَنْتَ أَحْرَى قُرَيْشٍ أَنْ تَقوم بِها وأَنْتَ بَيْنَ أَبي بَكْرٍ ومَنْظورِ[2]

وكانت أمّة قهطم بنت منظور ، وقال بعضهم : تُماضِر بنت منظور .

حدثني بعض النَوْفَلِيّين من ولد عبد الله بن الحارث بَبَّة قال : وقع بين ببّة وبين عبد الله بن الزبير كلام فعيّره بلقبه ، وقال : ألست ببّة وما ببّة ، فقال له عبد الله بن الحارث : ألست الضِبابيّ وكان ابن الزبير في صغره جلس على حُجْرِ ضبٍّ فَفَسا حتى خرج الضبّ ، فكان يعيَّر بذلك ويقال له الضبابيّ ، فترضّى ابن الزبير ببة عندها وصالحه .

حدثني أبو محمَد التَوزيّ النحوي عن أبي زيد الأنصاري عن أبي عمرو بن العلاء قال : خطب ابن الزبير يوماً ، فتكلّم رجل من ناحية المسجد ، فقال ابن الزبير : من المتكلّم ؟ فسكت ، فقال ابن الزبير : ما له قاتله الله ضبح ضُباح الثعلب ، وقبع قباع القُنْفُذ .

١ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٤ مع فوارق .
٢ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٥٢ مع فوارق .

قالوا : وكان ابن الزبير يقول عالجتُ لحيتي لتكثر فلما بلغتُ سنين يئست منها وكان معصوباً خفيف اللحم ، فكان الزبير يقول : عبد الله يشبه أبا بكر ، فهو ابنه ومَنَعني ابني . وقال الحارث بن ضبّ العَتَكي في ابن الزبير ، ويقال إنّها قيلت في مصعب ، وذلك الثبت :

فـردَّ الخِلافَـةَ يا بنَ الـزُبَيْرِ إلى أَهْلِهـا قَبْـلَ أَنْ تُخْلَع
أَخاف عَلَيْكَ زِيـادَ العِراقِ وأَخْشَى عَلَيْـكَ بَني مِسْمَع
ولا تَأْمَنِ المَكْرَ مِنْ حـارِثٍ فَثَمَّ امرؤٌ سَمُّـهُ يَنْقَـع
ذَكَرْتُ لك المَعْشَرَ الأَكْرَمينَ ذَوي المَجْدِ والحَسَبِ الأَرْفَع

الحارث بن قيس الجَهْضَمي ، وزياد بن عمرو العَتَكي ، ومالك بن مِسْمَع وإخوته .

المدائني عن عبد الله بن فائد : أنّ عبد الله بن الزبير أتى الطائف واستخلف ابنه عبّاد بن عبد الله ، فأُتي عبّاد بخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد وقد شرب وشهد عليه بأنّه يعانق النساءَ في الطواف ، فأمر بضربه الحدّ ، فجُلد فأتى بنو مخزوم أباه فكلموه فقال : ما أصنع به ؛ وكان يتحدّث عند امرأة من قريش ، فقيل لابن الزبير فحبسه وقيّده فقال :

تَـذْكـارُ لَـيْـلـي لَـيْـسَ يَـقْـصِـرُ مَـدَّهُ طـولُ الـنَّـهـارِ
فـلَئِـنْ خُـطـايَ تَقـارَبَـتْ رَسْـفَ المُقَيَّـدِ فـي الحِصارِ
لَـبِـما أُمَـشّـي بِـالأَبـا طِـحِ يَقْتَفـي أَثـري إزاري

في أبيات ؛ ثم أخرجه وسيّره إلى الشأم ، فتزوّج ابنة النعمان بن بشير فنازعها يوماً فقال :

لَظِباءٌ بَيْنَ الحَطيمِ إلى الخَشْمَةِ في مُظْلِماتِ لَيْلٍ وشَرق
قاطِناتُ الحَجونِ أشْهى إلى القَلْبِ مِنَ الساكِناتِ دورَ دِمَشْقِ

فقالت :

كُهولُ دِمَشْقَ وشُبّانُها أَحَبُّ إِلَيْنا مِنَ الجالِيَهْ
إذا ما أَتى وافِدٌ مِنْهُمُ كَنَسْنَا له دارَهُ الخالِيَهْ
لَقَمْلٌ يَدِبُّ دَبيبَ الدَبى أكاريسُ أَعْيَتْ عَلَى الغالِيَهْ
وريحُهُمُ مِثْلُ ريحِ التُيوسِ عَفَّتْ عَلَى آلبانِ والغالِيَهْ

فبلغ عبد الملك الشعر فقال : يا خالد جعلَتْك من الجالية ؟ قال : وأنت يا أمير المؤمنين أيضاً من الجالية ، فأقام بالشأم فانكسرت فخذه ، فقيل لعبد الملك : فقال : لا جبرها الله ، ومات من وجعه فقيل لعبد الملك فقال : لا رحمه الله .

وقال ابن الكلبي : كان خالد بن المهاجر مع ابن الحنفيّة بالشِعْب ، فَعَلَّقَ عليه ابن الزبير زكرة[1] خمر ، ثم ضربه الحدّ .

ورَثَتْه هند ابنة النعمان فقالت :

ألا يا بْنَ المُهاجِرِ قَدْ دَهاني طارِقٌ طَرَقا
دَعاكَ فما أَبَيْتَ ولا سَدَدْنا دونَكَ الغَلَقا
ألا عَيْنَيَّ جودا بِالدُّموعِ عَلَيْهِ واسْتَبِقا
أعِيناني بِفَيْضِكُما ومُجّا الدَمْعَ والعَلَقا

---

١ ـ الزكرة : زق للخمر والخل . القاموس .

وقال عُقْبة الأسدي حين ضُرب خالد بن المهاجر :

ما زِلْتَ مُذْ حِجَجٍ بِمَكَّةَ مُلْحِداً　　في حَيْثُ يَأْمَنُ قاطِنٌ وحَمامُ
أبنو المُغيرَةِ مِثْلُ آلِ خُوَيْلِدٍ　　يالَ الرجالِ لِخِفَّـةِ الأَحْـلامِ
فلْيَنْهَضَنَّ لِخالِدٍ مِنْ قَـوْمِهِ　　مِثْلُ الأَغَرِّ الحارِثِ بْنِ هِشامِ
المُشْتَرينَ الحَمْدَ مِنْ أَمْوالِهِمْ　　في كُلِّ صامِتَةٍ وكُلِّ سَوامِ
وَلْتُنْهِرَنَّ العِيسُ تَنْفَحُ في البَرَى　　تَجْتابُ عَرْضَ مَكارِمِ الأَعْلامِ
بِـالدارِعِـينَ عَلَيْهِمُ أَبْـدانُهُمْ　　لِتُجابَ دَعْوَةُ واصِلٍ صَرّامِ

المدائني ، قال : قال عبد الله بن الزبير : لقد أعظم الناسُ ولادةَ صفيّة بنت عبد المطّلب لنا حتى لقد هممت أن اطلّق بنت الحسين ، فبلغ ذلك عبد الملك فقال : الكلب أَضَنُّ بالشحمة .

قالوا : وذكر مروان طلحة فأثنى عليه وذكر الزبير فلم يقل فيه شيئاً وكان عبد الله بن الزبير حاضراً فقال إنّ ابا محمد أهلٌ لما ذكرته لكنّي أعرف من لم يُذْكَر بخير قطّ ، قال :ومن هو ؟قال:أبوك ، فوثب اليه مروان فاضطربا حتى حجز موسى بن طلحة بينهما فقال له : دعني أُصُكّ عين ابن لعين رسول الله ﷺ .

أمر التوابين وخبرهم بعين الوردة

وهي رأس العين من الجزيرة .

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن جدّه ، وأبي مخنف قالوا : لما فرغ مروان من مرج راهط قَصَدَ قَصْدَ مصر ومرّ بفلسطين وقد هرب منها ناتل ، فولّاها مروان رَوْح بن زِنْباع ، ثم سار نحو مصر فغلب عليها ، ثم قدم الشأم فإذا زُفر بن الحارث الكِلابي قد غلب على قَرْقيسيا وتحصّن بها ، وبلغه خبر مُصْعَب بن الزبير ، وأنّه يريد الشام فوجّه مروان : عبيدالله بن زياد إلى الجزيرة والعراق ، فسار في ستين ألفاً فيهم الحُصين بن نُمير ، وابن ذي الكَلاع الحِمْيَري ، وعُمير بن الحُباب السُلَمي ، وكان عمير قد بايع مروان وصار في حَيّزه ، فسار ابن زياد حتى أوقع بالتّوابين بعين الوَرْدة ، ثم أتى قرقيسيا فرام زُفرَ فلم يقدر عليه ، فسار يريد العراق فقُتل على الخازِر وهو نهر بأرض الموصل ، وكانت وفاة مروان من قَبْل نفوذ ابن زياد إلى الجزيرة ، فكتب إليه عبدالملك بوفاته ، وأُخذ البيعة له ، ولعبد العزيز بن مروان من بعده ، وأن يتولّى من أمر الجيش ما كان وليَه .

حدثني عبّاس عن أبيه عن أبي مخنف وغيره قالوا : لما قُتل الحسين بن علي عليهما السلام ودخل عبيدالله بن زياد من معسكره بالنُخَيلة إلى الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندّم ، ففزِعوا إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة وهم : سليمان بن صُرَد الخُزاعي ، وكانت له صحبة ، والمسيَّب بن نَجَبة الفَزاري ، وكان من خيار أصحاب عليّ ، وعبدالله بن سعد بن نُفيل الأزدي ، وعبدالله بن والٍ التَيْمي ، ورفاعة بن شدّاد البَجَلي ثم القتباني، فاجتمع هؤلاء الخمسة النفر في منزل سليمان بن صُرَد ، ومعهم ناس من وجوه الشيعة ، فابتدأ المسيب بن نَجَبة الكلام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد فإنّا قد ابتُلينا بطول العمر فنرغب إلى ربّنا في أن لا يجعلنا ممّن يقول له غداً : ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [1] وقد بلا الله أخبارنا فوجدنا كاذبين في أمر ابن ابنة نبيّنا ، وقد بلغتنا كُتُبُه ، وقد أَتَتْنا رُسُلُه ، وسألَنا نصره عَوْداً وبَدءاً ، وعلانية وسرّا ، فبخلنا عليه بأنفسنا حتى قُتل إلى جانبنا ، فلا نحن نصرناه بأيدينا ولا خذّلنا عنه ألسنتنا ، ولا قوّيناه بأموالنا ، ولاطلبنا له النُصرة من عشائرنا ، فما عُذْرُنا عند ربّنا لا عُذرَ والله أو نَقْتُلَ قاتليه والموالين عليه ، وإنّه لا بدّ لكم من أمير تفزعون إليه ، وترجعون إلى أمره ، ورايةٍ تحفون بها معه .

ثم تكلّم رفاعة بن شدّاد البَجَلي ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : دعوتَ إلى جهاد الفاسقين ، والتوبةِ من الذنب العظيم ، فمسموعٌ ذلك عنك، ومقبول منك ، وقلتَ:ولّوا أمركم رجلا تفزعون اليه وتطيفون برايته

---

١ - سورة فاطر- الآية : ٣٧ .

وتطيعون له ، فإن تكن ذلك الرجلَ تكن عندنا مرضياً متنصحاً ، وإن رأيتَ ورأى أصحابُنا ولَّينا هذا الأمر شيخ الشيعة ، وصاحب رسول الله ﷺ ، وذا السابقة والقَدَمِ سليمان بن صُرَد ، المحمود في دينه وبأسه ، الموثوق برأيه وتدبيره .

ثم تكلّم عبدالله بن والٍ وعبدالله بن سعد بن نفيل بنحو من كلام رفاعة بن شدّاد ، وذكرا المسيَّب بن نَجَبة وفضله ، وذكرا سليمان بن صُرَد لسابقته ورضاهما به ، فقال المسيَّبِ : أُصبتم ووفقتم ، وأنا أرى مثل الذي رأيتم ، فولُّوا سليمان أمركم .

فولَّوه عليهم ، وقلّدوه رئاستهم ، فخطب سليمان بن صُرَد فقال : إنّي أخاف ألّا نكون أخرّنا إلى هذا الدهر الذي نكِدت فيه المعيشة ، وعظمت فيه الرزيّة لِما هو خير لنا ، نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل نبيّنا ، ونَعِدهم نصرنا ، ونحثّهم على المصير إلينا فلما قدموا علينا وَنيْنا وعجزنا وداهنّا وتربّصنا ، حتى قُتل ولد نبيّنا وسلالته وبضعة من لحمه ، فاتّخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودَريّة للرماح ، فلا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله عنكم بأن تناجزوا مَنْ قتله وتُبيروه ، ألا ولا تهابوا الموت ، فوالله ما هابه أحد قطّ إلّا ذل ، وكونوا كتَوّابي بني اسرائيل إذ قال لهم نبيّهم ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ فَتُوبوا إِلى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ [1] ، فما فعل القوم جثوا والله للرُكب ، ومدّوا الأعناق ، ورضوا بالقضاء حين

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٥٤ .

علموا أنّه لا ينجيهم مِن عظم الذنب إلاّ الصبر على القتل ، فكيف بكم لو قد دُعيتم إلى مِثل ما دُعي القوم إليه ، اشحَذوا السيوف ، وركّبوا الأسنّة وأعدّوا لعدوّكم ما استطعتم من قوة .

وقال عبدالله بن سعد بن نفيل ، أو أخوه خالد : أشهد الله ومن حضر من المسلمين أنّي قد جعلت مالي الذي أصبحت أملكه ، سوى سلاحي الذي أُقاتل به عدوّي ، صدقة على المسلمين أقويّهم به على قتال القاسطين ، وقام أبو المُعْتَمِر حَنَش بن ربيعة الكِناني فقال : وأنا أُشهدكم على مثل ذلك ، وتصدّق حجر بن عُوضة الكندي بماله عليهم أيضاً ، وتصدّق الأسود بن ربيعة بن مالك بن ذي العَيْنين الكندي بماله عليهم أيضاً .

وكتب سليمان بن صُرَد إلى سعد بن حُذَيْفة يدعوه ومن قِبَله إلى التوبة ، والطلب بدم الحسين ، فأجابوه إلى ذلك ، وهم شيعة بالمدائن ، وكانوا انتقلوا إليها من الكوفة ، وقال لهم سعد بن حذيفة : إنّكم كنتم على نصرة الحسين لولا أنّ خبَرَ قتلِه ومعاجلةِ القوم إيّاه أتاكم ، فانهضوا لقتال قَتَلَتِه .

وكتب سليمان بن صُرَد إلى المثنّى بن مُخَرّبة العبدي ، ومن قِبَله من شيعة البصرة ، بمثل ذلك ، فأجابوه إلى النهوض معه .

وكان ابتداء أمر التوّابين في آخر سنة إحدى وستّين ، فكانوا يتداعون ويستعدون ويرتأون، وكان مهلك يزيد بن معاوية في شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين وكان أَجَل الشيعة الذي ضربوه لمن كتبوا إليه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستّين ، على أن يتوافوا ويجتمعوا بالنُخَيْلة .

وكان عبيد الله حين أتاه موت يزيد بالبصرة وثب به أهلها حتى استخفى ، ثم لحق بالشام ، فلم يزل مع مروان بن الحكم إلى أن عقد له مروان على ما غلب عليه وفتحه من أرض الجزيرة والعراق ، ووثب أهل الكوفة بعامله عمرو بن حُريث أيضاً فأخرجوه واصطلحوا على عامر بن مسعود الجُمَحي دُحْروجة الجُعَلِ ، فكان يصلّي بهم ويدعو لابن الزبير حتى عزله ابن الزبير ، وولّى عبدالله بن يزيد الخَطْمي ، فقدمها ابن يزيد لثماني بقين من شهر رمضان سنة أربع وستّين ، ويقال : بعد ذلك بأشهر .

وقدم المختار بن أبي عُبيد الكوفة بعد عبدالله بن يزيد بثمانية أيّام ، فكان المختار إذا دعا الشيعة إلى نفسه ، وإلى الطلب بدم الحسين قالوا : هذا سليمان بن صُرَد شيخ الشيعة وقد أطاعته الشيعة وانقادت له وولّته أمرها ، فيقول : إنّ سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال ، وقد جئتُكم من قِبَل المهديّ محمد ـ يعني ابن الحنفية ـ مؤتمناً منتجَباً ووزيراً مناصحاً ، فلم يزل حتى انشعبت إليه طائفة منهم ، وعظمهم مع ابن صُرَد ، فكان سليمان أثقل الناس على المختار .

واتى يزيدُ بن الحارث بن يزيد بن رُوَيْم الشيباني عبدَ الله بن يزيد الخَطْمي فأخبره بخبر سليمان بن صُرَد والمختار بن أبي عُبيد وما يدعُوَان إليه من الطلب بدم الحسين بن عليّ، وأنّه لا يأمن أن تولّيه الشيعةُ، فخطب الناسَ فقال: إنّ قوماً اجتمعوا للطلب بدم الحسين ، فرحم الله الحسين ، ورحم هؤلاء القوم ، والله لقد دُلِلتُ على أماكنهم وعليهم ، فأبَيْت أن أُهيجهم ، والله ما قتلت الحسين ، ولا مالأت على قتله وما أحببته ، فلعن الله قَتَلته ، فليَظْهَرْ هؤلاء القوم آمنين ، ثم ليسيروا إلى قاتل الحسين وقاتل خياركم وأُماثلكم ،

فقد أَقْبَل إليكم فإنّ عَهْدَ العاهد به على مسيرة ليلة من مَنْبج فقتالُه والاستعداد له أحزم وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم ، وكان عامل ابن الزبير على الخراج دون عبدالله بن يزيد : إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله ، فقام حين فرغ ابن يزيد من كلامه فقال : لا يغرّنّكم مقالة هذا المداهن ، فوالله لئن خرج علينا خارج لنقتلنّه ، أو كما قال ، فقطع عليه المسيَّب بن نجبة كلامه فقال : أأنت تتهدّدنا بالقتل إنّك لأذلّ من ذلك ، وأمّا أنت أيّها الأمير فجزاك الله خيراً ، فقد قلت قولاً سديداً ، وكلّم القومُ إبراهيم بكلام شديد غليظ ، وقالوا لابن يزيد خيراً ، ثم إنّ أصحاب سليمان بن صُرَد انتشروا يشترون السلاح ، ويتجهّزون ظاهرين لا يخافون أحداً[1] .

فلما أهلّ هلال شهر ربيع الآخر سنة خمس وستّين ، خرج سليمان إلى النُخَيلة في أصحابه فعسكر بها ، وبعث حكيمَ بن مُنْقِذ والوليد بن غُضَيْن بن مسلم الكناني ثم الغِفاري في خيل فناديا بالكوفة : يا لَثأرات الحسين فتلاحق به بعد النداء قوم ، وكان مبلغ من أُثبت في ديوانه ستّة عشر ألفاً ، ويقال : اثنا عشر ألفاً ، فعرض أصحابه ومن اجتمع إليه من أهل الكوفة فوجدهم أربعة آلاف ، فقال : يا سبحان الله أما وافاني من ستة عشر ألفاً إلّا أربعةُ آلاف ؟ ويقال إنه قال أما وافاني من اثني عشر ألفاً إلّا أربعة آلاف ؟! فقيل له إنّ المختار ثبط الناس عنك ، وقد صار معه ألفان فقال : سبحان الله أما تُذَكِّر هؤلاء الله وما أَعطَونا من الميثاق .

---

١ - بهامش الأصل : قيام سليمان بن صرد في أخذ ثأر الحسين بن علي عليه السلام .

وكان مقامه بالنُخَيلة ثلاثا ، ثم بعث إلى من تخلّف عنه يُذكرهم الله وما أعطوه من العهود ، فخرج إليه منهم ألف أو نحو ألف ، فقام إليه المسيّب بن نَجَبة ، فقال : يرحمك الله إنّه لا ينفعك المُكْرَهُ ، ولا يقاتل معك إلّا من أخرجته النيّة والحِسْبة ، ومن فرّ إلى ربّه من ذنبه ، فقال سليمان : أيّها الناس إنّا والله ما نطلب من الغنيمة إلّا رضوان الله ، وما معنا من ذهب ولا فضّة ولا خز ولا حرير ، وما هي إلّا سيوفنا على عواتقنا ، ورماحنا بأيدينا وزادٌ قَدْر البُلْغَة إلى لقاء عدونا ، فمن لم يرض بهذا فلا يصحبنا ، فنادى الناس من كلّ جانب: إنّا لا نطلب الدنيا ، وليس لها خرجنا .

وأجمع سليمان المسير فأشار عليه عبدالله بن سعد بن نُفيل بأن يطلب بدم الحسين عمرَ بن سعد بن أبي وقّاص ، ومن بالمِصْر فإنّهم الذين شركوا في دمه وتولّوا أمره ، فقال سليمان : إنّ هذا لكما قلت ، ولكنّ ابن زياد هو الذي سرّب إليه عمرَ بن سعد والجنود ، وعبّأهم عليه ، وقال : لا أمان له عندي ، فسيروا إليه فإنّكم إن رزقتم الظفر به فأَمْرُ من دونه أهل مصركم أيسر من أمره .

وعرض عليه عبدالله بن يزيد الخَطْمي أن ينظر إلى قدوم ابن زياد ليكون أمرهم وأمره في محاربته واحداً ، فكره ذلك ، فعرض عليه أن يوجّه معه جيشاً ، وقال : إنّكم أعلام أهل مصركم فإن أُصِبتم اختلّ مصركم فحاجَزه ، وأجمع على الشخوص واستقبال ابن زياد .

ووعظ سليمان الناس ، ثم سار من النُخَيلة ، فلما صار إلى دير الأَعْوَر عرض أصحابه فإذا قد تخلّف منهم نحوٌ من ألف ، فقال لأصحابه : ما أُحبّ من تخلّف عنكم معكم ولو خرجوا فيكم ما زادوكم إلّا خَبالاً ، ولما

انتهى سليمان وأصحابه إلى قبر الحسين صرخوا صرخة واحدة ، وبكوا وقال سليمان : اللهُمَّ ارحم الشهيد بن الشهيد ونادوا : يا لثأرات الحسين ، وأظهروا التوبة من خذلانه ، ثم إنّ سليمان سار فأخذ على الحَصَّاصة ، ثم على الأنبار ، ثم صَنْدَوْداء قرية الأنصار ثم على القيارة وبعث سليمان على مقدّمته كُريب بن مَرْثَد الحِمْيري .

فلما انتهى إلى قَرْقيسيا أخرج إليهم زُفَر بن الحارث الكلابي أنزالاً وسوقاً وأهدى إلى وجوههم الجزر ، ونحر لسائر أهل العسكر ، وأمر ابنه الهذيل بن زفر فأقام لهم كل ما احتاجوا إليه ، وزوّدهم ، وقال لهم : إنّ عبيدالله بن زياد قد أقبل ومعه حصين بن نُمير السَكوني ، وشرحبيل بن ذي الكَلاع الحِمْيري ، وأَدْهَم بن مُحْرِز الباهلي وربيعة بن المخارق الغَنَوي ، وحَمَلَة بن عبدالله الخَثْعَمي ، وهم في الشوك والشجر ، وقد وردوا الرَقّة فسيروا إلى عين الوَرْدة فاجعلوها في ظهوركم فيكون الماء والمادّة في أيديكم ، وما بيني وبينكم فأنتم له آمنون ، وعرض عليهم أن يقيموا عنده فيقاتل معهم ، وقال : إنّه يريدني فلا تبرحوا حتى يكون أمرنا واحداً ، فلم يفعلوا ، فقال : أما والله لو أنّ خيلي كرجالي لأمددتكم .

فأغذّوا)السير وانتهوا إلى قول زُفَر بن الحارث ورأيه وساروا إلى الشمسانية وإلى السُكَيْر ، ثم إلى التُنَيْنيرَيْن وساعا ، ثم إنّ سليمان عبّأ الكتائب ووجّه إلى أوّل عسكر أهل الشام ، وقد فصلوا من الرَقّة ، وعسكرِ ابن ذي الكَلاع أربعمائة عليهم المسيَّب بن نَجَبة ، فقاتلوهم قتالاً شديداً فنالوا منهم وهزموهم وغنموا غنيمة حسنة ، فبلغ الخبر ابن زياد فسرّح إليهم الحُصين بن نُمير في اثني عشر ألفاً ، فخرج إليهم سليمان في التعبئة ، فلما

تواقفوا دعاهم الحصين إلى طاعة عبدالملك ، وكان مروان قد هلك ، ودعاهم سليمان إلى أن يسلموا إليهم عبيدالله بن زياد ويخلعوا عبد الملك ، ويُخرَج عمّال عبدالله بن الزبير ، ويُسلَم الأمرُ إلى أهل بيت رسول الله ﷺ ، فاقتتلوا أشدّ قتال سُمع به ، فهُزم أهل الشام يومَهم ، وحجز الليل بينهم ، ثم قاتلوهم من الغد وقد أمدّ ابن زياد الحُصين بابن ذي الكَلاع في ثمانية آلاف فاقتتلوا قتالاً لم يُرَ مثله ، ثم تحاجزوا وقد فشت في الفريقين الجراح ، ووافاهم أدهم بن مُحْرِز الباهلي في عشرة آلاف فالتقوا فقُتل سليمان بن صُرَد الخُزاعي ، رماه يزيد بن الحصين بسهم ، ثم أخذ الراية بعده المسيّب بن نَجَبة الفزاري فقتل ، ثم أخذها عبدالله بن سعد بن نُفيل وهو يقول : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَنْ يَنْتَظِرَ[1]﴾ رحمكما الله فقد صدقتما ووفيتما وقاتل فحمل وحمل عليه ربيعة بن المخارق ابن جَأوان الغَنَوي فاختلف هو وعبدالله بن سعد بن نفيل ضربتين فلم يصنع سيفاهما شيئاً ، وطعن ابن أخي ربيعة بن المخارق عبدالله بن سعد بن نفيل في ثغره نحره فقتله ، وأخذ الراية عبدالله بن والٍ التيمي فقُتل ، ويقال : بل دعي ابن وال حين قُتل عبدالله بن سعد لتُدفع الراية إليه فوجدوه قد استُلحم فحمل رفاعة بن شدّاد ، فكشف الناس عنه ثم إنّه أقبل إلى الراية وقد أمسكها عبدالله بن حازم الكبيري من بني كبير من الأزد ، فقال لابن والٍ : خذ رايتك فأخذها وقاتل ابن وال حتى قُتل ، وقُتل ابن حازم إلى جنب ابن وال .

وجاء الليل فنظر رفاعة إلى كلّ جريح ، فدفعه إلى قومه ، وسار بالناس حتى أصبح بالتُنَيْنيرَيْن فعبر الخابور ، ثم مضى لا يمرّ بمعبر إلاّ قطعه ،

١ ـ سورة الأحزاب الآية : ٢٣ .

ودلف أهل الشام لمحاربتهم حين أصبحوا فوجدوهم قد مضوا فلم يتبعوهم ، وسار رفاعة بالناس فأسرع وخلف وراءهم أبا الجُوَيْرية العَبْدي في سبعين فارساً لِحَمْلِ مَن سقط من الرجال ، وقَبْضِ ما وُجد من المتاع وحفْظِه على أهله وتعريفه ، فلما مرّوا بزُفَر بن الحارث بقَرْقيسيا بعث إليهم من الطعام والعلف بمثل الذي كان بعث به في بدأتهم ، وأرسل إليهم الأطبّاء والأدوية ، وقال : أقيموا عندنا إن أحببتم فإن لكم الكرامة والمواساة ، فأقاموا ثلاثاً ، ثم زوّدهم وساروا فأقبل ابن زياد يريد زفر بن الحارث .

وجاء سعد بن حُذيفة بن اليمان من المدائن حتى انتهى إلى هِيت ، فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقي الناس فانصرف ، ولقي سعد المثنّى بن مخرِبة بصَنْدَوْداء فأخبره الخبر ، فأقاما فيمن معهما حتى قيل لهما إنّ رفاعة قد أظلّكما فاستقبلوه فبكى بعضهم إلى بعض ، وانصرف سعد بن حذيفة بمن معه إلى المدائن ، وانصرف أهل الكوفة إلى الكوفة ، وانصرف ابن مخرِبّة إلى البصرة .

وقوم يزعمون : إنّ سعد بن حذيفة كان وّجه إلى أهل عين الوَرْدة ابن الحصل يبشّرهم بإقبالهم إليهم ليقووا مُنَّتهم وتطيب أنفسهم ، وأنّ ابن مخرِبّة وافاهم بقبر الحسين عليه السلام في بدأتهم وشهد حربهم والله أعلم .

وقال هشام ابن الكلبي عن أبيه : قُتل بعين الوَرْدة حُجْر بن عِوَضة بن حُجْر بن مالك بن ذي العَيْنين ، واسم ذي العَيْنين معاوية بن مالك بن الحارث بن بدّاء الكندي ، وبعض الرواة يقول عَوْضة وذلك خطأ .

وقال الهَيْثم بن عَديّ : بعث حصين بن نُمير إلى سليمان بن صُرَد حين التقوا إنّي أعرف لك حقّك وسنّك وقرابتك ، وأنا اكره قتالك ، فبعث إليه

والله ما خرجت وأنا أحبْ الحياة ، فوجّه إليه سليمانَ بن عبد الرحمن الكَلاعي في خمسة آلاف فقُتل ابن صرد ، ثم أخذ الراية ابن نَجَبة فقُتل ، ثم ابن سعد بن نُفيل فقُتل .

قالوا : وأتى أدهم بن مُحْرِز عبد الملك ببشارة الفتح ، فصعد عبد الملك المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد فإنّ الله قد أهلك من أهل العراق مُلْقح الفتنة ، ورأس الضلالة سليمان بن صُرَد ، ألا وإنّ السيوف تركت رأس ابن نَجَبة خذاريف.ألا وقد قتل الله منهم رجلَيْن ضالينّ مُضِلّين : عبدالله بن سعد أخا الأزد ، وابن والٍ أخا بكر بن وائل ، فلم يبق بعد هؤلاء أحدٌ عنده دفاع ولا امتناع ثم نزل .

ولما قدم رفاعة بن شدّاد وأصحابة الكوفة ، كانوا يقولون إذا ذُكر لهم أصحابهم : صبروا والله ، وفررنا ، وخفنا أن نُلْقِيَ بأيدينا إلى التهلكة ، وأن نُؤكل أهل الشام لحومنا ، وقلنا لعلّ الأيّام تُبقي لهم منّا شرّا .

وكان عمر بن سعد بن أبي وقّاص ، وشَبَث بن رِبْعِيّ الرِياحي ، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم يقولون لعبدالله بن يزيد الخَطْمي ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله عامليَ ابن الزبير على الكوفة، بعد خروج ابن صُرَد : إنّ المختار بن أبي عُبيد أشدّ عليكم من ابن صُرد ، وهو يقول إذا ذكر ابن صرد : إنّه عَشَمة من العَشَم وِحفْش من الأحفاش بالٍ ، ليس بذي تجربة للأمور ، ولا علمٍ بالحروب وأنا رجل أُعملُ على مِثالٍ مُثّلَ لي ، وأمرٍ تُقُدّمَ فيه إليّ ، ويُدِلّ بنفسه غير إدْلال ابن صُرَد ، وليس البلد والمختار فيه لكم ببلد ، فأودعوه الحبس حتى يجتمع الناس على رجل ، فأخذاه فحبساه مقيّدا .

وقدم رفاعة وأصحابه الكوفة من عين الوَرْدة ، وهو محبوس ، فكتب إليهم : أمّا بعد فمرحباً بالعُصْبة الذين حكم الله لهم بالأجر حين رحلوا ، ورضي انصرافهم حين أقبلوا ، إنّ سليمان بن صُرَد رحمه الله تعالى قضى ما عليه وتوفّاه الله إليه ، فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين ، ولم يكن بصاحبكم الذي تنتظرون ، ولكنّي الآمر والمأمور وقاتل الجبّارين فأعدّوا واستعدّوا فإنّي أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه والطَلَب بدماء أهل البيت ، والدفع عن الضَعَفة وجهاد المحلّين فأجابوه إلى ما دعاهم إليه ؛ وقالوا : إن شئت أخرجناك من محبسك ، فقال : أنا أخرج في أيّامي هذه ، وكانت صفية بنت أبي عُبيد أُخته امرأة عبدالله بن عمر بن الخطّاب، فكتب إلى عبدالله بن عمر يُعلمه أنّ ابن يزيد وابن محمد بن طلحة حبساه لغير جناية ، فكتب إليهما يسألهما إخراجه ، فأخرجاه ، فكان من أمره ما كان[1] .

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض الثالث ولله كل حمد وفضل .

أمر المختار بن أبي عبيد الثقفي وقصصه

قالوا: وُلد المختار بن أبي عُبَيد بن مسعود بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقْدة بن غِيَرة بن عوف بن قَسي - وهو ثقيف - بن مُنَبّه بن بكر بن هَوازن في السنة التي هاجر فيها رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وتزوّج أبوه دَوْمة بنت عمرو بن وهب بن معتِّب؛ وكان قبل تزوّجه إيّاها يختار نساء قومه فرأى في منامه قائلاً يقول له: تَزَوَّجْ دَوْمَهْ. فإنّها عظيمة الحَوْمَهْ. لا يُسمع فيها مِن لائم لومَهْ، فتزوّجها فلما اشتملت على المختار رأت في منامها قائلاً يقول لها: أبْشِري بوَلَدْ. أشدّ من الأسد. إذا الرجال في كَبَدْ. يتغالبون على بَلَدْ. له فيه الحظّ الأسَدّ، فلما وُلد قيل لها إنّ ابنك قبل أن يتسَعْسَع[1]. وبعد أن يترَعْرَعْ. كثير التَبَعْ. قليل الهَلَعْ. خنشليلٌ[2] غير وَرَعْ. يُدان بما صنَعْ.

---

١ - السعسعة: اضطراب الجسم كبراً والهرم والفناء. القاموس.

٢ - الخنشليل: السريع، الماضي، والضخم الشديد. القاموس.

وكان مع أبيه أبي عُبيد بن مسعود حين وجّهه عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه إلى العراق في الثقل ، وكان له يوم قُتل أبوه ثلاث عشرة سنة ، وكان يقول : والله لأَعْلُوَنّ منبراً بعد مِنْبَر . ولأَفُلَّنّ عسكراً بعد عسكر ولأُخِيفَنَّ أهل الحَرَمَيْن . ولأُذْعَرَنّ أهل المشرقين والمغربَيْن . وإنّ خبري لفي زُبُر الأوّلين .

وكان المختار مع عمّه بالمدائن حين جُرح الحسن بن عليّ في مُظْلِم ساباط أشار على عمّه بدفعه إلى معاوية ، والتقرّب إليه به ، طلبه قوم من الشيعة منهم الحارث الأعور ، وظُبْيان بن عُمارة التميمي ليقتلوه ، فكلّم عمُّه الحسنَ فسألهم الإمساك عنه فأمسكوا وكان المختار عند الشيعة عثمانيّا .

فلما بعث الحسين بن عليّ مسلم بن عَقيل نزل دار المختار ، فبايعه المختار فيمن بايعه سراً ، وخرج ابن عقيل يومَ خرج والمختار في ضيعة له بخُطَرْنيه[1] ، ولم يكن خروج مسلم عن مواعدة لأصحابه ، إنّما خرج بَداهةً حين كان من أمر هانىء ما كان وقدم المختار الكوفة مسرعاً ، فوقف على باب المسجد الذي يعرف بباب الفيل في جماعة ، فمرّ به هانىء بن أبي حيّة الوادعي فقال له يا بن أبي عبيد لا أنت في منزلك ولا مع القوم - يعني أهل الكوفة من أصحاب ابن زياد - فقال : أمسَى رأيي مرتجنا عليّ لعظيم خَطْبكم ، فأتى هانىء عمروَ بن حُريث ، وهو خليفة ابن زياد فأخبره بقول المختار فأرسل إليه عمرو بن حُريث رسولاً وقال له : استَنْهِهِ عن نفسه ، وحذّره أن يجعل عليها سبيلاً ، فقام زائدة بن قُدامة الثقفي فقال : آتيك به على أنّه

---

١ - خطرنيه : ناحية من نواحي بابل العراق . معجم البلدان .

آمِنٌ وإن رقي إلى الأمير عبيدالله فيه شيء قمتَ بشأنه عنده ؟ فقال عمرو بن حريث : أمّا مني فهو آمنٌ ، وأمّا الأمير فإن بلغه عنه شيء أقمتُ له بمحضره الشهادة وشفعت عنده أحسن الشفاعة ، فأبلغ المختارَ رسالة عمرو بن حريث فأتى حتى جلس تحت رايته وبات ليلته ، ثم إنّ ابن زياد جلس للناس وفتح بابه فدخل المختار عليه فلما رآه قال له : أنت المُقْبِل في الجموع لنصر ابن عَقيل ؟ فقال : والله ما بتُّ إلاّ تحت راية عمرو ، فرفع ابن زياد قضيباً كان في يده فاعترض به وجهَ المختار فشتر عينه ، وشهد له عمرو على ما قال ، فقال ابن زياد لولا شهادة عمرو لك لضربتُ عنقك ، وأمر به فحبس فلم يزل محبوساً حتى قُتل الحسين .

ثم إنّ المختار سأل زائدة بن قُدامة الثقفي أن يسير إلى عبدالله بن عمر فيسأله الكتاب إلى يزيد بن معاوية في استيهابه منه ، وكانت صفيّة بنت أبي عبيد أُخت المختار عند عبدالله بن عمر ، فسار ابن قُدامة إلى ابن عمر فكتب إلى يزيد بما سأل المختار ، فكتب يزيد إلى ابن زياد بتخلية سبيل المختار فخلاّه وأجّله في المُقام بالكوفة ثلاثاً ؛ فخرج في اليوم الثالث إلى الحجاز ، فلقيه ابن الغَرِق من وراء واقصة ، فلما رأى شتر عينه استرجع فقال المختار : شتر عيني ابنُ الزانية بالقضيب ، قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأباجله وأعضاءه إرْباً إرْباً ، فاحفظْ هذا الكلام عنّي ، ثم ذكر ابنَ الزبير فقال : إن سمع منّي وقبل عنّي كفيتُه أمر الناس ، وإلاّ فلست بدون رجل من العرب ، إنّ الفتنة قد برقت ورعدت ، وكأنْ قد انبعثتْ فوطئت في خطامها ؛ فرُوي عن ابن الغَرِق أنّه قال : حدّثتُ بهذا الحديث الحجّاجَ بن يوسف ، وضحك وذكر سجع المختار فقال : كان يقول : ورافعةٍ ذَيْلَها . وصائحة وَيْلَها .

بدْجِلَة أو حَوْلَها . فوالله ما أدري ما كان يقول ، إلّا أنّه كان رجلاً ديّناً ، ومقارع أعداء ، ومُسْعِر حرب .

قال : وقدم المختار على عبدالله بن الزبير ، فرّحب به وأوسع له ثم قال له : ما حال العراق يا أبا إسحاق ؟ قال : هم لسلطانهم في العلانية أولياء ، وفي السرّ أعداء ، فقال ابن الزبير : هذه صفة عَبيد السَوءِ إذا رأوا أربابهم خدموهم وأطاعوهم ، وإذا غابوا عنهم شتموهم وعابوهم ، وعرض على ابن الزبير أن يقلّده أمره ويستكفيه إيّاه فلم يفعل؛ فقام عنه ولحق بالطائف فتصرّف في أموره وغاب عن ابن الزبير سنة ، وجعل يقول : أنا مُبير الجّبارين ، فبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن يُهلك الله الجّبارين يكن المختار أحدَهم ، قاتله الله كذّاباً متهكّماً .

وأقبل المختار بعد سنة حتى دخل المسجد وابن الزبير في ذكره فقال ابن الزبير : إذكرْ غائباً تَرَه ، وأقبل المختار فطاف بالبيت وصلّى عند الحجر ركعتين ، ثم جلس واجتمع إليه قوم يسلّمون عليه ، واستبطأه ابن الزبير فقال له بعضهم : قم إليه فقد استبطأك ؟ فقال أتيتُه عاماً أوّلَ فعرضت عليه نفسي فرأيته منحرفاً عنّي ، والله إنّه إليّ لأحوج منّي إليه ، فقال له عبّاس بن سهل بن سعد الساعدي : إنّك أتيته نهاراً ، وهذا أمر تُضرَب عليه الستور ، فأْتِه ليلاً ، فقال : أنا فاعل ، فلما كان الليل أتاه عبّاس ، فمضيا جميعاً حتى دخلا على ابن الزبير فسلّم عليه ابن الزبير وصافحه ، فابتدأ المختار القول فقال: إنّه لا خير في الإكثار من المنطق، ولاحظّ في التقصير عن الحاجة ، وقد جئتك لأُبايعك على أن لا تقضي أمراً دوني ، وعلى أن أكون أوّل من تأذن له ، وإذا ظهرتَ استعنت بي على أفضل عملك ؟ فقال ابن

الزبير : أُبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه ؟ فقال المختار : لو أتاك شرّ غلماني لبايعتَه هذه المبايعة العامة ، والله لا أُبايعك إلّا على هذه الخصال ، فبسط ابن الزبير يده فبايعه .

ومكث المختار معه حتى شهد حصار ابن الزبير الأوّل ، وهو حصار حُصين بن نُمير السَكوني، وقاتل في جماعة معه أشدّ القتال وأغنى أعظم الغَناء ، ولما كان آخر يومٍ قاتل فيه الحصين بن نمير ابنَ الزبير نادى : يا أهل الشام أنا المختار بن أبي عبيد ، أنا الكرّار غير الفرّار ، أنا المُقْدِم غير المُحْجِم إليّ يا أهل الحِفاظ وحُماة الأدبار ، وكان آخرَ أيّامهم في القتال اليومُ الذي علم أهل الشام فيه بموت يزيد ؛ وكان عبد الرحمن بن بُخْدُج بن ربيعة أحد بني عامر بن حنيفة في عصابة من الخوارج من أهل اليمامة يقاتل مدافعةً عن البيت ، لا غضباً لابن الزبير .

وأقام المختار مع ابن الزبير حتى انصرف عنه الحُصين بن نُمير وأهل الشام إلى الشام ، فلما رأى أنّ ابن الزبير لا يولّيه شيئاً أقبل يسأل الناس عن خبر الكوفة وأهلها، فيقال له إنّهم أخرجوا عمرو بن حُريث عامل ابن زياد واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أُمية بن خَلَف ، فيقول : أنا أبو إسحاق ، أنا لها إذ ليسَ لها أحد غيري ، أنا راعيها إذا أظلّ راعيها ، ثم ركب رواحله وأتى الكوفة ، فلما صار بنهر الحيرة اغتسل وادّهن ، ولبس ثيابه ، واعتمّ وتقلّد بسيفه وركب راحلته فمرّ بمسجد السَكون ، وجَبّانة كندة ، وجعل لا يمرّ بمسجد إلّا سلّم على أهله حتى مرّ ببني بداء من كندة ، فسلّم على عبيدة بن عمرو البَدّي ، وقال : يا أبا عمرو أبشر بالنصر واليسر والفرج إنّك على رأيٍ تُستر معه العيوب ، وتغفر الذنوب ، وكان عبيدة من

أشدّ الناس تشيُّعاً وحُباً لعليّ ، وكان شجاعاً ، فقال للمختار : بشّرك الله بخير ، قال : آلقَنِي رحمك الله وأهلُ مسجدك ؛ ودارَ على الشيعة من همدان وغيرها يبَشرهم ويبلّغهم السلام عن ابن الحنفيّة .

فيقال : إنه لما أراد الشخوص إلى الكوفة أتى ابن الحنفيّة فقال له إنّي على الشخوص للطلب بدمائكم ، والإنتصار لكم ، فسكت ابن الحنفيّة فلم يأمره ولم ينهَهُ فقال إنّ سكوته عنّي إذنٌ لي وودّعه ، فقال له ابن الحنفيّة : عليك بتقوى الله ما استطعت ؛ ويقال : إنّه لما قال له:إنّي على الشخوص للطلب بدمائكم والإنتصار لكم قال : إنّي لأُحبّ أن ينصرنا ربُّنا ويُهلك من سفك دماءنا ولست آمرُ بحرب ولا إراقة دم ، فإنّه كفى بالله لنا ناصراً ، ولحقّنا آخذاً وبدمائنا طالباً .

وحدثني عبيدالله بن صالح بن مسلم العِجْلي ، حدثنا اسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي أنّه قال ـ وسئل هل كان أمر المختار عن رأي محمد ابن الحنفيّة ـ فقال : كان لذلك سبب ، إلاّ أنّه أمره بما لم يعمل به .

وقال أبو مخنف في روايته : لما اجتمعت الشيعة إلى المختار حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد فإنّ المهديّ ابن الوصيّ محمد بن عليّ بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتجباً وأميراً ، وأمرني بقتال المحلّين والطلب بدماء أهل بيته الطيّبين ؛ فكان أوّل من بايعه عبيدة بن عمرو ، وقد كانت الشيعة مجتمعة لسليمان بن صُرَد الخُزاعي ، فجعل يثبطها عنه ويقول هذا رجل عشَمة هامةُ اليومِ أو غدٍ ، وإنما يريد أن يقتلكم ونفسَه ، فإنّه لا علم له بالحروب وسياسة الأمور حتى مال إليه كثير منهم ، وكان ابن الزبير قد جعل مكان عامر بن مسعود على صلاة الكوفة وحربها عبدالله بن يزيد الأنصاري ،

ثم أحد بني خَطْمه، وعلى الخراج إبراهيم الأعرج بن محمد بن طلحة بن عبيدالله فأتاهما عمر بن سعد بن أبي وقّاص ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم الشيباني ، وشَبَث بن رِبْعِيّ الرِياحي فقالوا لهما: إن سليمان بن صُرَد يريد قتال أعدائكما ، وإنّ المختار يريد الوثوب بكما في مصركما والإفساد عليكما ، فأخذاه فحبساه وقيّداه .

فكان يقول في السجن : أما وربّ البِحارْ . والنخل والأشجار . والمهامه والقفار . والملائكة الأبرار . والمُصطَفَيْنَ الأخيار . لأقتلنّ كلّ جبّار . بكلّ لدن خطّار . ومهَنَّدٍ بتّار . في جموع من الأنصار . ليسوا بِميل أُغمار . ولا عُزْلٍ أشرار . حتى إذا أقمتُ عَمودَ الدين . ورَأَبْتُ صَدْع المسلمين . وشفيت غليل صدور المؤمنين . وأُدْرَكْتُ ثار أبناء النبيّين . لم يكبُر عليّ فراق الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى .

وكان يسجّع بعد خروج ابن صُرَد إلى الجزيرة فيقول : عدوا لغُزيكم أكثر من عَشْر . وأقلّ من شهر . فليأتينّكم نبأ هِتْر .وطعن نتر. وضرب هَبْر . وقتل جَمّ . وأمر قد حَمّ . فمن لها يومئذ ، أنا لها .

وكتب من الحبس إلى عبدالله بن عمر : «أمّا بعد فقد حُبستُ مظلوماً ، وظنَّ بي ولاة المصر ظنوناً ، وحُملَتْ عني أكاذيب ، فاكتب رحمك الله إلى هذين الواليين الظالمين في أمري لعلّ الله يتخلّصني ببركتك» ، فكتب ابن عمر إليهما :«أمّا بعد فقد علمتما الذي بيني وبين المختار بن أبي عبيد من الصهْر ، وما أنا عليه لكما مِن الودّ فأقسمت عليكما بما بيني وبينكما لَمّا خلّيتما سبيله» ، فلما أتى الكتاب عبدالله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد دعوَا المختار وقالوا : هات بكفلاء يضمنونك فضمنه زائدة بن قدامة الثقفي ، وعبد

الرحمن بن أبي عُمير الثقفي ، والسائب بن مالك الأشعري وقيس بن طَهْفة النَهْدي ، وعبدالله بن كامل الشاكري من همدان ، ويزيد بن أنس الأسدي ، وأحمر بن شُمَيْط البَجَلي ثم الأَحْمَسي ، وعبدالله بن شدّاد الجُشَمي ورفاعة بن شدّاد البَجَلي ، وسُليم بن يزيد الكندي ثم الجوني ، وسعيد بن مُنْقِذ الهمداني ثم الثَوْري أخو حبيب بن منقذ ، ومسافر بن سعيد بن عمران الناعِطي وسعر بن أبي سعر الحَنَفي ، فلما ضمنوه دعا به عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد فأحلفاه ألا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ، فلما خرج من عندهما قال : أما حلفي لهما ب ، فإنّه ينبغي لي أن اكفّر يميني فإنّ خروجي عليهما خير، ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها أتى الذي هو خير وكفّر عن يمينه ، وأمّا حلفي بعتق مماليكي فوددت أنّي نلت الذي أريد وأنّي لا أملك مملوكاً أبداً وأمّا هدْي ألف بَدنَة فذلك أهْوَن عليّ من بصقة .

ثم إنّه صار إلى داره فتداكّت عليه الشِيَعُ يبايعونه ، فلم يزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى حتى عزل ابنُ الزبير عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد وولّى عبدالله بن مُطِيع بن الأسود الكوفةَ ، فقدمها في شهر رمضان سنة خمس وستّين وبعث ابن الزبير الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ، وهو القُباع ، على البصرة ، وخرج إبراهيم بن محمد إلى المدينة وكسر الخراج على ابن الزبير ، وقال : إنّما كانت فتنة ؛ وقبل خروجه حبسه ابن مطيع ، فكتب إليه اسماعيل بن طلحة : «والله لتُطلقنّه أو لتعلمنّ أنّي لك بئسَ الشِعارُ وأنّها لك بئسَ الدارُ» ، فأطلقه .

ودعا ابن مُطيع الناس إلى البيعة لابن الزبير، ولم يسمِّهِ، وقال: بايعوا لأمير المؤمنين فكان ممّن بايعه فَضالة بن شَريك الأسدي، ويقال: ابن همّام السَلولي وقال:

دَعا ابْنُ مُطيعٍ لِلْبياعِ فجِئْتُهُ ... إلى بَيْعَةٍ قَلْبي لها غَيْرُ عارف
فأَخْرَجَ لي خَشناءَ حَيْثُ لَمَسْتُها ... مِنَ الخُشْنِ لَيْسَتْ مِنْ أَكُفِّ الخَلائف
مِنَ الشَثِناتِ الكُزْمِ أَنكَرْتُ مَسَّها ... ولَيْسَتْ مِنَ البيضِ السِباطِ اللَطائف
مُعاوِدَةٍ ضَرْبَ الهَراوَى لِقَومْها ... فَروراً إذا ما كانَ يَوْمُ التَسايُف
ولم يُسْمِ إذْ بايَعْتُهُ مَنْ خَليفَتي ... ولَمْ يَشْتَرِطْ إلاّ اشْتِراطَ المُجازف

قالوا: وخطب ابن مطيع فقال إنّ امير المؤمنين بعثني على مصركم وثغوركم وأمرني بجباية فَيئكم ولا أحمل شيئاً ممّا يفضل عنكم إلاّ أن ترضوا بحمل ذلك، فأتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا، وخذوا فوق أيدي سفهائكم فوالله لأوقعنّ بالسقيم العاصي، ولأقيمنّ درء[1] الأصعر المرتاب، ولأبالغنّ للمحسن في الإحسان، ولأَتَّبِعَنَّ سيرة عمر وعثمان، فقال له السائب بن مالك: أمّا سيرة عثمان فكانت هوى وأَثَره فلا حاجة لنا فيها، وأمّا سيرة عمر فأقلّ السيرتين ضرراً علينا لكن عليك بسيرة عليّ بن أبي طالب، فإنّا لا نرضى بما دونها، فقال ابن مُطيع: نسير فيكم بكلّ ما تهوَن وتريدون؛ وكان على شرَط ابن مطيع إياس بن مضارب العِجْلي، وقال له حين ولّاه: عليك بحسن السيرة والشدّة على أهل الريبة.

---

١ ـ الدرء: الميل والعوج في القناة ونحوها.

قالوا : وبعث ابن مطيع إياساً إلى المختار ليأتيه به فتمارض المختار ودعا بقطيفة وقال : إنّي لأجد قفقفةً ، وجعل المختار يبعث إلى اصحابه فيجمعهم في الدور حوله ، وأراد الوثوب بالكوفة في المحّرم ؛ فجاء رجل من شِبام يقال له عبد الرحمن بن شريح إلى وجوه الشيعة فقال لهم : إنّ المختار يريد الخروج بنا ولا ندري لعلّ محمد بن عليّ لم يوجّهه إلينا ، فآنهضوا بنا إليه لنُخبره خبره فإن رخّص لنا في اتّباعه اتبعناه ، وإن نهانا عنه اجتنبناه فما ينبغي أن يكون شيء آثَرَ عندنا من أدياننا ، فخرج عبد الرحمن بن شريح الشِبامي ، والأسود بن جراد الكندي ، وسِعْر بن أبي سعر الحنفي في عدّة معهم إلى ابن الحنفيّة ، فلما لقوه قال عبد الرحمن : إنّكم أهل بيت قد خصّكم الله بالفضيلة ، وشرّفكم بالنبّوة ، وعظم حقّكم على الأمّة فلا يجهله إلا غبين الرأي مخسوس الحظّ ، وقد أُصبتم بحسين رحمه الله ، وأتانا المختارُ بن أبي عُبيد يزعم أنه جاء من تِلْقائك يطلب بدمه ، فمُرْنا بأمرك ، فقال ابن الحنفيّة : إنّ الفضل بيد الله يُؤتيه من يشاء ، فالحمد لله على ما آتانا وأعطانا ، وأمّا المصيبة بحسين فقد خصت أهله ، وعمّت المسلمين ، وما دعاكم المختار إليه ، فوالله لوددت أنّ الله انتصر لنا بمن شاء من خلقه ، فقالوا : هذا إذن منه ، ورخصة ، ولو شاء لقال : لا تفعلوا حتى يبلغ الله أمره ، فلم تكن إلاّ زيادة أيّام على الشهر حتى وافوا الكوفة فبدأوا بالمختار ، وكان ظنّه ساء ، وخاف أن يأتي القوم بأمر يخذّلون به الشيعة عنه ، فقال لهم حين قدموا : ارتبتم وتحيّرتم ، فما وراءكم ؟ قالوا : أَذِنَ لنا في نصرتك ، فقال : الله أكبر أنا أبو إسحاق ، اجمعوا إليّ الشيعة ، فاجتمعوا فقال : إنّ نفراً منكم أحبّوا أن يعلموا مِصداق ما جئتُ به ، فرحلوا إلى إمام الهدى .

والنجيب المرتضى . وابن خير من جلس ومشى . بعد النبيّ المصطفى . فسألوه عمّا قدمتُ له . فأنبأهم أني وزيره وظهيره ورسوله ، فقام عبد الرحمن بن شريح فقال : إنّا قدمنا على المهدي بن عليّ فأمرنا بمظاهرة المختار ومؤازرته ، وإجابة دعوته ، فأقبلنا طيّبةً أنفسُنا منشرحة صدورُنا ، قد أذهب الله عنّا الشكّ والغِلّ والريب ، واستقامت لنا بَصيرتنا في قتال عدوّنا ، فليُبلغ ذلك شاهدُكم غائبَكم ، وقام الوفد رجلاً رجلاً فتكلّموا بنحو ما تكلّم به عبد الرحمن ، فاستجمعت له الشيعة ، وقالوا : إنّ أشراف أهل الكوفة مُجمعون على قتالك مع ابن مُطِيع فإن جاء معنا إبراهيم بن الأشتر على أمرنا رجونا القوّة بإذن الله على عدوّنا ، فإنّه فتى بئيس ، وابن رجل شريف وله عشيرة ذات عزّ وعدد .

فرُوي عن الشعبي أنّه قال : فخرج إليه وجوه الشيعة ، وأنا فيهم فكلموه ودعوه إلى الطلب بدم الحسين ، وأهل البيت ، وقالوا : إنّ هذا أمر جسيم إن أَجَبْتَنا إليه ، عادت لك منزلة أبيك في الناس ، وأحييت شرفه وما كان مشهوراً به من الفضل ، ونُصرة الحقّ ، والغضب لرسول الله ﷺ ، وأهل بيته فقال : قد أجبتكم إلى ما دعوتموني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته على أن تولّوني الأمر .

فقالوا : أنت لذلك أهلٌ ، ولكنّ المهديّ محمد بن عليّ وّجه المختار إلينا فهو الآمر والمأمور بالقتال ، وقد شخص إليه نفر منّا اختباراً لِما جاء به فأمَرَنا بطاعته ؛ ثم إنّ المختار أتاه في جماعة من الشيعة بعد أيّام كثيرة ، فأقرأه كتاباً من محمد بن علي إليه نسختُه :

«من محمد المهديّ بن عليّ إلى إبراهيم بن مالك .

أمّا بعد : فإنّي بعثت إليكم المختار بن أبي عُبيد ، نصيحي ووزيري ، وثِقَتي وأميني المرضيّ عندي ، للطلب بدماء أهل بيتي ، فآنهض معه بنفسك وعشيرتك وأتباعك ومن أطاعك ، فإنك إن نصرتني ، وساعدت وزيري ، كانت لك عندي بذلك فضيلة ، ولك الأعنّة والمنابر ، وكل بلد ظهرتَ عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام» .

فقال ابن الأشتر : قد كاتبتُ محمد بن عليّ ، وكاتبني فما رأيته كتب إليّ قط إلا باسمه اسم أبيه ، لا يزيد على ذلك ، وقد استربتُ بهذا الكتاب ، فقام يزيد بن أنس ، وأحمر بن شُمَيْط ، وعبدالله بن كامل بن عمرو الهمداني ثم الشاكري ، وورقاء بن عازب الأسدي ، فشهدوا أنّه كتاب ابن الحنفيّة ، فتنحى إبراهيم عن صدر المجلس وأجلس المختار فيه وبايعه .

فمكثوا يدبّرون أمرهم حتى أجمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة النصف من شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وستّين ، ووطّنوا على ذلك شيعتهم ومن معهم ، فلما كان عند غروب الشمس ليلة النصف وهي ليلة الميعاد ، قام إبراهيم بن الأشتر فصلّى المغرب حين قال القائل : أخوك أم الذئب ؟ ثم أتى المختار ؛ قال الشعبي : فأقبلنا معه وعلينا السلاح فلم يمكن في تلك الليلة الخروج ، فآتعدوا لليلة الخميس .

المدائني في إسناده ، قال : كان للمختار مجلس يجلس فيه بالطائف ليلاً فـرفع رأسه إلى السماء ثم قال متمثّلاً :

ذو منـاديـحَ[١] وذو مُلْتَبَطٍ[٢]   وركابٍ حَيْثُ وَجَّهْتَ ذَلَلْ
لا تَذُمَّنْ بلداً تـكـرهـه   وإذا زَلَّتْ بِكَ النَعْلُ فَزَلْ

قد والله مات يزيد ، فما لبثوا أن جاء موتُه .

المدائني في إسناده ، قال : ركب المختار يوماً مع المغيرة بن شُعْبة ، فمّر بالسوق فقال المغيرة : أما والله إنّي لأعرف كلمة لو دعا بها أريبٌ لاستمال بها أقواماً فصاروا له أنصارا ، ثم لاسيّما العجم الذين يقبلون ما يُلْقَى إليهم ، قال المختار : وما هي يا عمّ ؟ قال : يدعوهم إلى نصرة آل محمد والطلب بدمائهم ، فكانت في نفس المختار حتى دعا .

---

١ ـ النّدح : الكثرة والسعة ، وما اتسع من الأرض . القاموس .
٢ ـ التبط البعير: خبط بيديه وهو يعدو ، وفلان سعى وتحير واضطرب ، والقوم أطافوا به ولزموه . القاموس .

مقتل إياس بن مضارب وابنه راشد بن إياس

قالوا : وبلغ ابن مُطِيع إجماع المختار بالخروج فأخبر إياساً بذلك وهو على شُرَطه ، فخرج إياس في الشرط ، وبعث ابنه راشد إلى الكُناسة وأقبل يسير حول السوق في الشرط ، وأشار على ابن مطيع أن يبعث إلى كلّ جَبّانة عظيمة رجلاً من ثِقاته في جماعة من أهل الطاعة له ، فوجّه ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني إلى جبّانة السَبيع فقال : آكفني قومك ، وبعث كعب بن أبي كعب الخَثْعَمي إلى جبّانة بشر بن ربيعة الخثعمي ، وبعث زَحْر بن قيس الجُعْفي إلى جبانة كِنْدة ، وبعث شَمِر بن ذي الجَوْشَن الكِلابي إلى جبّانة سالم ، وبعث عبد الرحمن بن مِخْنَف إلى جبّانة مُراد ، وأمر كلّ امرىء منهم أن يتحفّظ ويحكم أمره وما يليه ، وبعث شَبَث بن رِبْعِيّ إلى السَبَخة ؛ فخرج إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلة الأربعاء في جماعة عظيمة عليهم الدروع وهم متقلّدو السيوف وقد كفّروا الدروع بالأقبية ، وستروا السيوف ، وفيهم شراحيل وابنه عامر بن شراحيل الشعبي ، وقال الشعبي : كان ابراهيم فتى حدثا شجاعاً لا يكره أن يلقى أحداً من أصحاب ابن

مطيع ، فمرّ بدار عمرو بن حُريث المخزومي فلقيه إياس بن مضارب في الشرط ، فقال : من أنتم ؟ قال إبراهيم : أنا إبراهيم بن مالك الأشتر ، فقال : ما هذا الجمع لقد رابني أمرك ، ولست بتاركك حتى آتي بك الأمير وكان مع إياس رجل همداني يُكنى أبا قَطَن ، وفي يده رمح له طويل ، وكان صديقاً لإبراهيم فاستدناه إبراهيم فدنا منه وهو يظنّ أنّه يكلّمه في مسألة ابنِ مضارب الإمساك عنه ، فكلّمه إبراهيم بشيء ، ثم استلب الرمح منه وحمل على إياس فطعنه في ثُغْرَة نحره ، فصرعه وأمر رجلاً ممّن معه فاحتزّ رأسه ، وتفرّق أصحاب ابن مضارب ؛ فبعث ابن مطيع راشد بن إياس بن مضارب مكان أبيه على الشرطة ، وصَيّر مكان راشد بالكُناسة سُويد بن عبد الرحمن بن بُجير المِنْقَري أبا القعقاع بن سويد ، وبعضهم يقول : هو سويد بن عمرو ، والأوّل أصحّ ، وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار فقال إنّا اتّعدنا للخروج القابلةَ ، وهي ليلة الخميس وقد حدث أمر لابدّ لنا معه من الخروج الليلة ، وأخبره خبر ابن مضارب وألقى رأسه بين يديه ، فقال المختار : بشّرك الله بخير فهذا أوّل الفتح ، ثم لبس المختار سلاحه وأمر فنُودي : «يا منصور أُمِت» وأمر أيضاً فنودي : «يا لَثارات الحسين» وجعل يقول :

قَدْ عَلِمَتْ بَيْضاءُ حَسْناءُ الطَّلَلْ واضِحَةُ الخَدَّيْنِ عَجْزاءُ الكَفَلْ
أنّي غَداةَ الرَّوْعِ مِقْدامٌ بَطَلْ

وقال ابن الأشتر : إنّ هؤلاء الذين رتّبهم ابن مُطِيع في المواضع يمنعون إخواننا من المصير إلينا وإتياننا ، فالرأي أن آتي قومي في كتيبتي هذه التي جئتك فيها ليجتمعوا ، ثم أدور في نواحي الكوفة ، وأنادي بشعارنا فيخرج

إليّ من أراد الخروج ، فقال المختار : استَخِر الله ، ففعل ابراهيم ، وجعل كلّما تسرّعتْ إليه خيل كشفها ، ثم عاد يخترق السكك ويجتنب منها سكك الأُمراء .

وخرج المختار في جماعة أصحابه حتى نزل عند السبَخَة ، ونادى أبو عثمان النهدي في شاكر : ألا إنّ وزير آل محمد قد خرج وبعثني إليكم ، فخرجوا من الدور ينادون : «يا لثارات الحسين» وضاربوا كعب بن أبي كعب الخَثْعَمي وهو بجبانة بِشْر حتى خلّى لهم الطريق ، فأتوا عسكر المختار ، وجاء حجّار بن أَبْجَر العِجْلي فعبأ له المختار أحمر بن شُميط الأَحْمسي ، فقاتله وأقبل إليهم ابن الأشتر فلما أحسّ به حجّار هرب وأصحابه ؛ وتوافى إلى المختار من كلّ قبيل المائة والمائتان ، وكانوا يحملون على من عرض لهم حتى تتامّ إليه ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل ، فعبّأهم المختار وكتّبهم ، وتوجّه ابن الأشتر إلى راشد بن إياس بن مُضارب فلقيه في جَبّانة مراد وهو في أربعة آلاف ، فاقتتلوا ، فَقَتَل خُزيمةُ بن نصر العَبْسي ، وأبو نصر بن خزيمة المقتول مع زيد بن عليّ بن الحسين ، راشدَ بن إياس ونادى : قتلتُ راشداً وربِّ الكعبة ، وانهزم أصحاب راشد ؛ فقالت أخته ترثيه :

لَحَى الله قَوْماً أَسْلَموا أَمْس راشِداً ... بِجَبّانَةِ الداريِنَ عِنْدَ مُراد
فَلا وَلَدَتْ عِجْلِيَّةٌ بَعْدَ راشِدٍ ... غُلاماً ولا حَلَّت بِصَوْبِ رعاد

وجعل إبراهيم يحرّض أصحابه فيقول إنّه ليس مع الحقّ قلّة ، ولا مع الباطل كثرة فـ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ الله والله مَعَ الصَّابرِين﴾[1] .

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٤٩ .

أمر حسان بن فائد وحصار ابن مطيع وهربه

قالوا : وأقبل إبراهيم بن الأشتر بعد قتل راشد بن إياس نحو المختار وقدم البُشَراء بين يديه بقتل راشد ، فقويت أنفس أصحابه ودخل ابنَ مطيع وأصحابه الفشلُ والوهن ، فسرّح ابن مطيع حسّان بن فائد بن بكير بن إساف العَبْسي في نحو من ألفين فاعترض له إبراهيم ليردّه عمّن بالسَبَخَة من أصحابه ، فزحف إبراهيم إليه في أصحابه ، فما تطاعنوا برمح ولا تضاربوا بسيف حتى انهزم أصحاب حسّان وظفروا به فكلّم فيه خُزيمة بن نصر العَبْسي إبراهيم وقال : ابن عمّي فحمله إبراهيم على فرس وقال : الحَقْ بأهلك .

وقصد إبراهيم بن الأشتر لشَبَث بن رِبْعِي فاعترضه يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم ليصدّه عنه ، فأمر إبراهيم خزيمة بن نصر أن يصمد له ، فهزم خزيمةُ يزيدَ وكشف إبراهيم شَبَثاً وأصحابه ، فانهزموا إلى ابن مطيع وولى ابن مطيع شرطته بعد إياس وابنه سُويدَ بن عبد الرحمن المِنْقَري أبا القَعْقاع واستخلف على المصر شَبَث بن رِبْعيّ ، وضمّ إلى مُساحِق بن عبدالله بن مَخْرَمة القرشي ثم العامري ، ويقال إلى ابنه نَوْفل بن مساحق ، خمسة آلاف فاجتمعت مقاتلة ابن مطيع إليه ، وقد صار إلى الكُناسة ، فدلف إليهم ابن الأشتر وقال لأصحابه : انزلوا ولا يهولنّكم آل فلان ، وآل فلان ، فإنّ هؤلاء الذين ترون لو قد وجدوا وقع السيوف انفرجوا عن ابن مطيع انفراج المِعْزَى ، ثم أخذ أسفل قبائه فأدخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود ، ثم قال لأصحابه : شدّوا عليهم فدَاكم عمّي وخالي ، فما لبثوا أن انهزموا ، وركب بعضُهم بعضاً على أفواه السكك ،

وازدحموا وانتهى ابن الأشتر إلى مساحق ، أو ابن مساحق ، فرفع عليه بالسيف فقال له : يا بن الأشتر، هل بيني وبينك إحْنة أو عداوة ، أو لك قِبَلي ثأر تطلبني به؟ فخلّى سبيله ، فكان بعد ذلك يشكره .

وأتى ابن مُطِيع القصر ، واتّبعه ابن الأشتر وجاء المختار حتى دخل المسجد وولى حصار ابن مطيع في القصر إبراهيم بن الأشتر ، وأحْمر بن شُميط ، ويزيد بن أنس الأسدي ، فصار كلّ امرىء منهم في ناحية من القصر ، ومكث ابن مطيع ثلاثا يرزق أصحابه الدقيق ، ومعه أشراف الناس إلاّ عمرو بن حُريث ، فإنّه دخل القصر معه ، ثم كره الحصار فخرج من الكوفة ، وأشار شَبَث بن رِبْعِيّ على ابن مطيع أن يأخذ لنفسه أماناً ، ويخرج فأبى ذلك ، قال: الأمر مستقيم بالحجاز لأمير المؤمنين عبدالله بن الزبير وبالبصرة، فكيف أرضى بهذه المنزلة؟ فقال: فإذ كرهت هذه فَصِرْ إلى بعض من تثق به سِراً فاستخفِ عنده ، ثم الحَقْ بأمير المؤمنين ، فقال لأسماء بن خارجة بن حِصْن الفَزاري ، وعبد الرحمن بن مِخْنَف ، وأشراف أهل الكوفة : ما ترون فيما أشار به شَبَث ؟ قالوا : هو الرأي ، قال : ننتظر المساءَ ، واطّلع من القصر رجل فشتم المختار ، فرماه عمرو بن مالك النَهْدي أبو نمر بسهم فعقره ولم يقتله فقال :

خذها مِنِ ابنِ مالِكْ مِنْ فاعِلٍ كذلِكْ

ولما أمسى ابن مطيع جمع الأشراف الذين معه فقال: جزاكم الله عن الطاعة خيراً ، أما إني سأعلم أمير المؤمنين بما كان مُحاماتكم وجدّكم واجتهادكم ، فقال شَبَث : جزاك الله من أمير خيراً ، فقد عففتَ عن أموالنا وأكرمت أشرافنا ، ونصحت لإمامك وقضيت الذي عليك وما

كنّا لنفارقَك إلاّ بإذن منك ، فقال : ليذهب كل امرىء منكم إلى حيث أحبَ ، ثم احتال للخروج فخرج من ناحية دار الروميّين ، حتى أتى آل أبي موسى وخَلّى القصر ، واستأمن أصحابُه فآمنهم ابن الأشتر ، وخرجوا فبايعوا المختار .

قالوا : ودخل المختار القصر في اليوم الرابع من حصار ابن مطيع فقال : «الحمدلله الذي وعد وليَّه النصر . وعدوَّه الخَسر . وجعله فيه إلى آخر الدهر . وَعْداً مفعولاً . وقضاءُ مَقْضيّا . وقد خاب من افترى . إنّه رُفعت لنا راية . ومُدَّت لنا غاية . فقيل لنا في الراية . ارفعوها ولا تضعوها . وفي الغاية اجروا اليها ولا تعتدوها . فسمعنا دعوة الداعي . وإهابة الراعي . فكم من ناعٍ وناعية . لَقتيلٌ في الواغية . وبُعْداً لمن طغى . وكذّب وتولّى . ألا ادخلوا أيّها الناس فبايعوا بيعة هدى . فوالذي جعل السماء سقفاً ملفوقاً . والأرض فِجَاجاً سُبُلاً . ما بايعتم بعد بيعة أمير المؤمنين عليّ وآل عليّ بيعة أهدى منها» ؛ فبايعه الناس على كتاب الله وسنّة نبيّه ، والطلب بدماء أهل البيت ، وجهاد المحلّين ، والدفع عن الضعفاء ، وقتالِ مَن قاتله ، وسلم من سالَمه ، والوفاء بعهده وبيعته لا يُقيل ولا يستقيلون، فكان الرجل اذا عرض عليه ذلك فقال: نعم، ماسَحهُ، فجاء المنذر بن حسّان بن ضِرار الضَبّي ليبايع ومعه ابنه فرآهما جماعة من الشيعة، كانوا وقوفاً مع سعيد بن منقذ الهمداني ، فقالوا:هذا والله من رؤساء الجبّارين فشَدّوا عليه وعلى ابنه فقتلوهما ، فصاح بهم سعيد : لا تعجلوا ، وبلغ ذلك المختار فكرهه حتى استُبينت في وجهه كراهته ، وبعث المختار إلى ابن مطيع : إنّي قد عرفت مكانك وقد ظننت أنّ بك عجزاً عن النهوض ، وقد

بعثت إليك بمائة ألف درهم ، فقبلها ابن مطيع وشخص عن الكوفة ، وكان المختار قد وجد في بيت مال الكوفة تسعة آلاف ألف درهم ، فأعطى أصحابه ومن بايعه ، وأحسن المختار مجاورة أهل الكوفة والسيرة فيهم ، وأكرم الأشراف ، وولّى شرطته عبدالله بن كامل الشاكري ، وولّى حرسه كَيْسان مولى عُرَيْنة ، ويُكنى أبا عَمْرَة ، وهو صاحب الكيسانيّة وولّى المختار عُمّاله ، وولّى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الموصل .

وكان عبدالله بن الزبير كتب إلى ابن مطيع في تولية محمد بن الأشعث الموصل فولّاه إيّاه فلما وردها عبد الرحمن بن سعيد انحاز ابن الأشعث إلى تكريت ، وكتب بخبره إلى ابن الزبير ، فكتب إليه ابن الزبير قد فهمت كتابك ولا عذرَ لك عندي فيما فعلت ، أتُخلّي أرض الموصل وخراجها وحصونها من غير جهاد ولا إعذار وقد خرطتك عليها فأنت تأكل منها الكثير وتبعث إليَّ بالقليل ، فوالله لو لم تقاتل مناصحةً لإمامك ولا طلباً لثواب ربّك لكنتَ حَرِيّاً بأن تقاتل عن بلد أنت أميره لك خيره وعليك عيبه فلم تفعل ذلك غضباً ولا محاماةً على سلطانك ، فلستَ في أمر دنياك بالحازم القويّ ولا أمر آخرتك بالخائف التقيّ ، فقد عجزت عن عدوّك وضيّعت ما ولّيتُك والسلام .

وأتاه عبد الرحمن بن محمد ابنه فقال له : على ماذا نقيم في غير عزّ ولا منعة ولا انتظار قوّة ، ولم يزل به حتى قدم الكوفة ودخل على المختار فسلّم عليه ودعا له وهنّأه وعرض عليه أن يجلس للقضاء فأبى ذلك ، فأجلس المختار شُريحاً للقضاء ، ثم إنّه تمارض فقيل للمختار : إنّه عثماني فصَيَّرَ على

القضاء عبيدالله بن عبدالله بن عُتّبة بن مسعود ، ثم مرض فصيّر مكانه عبدالله بن مالك الطائيّ .

وكان ابن همّام السَلولي الشاعر عثمانيّاً ، وكان سمع رجلاً من الشيعة نال من عثمان فعنَفه فاستخفى حين ظهروا ، وقوي أمرهم ، ثم قال في المختار شعراً وأتاه وأنشده إيّاه فحمله المختار على فرس وقال لأصحابه إنّه قد أثنى عليكم فأعطاه قيس بن طهفة النَهْدي فرسا ومِطْرَفاً ، ووثب به قوم من الشيعة فأجاره ابن الأشعث فامتنعوا منه ، وسمع المختار الضَوْضَاء فخرج إليهم فقال : إذا قيل لكم خير فأقْبَلوا وإذا قدرتم على مكافاة فافعلوا ، وإلاّ فتنصّلوا واتّقوا لسان الشاعر فإنّ شرّه حاضر وقوله جارح ، ومضى به إبراهيم بن الأشتر إلى منزله فأعطاه ألف درهم وفرساً ، وكان ابن همّام حين حُصر ابن مطيع في القصر فتدلّى منه مع ناس تدلّوا أيضاً فقال :

لَمّا رَأَيْتُ القَصْرَ أُغْلِقَ بابُهُ وتَعَلَّقَتْ هَمْدانُ بِالأَسْبابِ
ورَأَيْتُ أَفْواهَ الأَزِقَّةِ حَوْلَنَا مُلِئَتْ بِكُلِ هِرَاوَةٍ وذِيابِ
ورَأَيْتُ أَصْحابَ الدَقيقِ كَأَنَّهُمْ حَوْلَ البُيوتِ ثَعالِبُ الأَسْرابِ
أَيْقَنْتُ أَنَّ إمارَةَ ابنِ مُضَارِبٍ لَمْ تبقَ منها قيسِ أثر ذُبابِ

وكان عبيدالله بن زياد حين أوقع بالتوّابين بعَيْنْ الوَرْدة ، وحاول الظَفَر بزُفَر بن الحارث فلمَ يمكنه فيه شيءٌ ، أقبل نحو الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني إلى المختار يُعلمه أنّ خيل عبيد الله بن زياد قد أشرفت على الموصل ، وأنّه ليس معه خيل ولا رجال ، وأنّه خائف أن يعجز عنه وانحاز إلى تكْريت ، فولّى المختار يزيد بن أنس بن كلاب الأسدي الموصل ، وأمره أن لا يناظر عدوّه وأن ينتهز الفرصة منه إذا

أمكنته ، وقال له: إني ممدّك بمدد بعد مدد ، وإنّ ذلك أشدّ لعضدك ، وأعزّ لجندك ، وأهدّ لعدوّك ، ثم ضمّ إليه ورقاء بن عازب الأسدي وسِعْر بن أبي سِعر الحَنَفي ، وبعث ابنُ زياد بين يديه ربيعة بن المخارق الغَنَوى ، وعبدالله بن حَمَلة بن عبد الرحمن الخَثْعَمي في ستّة آلاف ، هذا في ثلاثة آلاف ، وهذا في ثلاثة آلاف ، وسبق ربيعة إلى يزيد ، فخرج إليه يزيد بالناس وهو مريض ِ لِمَابِهِ وذلك في ذي الحجّة سنة ستّ وستّين ، فجعل يحرّض الناس ويأمرهم بالصبر والجدّ والعزم ، ثم التقوا من لدن طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحاء فهزم المختاريّة ربيعةَ وأصحابه ، وحَووا عسكرهم ، وقُتل ربيعة بن المخارق ، قتله عبدالله بن ضَبرة ، ولم يُمس ِ يزيد حتى مات فانصرف أصحابه كراهة أن يقيموا بعد أميرهم .

فولّى المختار إبراهيم بن الأشتر الموصل وأمره أن يردّ جيش يزيد بن أنس معه إلى الموصل ، فلما خرج من الكوفة أرجف أهلها بالمختار وطمعوا فيه ، فكتب إلى ابراهيم في الرجوع .

وكان أصحاب المختار يُسَمَّون الخَشَبية ، لأنّ أكثرهم كانوا يقاتلون بالخشب ، ويقال إنّهم سُمّوا الخشبيّة لأنّ الذين وجّههم المختار إلى مكة لنصرة ابن الحنفيّة أخذوا بأيديهم الخشب الذي كان ابن الزبير جمعه ليحرق به ابن الحنفيّة وأصحابه فيما زُعم ، ويقال بل كرهوا دخول الحرم بسيوف مشهورة فدخلوه ومعهم الخشب ولم يسلّوا سيوفهم من أغمادها .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه قال : أُتي يزيد بن أنس الأسدي بأسْرَى وهو لِمَابِهِ ، فجعل يقول : آقتل اقتل حتى ثقل لسانه فجعل يومىء بيده حتى ثقلت يده ، فجعل يومىء بحاجبيه حتى مات على تلك الحال .

وقال الهَيْثَم بن عَديّ : لما وجّه المختار يزيد بن أنس الأسدي توجّه إليه حُصين بن نُمير ، فقدّم أمامه حَمَلة بن عبد الرحمن الخَثْعَمي فالتقوا بباتلّى[1] فقُتل حَمَلة وأُتي يزيد بستّة آلاف أسير فضرب أعناقهم ، وهو يكيد بنفسه ثم مات .

وقدم مصعب على البصرة والكوفة في أوّل سنة سبع وستّين فتوقّف عن قتال المختار حينا .

يوم جبانة السبيع

قالوا : لما سار ابن الأشتر يريد الموصل تواطأ أهل الكوفة على حرب المختار وقالوا : إنما هذا كاهن ، فخرج عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني بجبانة السَبيع ، وخرج زَحْر بن قيس الجُعْفي ، وإسحاق بن الأشعث في جبّانة كندة ، وخرج كعب بن أبي كعب الخَثْعَمي في جبّانة بشر ، وخرج عبد الرحمن بن مِخْنَف في الأزد ، وخرج شَمِر بن ذي الجَوْشَن في جبّانة بني سَلول وخرج شَبَث بن رِبْعَيّ بالكُناسة في مُضر ، وخرج حجّار بن أَبْجَر العِجْلي ، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم في ربيعة بناحية السَبَخة ، وخرج عمرو بن الحجّاج الزُبيدي في جبّانة مُراد ؛ وبلغ مَن في جبّانة السَبيع أنّ المختار قد عزم على معاجلتهم ، فأقسموا على من في النواحي من الأشراف اليمانّية أن يصيروا بأصحابهم إليهم ، فتواقف اليمانّية جميعاً في جبّانة السبيع ، ويقال أنّ عمرو بن الحجّاج الزبيدي وحده أقام فيمن معه بجبّانة مُراد ولم يأتهم .

١ ـ في تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٢ «بنات تلى» ولم يذكر ياقوت ما يساعد على الضبط .

وأقبل إبراهيم بن الأشتر من المدائن مجداً في السير مُجْذماً له حتى قدم الكوفة ، ووافى المختارَ فرأى المختار أنّه إن وجّه إبراهيم لقتال قومه بجبانة السَبيع لم يبالغ فيه ، فقال له : ازحف أنت إلى شَبَث بن رِبْعِيّ ، فقاتل المُضَريّة بالكُناسة وأمضي أنا إلى جبّانة السَبيع ، فنفذ إبراهيم لأمره ومضى هو حتى صار في طرف الجبّانة ، ووجّه أحمر بن شُميط[1] ، وعبدالله بن كامل إلى من بها ، وأمرهما بقتالهم ، وانتهى ابن الأشتر إلى مُضَر اليمن فقاتلهم قتالاً شديداً فهزمهم ، ولقي ابن شُميط وابن كامل أهل اليمن بجبّانة السَبيع ، وقد صار إليهم شَمِر بن ذي الجَوْشَن ، ويقال إنه لم يصر إليهم ولكنّه صار إلى مضر فهُزم ابن شُميط حتى لحق وأصحابه بالمختار ، وصبر ابن كامل في جماعة من أصحابه فأمدّه المختار بثلاثمائة رجل مع عبدالله بن قُراد الخَثْعَمي ثم ثابَتْ إلى ابن شُميط ثائبة من أصحابه ، فقاتل وقاتلوا ، وبعث المختار بأبي القَلوص ومعه جماعة من شِبام ، فدخلوا الجبّانة ، وهم ينادون : يا لَثارات الحسين ونادى أيضاً أصحاب ابن شُميط و ابن كامل يا لثارات الحسين وحملوا فلم يلبثوا أن هزموا مَن بجبّانة السَبيع فلما هُزمت مضر واليمن تفرّقت ربيعة ، وكلّ من اعتزى إلى اليمن ومضر ، ويقال بل أتى أولئك أصحابَ المختار فقاتلوهم أيضاً قتالاً خفيفاً حتى تفرّقوا ، وقال قوم: بل قاتل يومئذ بجبّانة السَبيع رِفاعة بن شَدّاد البَجَلي مع المختار ، وهو يقول :

أنا آبْنُ شَدَّادٍ عَلَى دينِ عَلي لَسْتُ لِعُثْمانَ بْنِ أَرْوَى بِوَلي
لأصلَيَنَّ اليَوْمَ فِيمَن يَصْطَلي بِحَرّ نارِ الحَرْبِ غَيْرَ مُلْتَوِي

---

١ ـ بهامش الأصل : بالشين المعجمة .

وقال آخرون : أنّه قاتل يومئذ مع أهل الكوفة فقُتل ، ويقال : إنّه بقي بعد المختار وذلك الثبت[١] .

حدثنا عفّان حدثنا حمّاد بن سَلَمة أنبأنا عبد الملك بن عُمَيْر حدثني رِفاعة بن شداد قال : كنت أقوم على رأس المختار ، فلما عرفت كذابته هممت وأيْمُ الله أن أضرب عنقه ، فذكرت حديثا حدّثنيه عمرو بن الحَمِق عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من أَمِن رجلا على نفسه فقتله أُعْطِيَ لواءَ غَدْرٍ يومَ القيامة»[٢] .

حدثني أبو أيّوب الرقّي المعلّم عن عيسى بن يونس عن نُصير بن أبي نصير عن اسماعيل السُدّي عن رفاعة قال : دخلت على المختار وإذا وسادتان ملقاتان فقال : يا فلان أئتِ فلانا ، لرِجلٍ دخل ، بوسادة ، قلت : وما هاتان الوسادتان ؟ فقال : قام عن إحداهما جبريل وعن الأخرى ميكائيل[٣] ، فوالله إنْ منعني مِن أن أضربه بالسيف إلاّ حديثٌ حدّثني به عمرو بن الحَمِق قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من آئتمنه رجل على دمه فقتله فأنا منه بريءٌ ولو كان المقتول كافرا»[٤] .

وقال الهَيْثم بن عَديّ : كان المختار يقول : العجب كلّ العَجَب . بين جمادى ورَجَب ؛ وكان يقول : أُحياء وأموات . وجميع وأشتات . والموجبة الواجبة . جبا كذاجبه ؛ فقاتله النعمان بن صُهْبان يوم جبّانة السَبيع فقُتل ؛ قال : وقاتل رِفاعة بن شدّاد مع أهل الكوفة .

١ ـ بهامش الأصل : أخبار المختار .
٢ ـ كنز العمال الحديث ١٠٩٤٣ .
٣ ـ بهامش الأصل : زعم المختار أنه كان يأتيه جبريل وميكائيل .
٤ ـ كنز العمال ـ الحديث ١٠٩٣٠ .

قالوا : وقتل المختارّية يوم جبّانة السبيع النعمانَ بن صُهبان الراسبي ، وكان ناسكاً شيعيًا قدم من البصرة ليقاتل مع الشيعة ويطلب بدم الحسين ، فسمع من المختار كلاماً أنكره فقاتله مع أهل جبّانة السبيع حتى قُتل ، والفُراتَ بن زَحْر وعمرو بن مِخنف ومالك بن حِزام بن ربيعة ، وهو ابن أخي لبيد بن ربيعة الشاعر ، ويقال بل قُتل مع المُضريّة ؛ وقالوا : ولما هُزم أهل جبّانة السَبيع استُخرج من دُور الوادعيينّ من همدان خمسمائة أسير ، فأُتي بهم المختار فقتل منهم من كان شهد مقتل الحسين فكانوا مائتين وثمانية وأربعين ، ويقال كانوا مائتين وخمسين .

وكان سُراقة بن مِرْداس البارقي صَنَع أشعاراً فجعل يقول :

أُمْنُنْ عَلَيَّ اليَوْمَ يا خَيْرَ مَعَدّ   وخَيْرَ مَنْ لَبَّى وَحيّا وسَجَدْ

فأمر به فحُبس ليلة ثم خلاّه فقال شعراً ذكر فيه أنّه رأى الملائكة تقاتل مع المختار على خيل بُلْق ، فأمره المختار أن يصعد المنبر فيُعلم الناس ما رأى ففعل ، ثم هرب إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة وقال :

ألا أَبْلِغْ أَبـا إِسْحـاقَ أَنّي   رَأَيْتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمَتاتِ
كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْراً   عَـلَيَّ قِتـالَكُمْ حتى المماتِ
أُرِي عَيْنَيَّ مـا لَمْ تُبْصِراهُ   كِـلانـا عـالِمٌ بِالـتُّرَّهـاتِ

وأخذ المختار سُحَيْما مولى عتبة بن فَرْقَد السُلّمي ، وكان يكثر الكلام فيه فقال له : أنت القائل قاتلوا الكذّاب ، وما علّمك أنّي كذّاب ، فضرب عنقه .

وقال عبيد الله بن هَمّام السَلولي رحمه الله تعالى :

وفي لَيْلَةِ المُخْتارِ ما يُذْهِلُ الفَتَى ويلهيه عن رؤد[1] الشباب شَموعِ
دَعا يا لَثَاراتِ الحُسَيْنْ فأقْبَلتْ كَتائِبُ مِن هَمْدانَ بَعْدَ هَزيعِ
ومِن مَذْحِجٍ جاءَ الرَّئِيسُ ابْنُ مالِكٍ يَقـودُ جُمـوعـاً عُبِئَتْ لِجُمـوعِ
ومِن أَسَدٍ وَافى يَزيـدُ لنَصْرِهِ بِكُلِّ فَتىً ماضي الجَنانِ مَنيعِ

وزعم بعضهم أنّ شَبَث بن رِبْعِيّ قُتل يومئذ واحتجّ بشعر أَعْشى همدان حين يقول :

جَزىٰ الله إبراهيمَ عَن أَهْلِ مِصْرِهِ جَزاءَ آمرىءٍ عَنْ وَجْهِهِ الحَقُّ ناكِبُ
سَما بِالقَنا من أَرْضِ ساباطَ مُرْقِلاً إلى المَوْتِ إرْقالَ الجمالِ المَصاعِبِ
فصَبَّ على الأَحْياءِ مِنْ صَوْبِ وَدْقِهِ شآبيبَ مَوْتٍ عُقِّبَتْ بِالحَرائِبِ
فأَضحَى ابْنُ رِبْعيٍ قَتيلاً مُجَدَّلاً كَـأَنْ لَمْ يُقاتِـلْ مَرَّةً ويُحـارِبِ
فأمّا أبو إسْحاق فَانْصاعَ سائِراً إلى عَسْكَرٍ جَمّ القَنا والكَتائِبِ
فلَمّا التَقَيْنـا بِـالسَبيـعِ وأَنْسَلوا إلَيْنا ضَرَبْنا هامَهُمْ بِالقَواضِبِ
فـما راعَنـا إلاّ شِبـامُ تَحُسُّنـا بِأَسيافِها لا أُسْقِيت صَوْبَ هاضِبِ
أيقتلنـا المخْتـارُ ظُلْمـاً بِكُفْـرِه فيا لَكَ دَهْراً مُرْصداً بِالعَجائِبِ

ومن نفى قتلَ شَبَث يومئذ روى هذا البيت .

فأَضْحَى ابْنُ صُهْبانٍ قتيلاً مُجَدَّلاً

وذلك الثبت والأوّل غلط وإنّما مات شبَث حَتْفَ أنفه ، وكانت وقعة الجبّانة في ذي الحجّة سنة ستّ وستّين ، فلما فرغ المختار منها أمر إبراهيم بن الأشتر بالمسير للقاء عبيدالله بن زياد وطلب قَتَلة الحسين وأهلِه .

---

١ ـ ترأد : اهتز نعمة .

وجعل يقول في سجعه : أَمَا ومُنْشِىء السحاب . شديد العقاب . سريع الحساب . منزّل الكتاب . العزيز الوّهاب . القدير الغلاّب . لَنَنْبُشنّ قبر كثير بن شهاب . المفترِي الكذّاب . المَعيب المُعتاب . المجرم المرتاب . ثم لأبعثنَّ الأحزاب. إلى بلاد الأعراب. ثم لأُورِثنّ دورَهم وقصورهم وأموالهم الصابرين الصادقين السامعين المنيبين .

وكان يقول :

وربِّ البلد الأمين. وحُرْمة طور سينين. لأَقتلنّ الشاعر الهجين. أعشى الناعطيين . وسُوءَ برق البارقين . ابن الأَمَة من جَلولاءِ خانقين . الذي مننت عليه فكفر . وتابعني فغدر . وغداً يُلْقَى فيُنحَر . ثم يصير إلى سقر . فيذوق فيها العذاب الأكبر . وويل لابن همّام اللعين . وأخي الأَسدّيين . أولئكَ أولياء الشياطين . وإخوان الكافرين . الذين قَرَّفوا عليَّ الأباطيل . وتقوّلوا عليَّ الأقاويل . فسمَّوني كذّاباً وأنا الصادق المصدوق . وكاهنا وأنا المجيب الفاروق . وطُوبَى لعبدالله وعبيدة[1] . وأخي ليلى الطريدة . ذوي الأخلاق الحميدة . والمقالة السديدة . والأنفس السعيدة .

وقال أيضاً : أَما والذي خلقني بصيراً . ونوّر قلبي تنويراً . لأحرقنّ بالمِصْرِ دورا . ولأنبُشنّ قبورا . ولأقتلن جبّاراً كفورا .

وقال أيضاً : في صَفَر الأصفار . يُقْتَل كلّ جبّار . على يد المختار .

---

١ ـ بهامش الأصل : يعني ابن كامل وعبيدة بن عمرو الكندي .

وكان يقول : أَمَا وربِّ الجبالِ الشُمّ . الشوامخِ الصُمّ . لأقتلن أَزْدَ عُمان . بكلّ شيعِي يمان . مِن مَذْحِجٍ وهَمْدان . ولأبيرَنّ عَبْساً وذُبْيان . وتميماً أولياء الشيطان . حاشا النجيبَ ظَبْيان[1] .

وقال : أَمَا وربِّ القَلَم . واللَوْح ذي الكَرَم . لَتَدينَنَّ لي العرب والعجم . ولأتخذنَّ من تميم خَدَم .

وقال : أَمَا والسميع العليم . العزيز الكريم . لأعركنّ عُمان عرك الأديم . ثم لأتّخذنّ خَدَماً من تميم .

وكان يمسح رأس ابنته ثم يقول : صلى الله على عيسى بن مريم ، لأنّه فيما يزعمون كان يقول سيتزوجُها المسيحُ بن مريم عليه السلام .

---

١ ـ بهامش الأصل : ظبيان بن عبادة .

مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص
ومن شرك في دم الحسين عليه السلام

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عَوانة قال : كان لعمر بن سعد بن أبي وقّاص جَعْبة فيها سياط قد كتب على سوط منها عشرة وعلى آخر عشرين إلى خمسمائة ، فغضب على غلام له فضرب بيده إلى الجعبة فخرج سوط المائة فجلده مائة ، فأتى الغلام سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه وهو يبكي وقد سال دمه على عقبيه ، فقال سعد : اللهم اقتل عمرَ وأسِلْ دمه على عقبيه ، فمات الغلام وقتل المختار عمر بن سعد وكان سعد مستجاب الدعوة .

قالوا : ولما هُزم الناس يوم جبّانة السَبيع خرج أشراف أهل الكوفة فلحقوا بمصعب بن الزبير ، وقد قدم البصرة والياً على العراقَيْن ، فقال المختار : ليس من ديننا أن ندع قوماً قتلوا الحسين يمشون على الأرض . ويقال إنّه بلغه أنّ ابن الحنفية قال : عجباً للمختار يزعم أنّه يطلب بدمائنا وقَتَلَةُ الحسين جُلساؤه وحداثه يحترفون في المصر . فحرّكه ذلك تحريكاً

شديداً ، فقال ذات يوم : والله لأقتلنَ رجلاً عظيم القَدَمين . غائر العينين . مُشرف الحاجبين . أُسِرُّ بقتله المؤمنين والملائكة المقرَّبين . وكانت هذه صفة عمر بن سعد ، فسمعها الهَيْثَم بن الأَسود وهو عند المختار فدسَ ابنَه العُريان بن الهيثم إلى عمر فأخبره بقول المختار ، وقد كان المختار سأل عن ابن سعد فأُخبِر بأنّه مستَخْفٍ فكتب له أَماناً على نفسه وأهله ولا يُؤخذ بحدث كان منه ما لزم مصره ومنزله ، فلما أبلغ العُريان عمرَ بن سعد رسالة أبيه همّ عمر بالخروج عن المصر ، ثم قيل له إنّ هذا قول باغٍ فأقام في منزله ، فبعث المختار أبا عَمْرة كَيْسان مولى عُرَينة وهو على حَرَسه إليه سرّاً وأمره أن يأتيه برأسه ، فدخل أبو عَمْرة عليه دارَه ، وعنده أهله فضرب عنقه وأتى المختار برأسه ، وعند المختار حَفْص بن عمر بن سعد وهو لا يعرف القصّة ، فقال له المختار : يا حفص أتعرف هذا الرأس ؟ قال : نعم هذا رأس أبي حفصٍ فقبّح الله العيش بعده ، قال : فإنّك لا تعيش بعده ، وأمر به فضُربت عنقه ، ثم بعث برأسيهما إلى ابن الحنفيّة ، وقال هذا بالحسين ، وهذا بعليّ بن الحسين ولا سواء ؛ فقيل له آمَنْتَه على أن لا يحدث حدثاً ولم يحدث ؟ فقال : سبحان الله ألم يدخل الخلاء مذ آمنتُه .

ثم بعث مُعاذ بنَ هانىء الكندي ، وأبا عَمْرة ، ومعبد بن سلَمَة الحضرمي فأحاطوا بدار خَوَليّ بن يزيد الأَصْبَحي صاحب رأس الحسين فاختبأ في مخرجه فطلبوه فخرجت إليهم امرأته فقالوا لها أين زوجك ؟ قالت : لا أدري ، وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا عليه فوجدوا على رأسه قَوْصَرَّة[1] فأخرجوه وأقبل المختار حين بلغه أَخْذُه فقتله إلى جانب

١ ـ القوصرة : وعاء التمر . القاموس .

منزله ، ثم أمر به فأُحرق فلم يبرح حتى صار رماداً ، وكانت امرأته تُسمَّى العَيُوف ، وكانت حين أتاها برأس الحسين قد نفرت منه فكانت لا تكتحل ولا تَطَيَّب وقالت : والله لا يَرَى منّي سروراً أبدا .

ولما هُزمت مُضَر يوم الجبّانة خرج شَمِر بن ذي الجَوْشَن يركض فرسه خارجاً من الكوفة ، واتبعه غلام للمختار يقال له زِرْبِيّ فعطف عليه شَمِر فقتله ولحق ببعض القرى فنزلها، وكتب إلى المصعب كتاباً ، ووجّه فَيْجاً فأخذَت الفَيْجَ مسلحةٌ للمختار ، فسألوه عن صاحب الكتاب ، فدلّ على القرية التي هو فيها فأُنهي الأمرُ إلى المختار فوجّه إلى شَمِر خيلاً فلم يشعر إلّا وقد أحاطوا بالقرية فخرج إليهم فقاتلهم وهو يرتجز ويقول :

نَبَّهْتُمُ لَيْثَ عَـرِينٍ بـاسِـلا لَم يُرَ يَوْماً عَنْ عَدُوٍّ ناكِلا
إلّا كَذا مُقاتلاً أَوْ قاتِلا

فقيل : قتله عبد الرحمن بن عبدالله الهمداني طعنه في ثُغْرة نَحْره ، ونادى يا لثأرات الحسين ثم أوطأه الخيل وبه رَمَق حتى مات ، ثم احتز رأسه وأتى به المختار ونُبذت جيفته للكلاب .

وكان حَكيم بن طُفيل الطائي سلب العبّاس بن علي ثيابه ورمى الحسينَ بسهم ، فكان يقول : تعلّق سهمي بسرباله وما ضرّه ، فبعث إليه عبدَالله بن كامل فأخذه ، فاستغاث أهلُه بعديّ بن حاتم فكلّم فيه ابن كامل فقال : أمرُه إلى الأمير المختار ، وبادر به إلى المختار قبل شفاعة ابن حاتم له إلى المختار فأمر به المختار فعُرّي ورُمي بالسهام حتى مات .

وكان زيد بن رُقاد الجَنْبي يقول رميت فتىً من آل الحسين ويده على جبهته فأثبَتُّها في جبهته ، وكان ذلك الفتى عبدالله بن مسلم بن عَقيل بن أبي

طالب ، وكان رماه بسهم فَلَقَ قلبه فكان يقول نزعتُ سهمي من قلبه وهو ميّت ولم أزل أنضنض سهمي الذي رميت به جبهته فيها حتى انتزعته وبقي النصل ، فبعث إليه المختار ابن كامل في جماعة فأحاط بداره فخرج مصلِتاً سيفه فقاتل ، فقال ابن كامل : لا تضربوه ولا تطعنوه ، ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك حتى سقط ، ودعا له ابن كامل بنار فحرقه بها وبه حياة حتى صار رمادا ، ويقال : انّه سلخه وهو حيّ حتى مات .

وكان عمر بن صُبيح يقول : طعنت فيهم وجرحت وما قتلت أحداً ، ويقال : إنه رمى عبدالله بن مسلم بالسهم في جبهته ، وأنّ زيد بن رُقاد فلق قلبه ، فبعث المختار إلى عمرو فأتي به ليلاً ، فلما أصبح أُدخل إليه مقيّداً وحضر الناس فأمر به فعُري ، ثم طُعن بالرماح حتى مات ثم أُحرق ، ولما نُزعت ثيابه جعل يقول : أما والله لو أنّ سيفي معي لعلمتم أنّي بنصل السيف غير رعيش ولا رِعْديد ، وما يسرّني أني إذ كانت منيّتي القتل أنّه قتلني غيركم السَحَرَةَ الكَفَرَةَ .

وكان مالك بن النُسَير البَدّي الذي ضرب الحسين بن عليّ على رأسه وعليه برنس ، فامتلأ دماً فألقاه فجاء فأخذه ، فبعث المختار إليه مالك بن عمرو النَهْدي وقد دل عليه ، فجاء به فأمر بنار فأُجّجت في الرحبة عظيمة ثم أمر فقُطعت يده وألقيت في تلك النار ، ثم قُطعت رجله فأُلقيت فيها وهو ينظر فلم يزل يفعل ذلك بعضو منه بعد عضو حتى مات .

ودُلّ المختار أيضاً على عبدالله بن أسيد الجُهَني ، وحَمَل بن مالك المُحاربي فجاءه بهما مالك بن عمرو النَهْدي ، فأمر بهما فضُربت أعناقهما ، ودُلّ المختار أيضاً على عِمْران بن خالد العَنَزي ، وعبد الرحمن بن أبي

خشكارة البَجَلي ، وعبدالله بن قيس الخَولاني ، وهم أصحاب الحُلَل والوَرْس وعُدّة كانوا أخذوها معهم ، فبعث إليهم ابن كامل فأتاه بهم ، فلما أُدخلوا إليه قال : يا قَتَلَةَ الصالحين وأبناءِ النبيّين لقد اقاد الله منكم ، ثم قال : اضربوا أعناقهم لقد جاءكم الوَرْس بيوم نَحْس ، فضُربت أعناقهم في السوق ، وبعث المختار السائب بن مالك الأشعري في خيل فأخذ عبدالله وعبد الرحمن ابني وهب الهَمْداني وهما ابنا عمّ أعشى هَمْدان فأمر بهما المختار فقُتلا في السوق ، وطلب حُميد بن مُسْلِم فَنَجا وقال :

أَلَمْ تَـرَني عَـلَى دَهَشٍ نَـجَـوْتُ ولَمْ أَكَـدْ أَنْـجُـو
رَجـاءُ الله أَنْـقَـذَني ولَمْ أَكُ غَـيْـرَهُ أَرْجُـو

ووجّه المختار في طلب عثمان بن خالد الجُهَني ونسر بن شوط القابضي من همدان ، وهما قاتلا عبد الرحمن بن عَقيل بن أبي طالب فظفر بهما فضُربت أعناقهما ثم أُحرقا ، فقال أعشى همدان ، وهو عبد الرحمن بن الحارث بن نِظام الهمداني :

يا عَينْ بَكّي فَتَى الفِتْيانِ عُثْمانا لا يَبْعَدَنَّ الفَتَى مِن آلِ دُهمانا
واذْكُرْ فَتىً ماجِداً عَفّاً شَمائِلَهُ ما مِثْلُهُ فارِسٌ في آلِ هَمْدانا

وبعث المختار إلى مُرّة بن مُنْقذ قاتِل عليّ بن الحسين عليهما السلام ابن كامل ، فأحاط بداره ، وكان منقذ شجاعاً ، فخرج عليهم وبيده الرمح وهو على فرس جواد ، فطعن عبيد الله بن ناجية الشِبامي فصرعه ولم يضرّه ، وضربه ابن كامل فشُلّت يده ونجا فلحق بمصعب .

وهرب عمرو بن الحجّاج الزُبيدي فمات بواقصَة عَطَشاً .

وحدثني أبو عثمان عمرو بن محمد قال : سمعت أبا نُعيم الفضل بن دُكين يقول : هرب عمرو بن الحجّاج فسقط من العطش ، فلحقه أصحاب المختار وبه رَمَق فذبحوه واحتزّوا رأسه .

وهرب سِنان بن أَنَس النَخَعي الذي كان يُدْعَى قاتل الحسين فلحق بالبصرة فهدم المختار داره .

قالوا : فبينا الحجّاج يخطب ذات يوم إذ قال : لِيَقُمْ كل ذي بلاءٍ وغَناءٍ فيتكلّم ، فقام سِنان فقال : أنا قاتل الحسين بن عليّ فقال الحجاج : بلاء لعمرَ الله حسينٌ ، واعتُقل لسان سِنان ، ومات بعد خمس عشرة ليلة .

وهرب حَرْمَلة الأَسدي وعبدالله بن عُقبة الغَنَوي الذي ذكره ابن [أبي] عقب فقال :

وعِنْدَ غَنِيٍ قَطْرَةٌ مِن دِمائِنا وفي أَسَدٍ أُخْرَى تُعَدُّ وتُذْكَرُ

فيقال إنّهما أُدركا فقُتلا ، ويقال بل ماتا عطشاً .

وبعث المختار حَوْشباً البُرْسَمي إلى محمد بن الأشعث الكندي وقال : ستجده قائماً متلدّدا . أو كامناً معتمداً ، أو لاهياً متصيّدا ، وكان في قرية له عند القادسيّة فهرب ولحق بالبصرة .

وكان أَسماء بن خارجة مستخفياً فقال المختار ذات يوم وعنده أصحابه : أَما وربِ الأرض والسماء . والضياء والظَلْماء . لينزلنّ من السماء . نار دهماء . أو حَمْراء أو سَحْماء . فلَتحرقنّ دار أسماء ؛ فأتى الخبر أسماء فقال : سَجَعَ أبو اسحاق بنا ، ليس على هذا مُقامٌ ، فخرج هارباً حتى أتى البادية فلم يزل بها ينزل مرّة في بني عَبْس ، ومرّة في غيرهم حتى قُتل

المختار وهدم المختار له ثلاثة آدُر ؛ فقال عبدالله بن الزَّبير الأسدي في قصيدة له :

تَرَكْتُمْ أَبا حَسّانَ تُهْدَمُ دارُهُ   مُنَبَّذَةً أَبْوابُها وحَديدُها
فلَوْ كان مِن قَحْطانَ أَسْماءُ شَمَّرَتْ   كَتائِبُ مِن قَحْطانَ صُعْرٌ خُدودُها

فأجابه أَيّوب بن سَعِنة النَخعي وقال :

رمى الله عين ابنِ الزَبيرِ بِلَقْوَةٍ   فخَلْخَلَها حتى يَطولَ شهودُها
بكَيْتَ على دارٍ لأَسْماءَ هُدِّمَتْ   مَساكِنُها كانَت غُلولاً وشِيدُها
ولمْ تَبْكِ بَيْتَ الله إذْ دَلَفَتْ لَهُ   أُمَيَّةُ حتى هَدَّمَتْهُ جُنودُها

أمــر الكـــرسي

قالوا : وقال المختار لآل جَعْدة بن هُبيرة ، وأمُّ جَعْدة أمّ هانىء بنت أبي طالب : ائتوني بكرسيّ عليّ بن أبي طالب فقالوا : لا والله ما له عندنا كرسيّ ، قال : لا تكونوا حَمْقَى وائْتوني به ، فظنّ القوم عند ذلك أنّهم لا يأتونه بكرسيّ فيقولون هذا كرسيّ عليّ إلاّ قبِلَه منهم ، فجاؤوه بكرسيّ فقالوا : هذا هو ، فخرجت شِبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد عصّبوه بخِرَق الحرير والديباج ، فكان أوّل من سدن الكرسيّ حين جيءَ به موسى بن أبي موسى الأشعري ، وأمّه ابنة الفضل بن العبّاس بن عبد المطّلب ، ثم إنّه دُفع إلى حَوْشب اليُرْسَمي ، يُرْسَم بن حِمْيَر وهم في هَمْدان ، فكان خازنه وصاحبه حتى هلك المختار ، وكان أصحاب المختار يعكفون عليه ويقولون : هو بمنزلة تابوت موسى فيه السَكينة ، ويستسقون به ويستنصرون ، ويقدّمونه أمامهم إذا أرادوا أمراً فقال الشاعر :

أَبْلِغْ شِبـامـاً وأَبـا هـانِىءٍ   أَنّي بِـكُـرْسِـيِـهِـمُ كـافِـرُ

وقال أَعْشَى هَمْدان :

شَهدتُ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ خَشَبِيَّةٌ وأَنّي بِكُمْ يا شُرْطَةَ الكُفْرِ عارِفُ
وأُقْسِمُ ما كُرْسِيُّكُمْ بِسَكِينَةٍ وإنْ ظَلَّ قد لُفَّتْ عَلَيْهِ اللَفائِفُ
وأَنْ ليس كَالتابوتِ فينا وإنْ سَعَتْ شِبامٌ[1] حَوالَيْهِ ونَهْدٌ وخارِفُ
وإنْ شاكِرٌ طافَتْ به وتَمَسَّحَتْ بِأَعْوادِهِ أو أَدْبَرَتْ لا يُساعِفُ
وإنّي امْرؤٌ أَحْبَبْتُ آلَ مُحَمَّدٍ وآثَرْتُ وَحْياً ضُمِنَتْهُ الصَحائِفُ

وكان له عمّ يُكنى أبا أُمامة ، وكان من أصحاب المختار ، فكان يأتي مجلس قومه فيقول : أتانا اليوم بوحي ما سمع الناس بمثله .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن جدّه قال : قيل لابن عمر إنّ المختار يعمد إلى كرسيّ عليّ ، فيحمله على بغل أشهب ويحفّ به الديباج ويُطيف به أصحابه يستسقون به ويستنصرون فقال : فأين جنادبةُ الأزْد عنه لا يعَقْرِبُه بعضهم ؟ قال : وهم جُنْدب بن زهير ، وجندب بن كعب من بني ظَبْيان ، وجندب بن عبدالله وهو جندب الخير .

١ ـ بهامش الأصل : شبام من همدان .

أمر المثنى بن مخربة العبدي
وأمر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي بالبصرة

قالوا : وكان المُثَنَّى لقي المختار عند انصراف مَن انصرَفَ من التوّابين من عَيْن الوَرْدة بالكوفة ، فبايعه فقال له المثنّى : إنّ لنا بالبصرة شيعةً فأْذَن لنا في القدوم عليهم والدعاء لهم ، فأذن له في ذلك ، فخرج إلى البصرة فلم يزل بها حتى بلغه ظهور المختار ؛ وكان ابن مُطِيع لما أخذ المائة الألف من المختار ليشخص إلى المدينة استحيا من الرجوع إلى ابن الزبير ، فعدل إلى البصرة فأقام بها ، وكان المختار خائفاً من أن يوجّه إليه ابنُ الزبير جيشاً لِما فعل بابن مطيع ولإخراجه إيّاه ، فكتب إليه : «أمّا بعد فقد عرفتَ مناصحتي كانت لك واجتهادي في طاعتك ونصرتك ، وما كنتَ أعطيتني من نفسك ، فلما وفيتُ لك خِسْتَ لي ولم تعترف لي بما عاهدتني فكان منّي ما كان ، فإن تراجعْني أراجعك ، وإن تُرِدْ مناصحتي أَنصحْ لك» .

فلما قرأ ابن الزبير كتابه دعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال له : قد ولّيتك الكوفة فسِرْ إليها ، فقال : وكيف وبها المختار ؟ قال : قد كتب لي أنه سامعٌ مطيع لي ، فسار عمر إليها وبلغ المختار خبره ، فوجّه

زائدة بن قُدامة الثقفي ومعه مُسافر بن سعيد بن نِمران الناعِطي في خمسمائة دارع ورامح، ومعه سبعون ألف درهم وقال: إذا لقيته فقل له عني: بلغني أنّك قد تكلّفت لسفرك خمسة وثلاثين ألف درهم، وهذه سبعون ألف درهم فخذها وانصرِفْ، فإنْ أَبى ذلك فأره أصحابَ مُسافر وحذّره إيّاهم، فلما لقيه زائدة أدّى إليه رسالة المختار فقال: ما أنا بقابل مالاً ولابُدَّ لي من النفوذ لأمر أمير المؤمنين، فدعا زائدة بالخيل وقد كان أكمنها فقال: إنّي محاربك بمن ترى ووراءهم مثلهم ومثلهم، فقال عمر: أمّا الآن فقد وَجَب العذرُ، وهذا أجمل بي، فأخذ السبعين الألف فاستحيا من الرجوع إلى مكة فصار إلى البصرة فأقام بها وذلك في إمارة القُباع الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة وقَبْلَ قدوم مصعب بن الزبير البصرة.

قالوا: واتّخذ المُثَنًّى بن مُخَرِّبَة مسجداً يصلّي فيه بأصحابه، واجتمعت الشيعة فبعث إليهم القُباع عبّاد بن الحُصين الحَبَطي في الخيل فبعث المثنًّى رجلاً من أصحابه فلقيه فهُزم عبّاد، فبعث القُباع الأحنف على خيل مُضَرَ ورجالها، فصاروا إلى عبد القيس، فخرج مالك بن مِسْمَع في بكر بن وائل مانعاً لعبد القيس منهم بالرَبَعيّة لأنّه كان يرى رأي المثنًّى، وبعثت ربيعة إلى الأَزْد فأجابوهم، ورئيس الأزد يومئذ زياد بن عمرو العَتَكي فكانوا يقتتلون قتالاً ضعيفاً، وكلّهم يَهْوَى الصلح فكان عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وعبدالله بن مُطِيع يختلفان بين الفريقين فقال لهم عمر: يا معشر بكر والأَزْد ألستم على طاعة ابن الزبير؟ قالوا: بلى غير أنّا نكره أن نُسلم إخواننا من عبد القيس، فقال ابن مطيع: قولوا لإخوانكم فليذهبوا حيث شاؤوا فهم آمنون، ولا يدخلنّ بينكم وبين أهل مصركم فرقة، فأتى

مالك بن مِسْمَع ، وزياد بن عمرو : عبدَ القيس فقالا : إنّ هؤلاء القوم قد دعوا إلى الصلح، وأعطوا النِصف، ولم نأتِكم حين أتيناكم ونحن نرى رأيكم، ولكنّا حمينا لكم أن تُضَاموا وتُوطَأوا، ثم أخذا بيد المثنّى فقالا له: إنَّ الذين يرون رأيك قِبَلَنا قليلٌ ، فخذ أماناً لنفسك والحَقْ بأصحابك ، فقبِلَ ذلك ، وجاء ابنَ مطيع وعمر بن عبد الرحمن فعرضا الصلح فقبله القوم وأجابوا إليه؛ وأمّا الأحنف فقالا له : إنّ القوم قد أحبّوا الصلح ودعوا إليه ، فكأنّ الأحنف كره ذلك وتأرّب[1] فلم يُجب إليه ، فقال له عمر بن عبد الرحمن : إنّي لأعجب ممّن يزعم أنّكم حليم ، قَبِلَ القومُ الصلح وأجابوا إلى النصف وتَأبى إلاّ الفرقة وما تسفك فيه الدماء وتنتهك الحُرْمة ؟ فقال الأحنف : هلُمَّ يا بن أخي إلى خالك ، يعني نفسه ، وذلك أنّ أُمّ الحارث جَدِّهِ من ولد نَهْشَل بن دارِم فتَميم أخواله، فقال له: إنّ ربيعة والأزد كثيرٌ عَدَدُهم بالمصر وقد تحالفوا وصاروا يداً علينا ، فإن أريناهم الهيبة لهم ركبونا ، والله ما هم بأحرص على السلم والصلح منّي ، اذهب يا بن أخي فاْصنع ما أحببت ، فاصطلح القوم ورجع المثنّى وخرج من البصرة .

وكتب المختار إلى الأحنف وهو على مُضَر : «أمّا بعد فويل أم ربيعة ومُضَر . من أمر سَوْءٍ قد حَضَر . وإنّ الأحنف قد أورد قومه سقر . وإنّي لا أملك القَدَر . وما خُطَّ في الزُبرُ . ولعمري لئن قاتلتموني وكذبتموني لقد كُذّب من كان قبلي وما أنا بخيرهم» .

وكتب المختار أيضاً إلى مالك بن مِسْمَع وزياد بن عمرو : «أمّا بعد فاْسمعا وأطيعا وداوِما. على أحسن ما اتيتما أوتيكما من الدنيا ما شئتما.

١ ـ تأرب : تأبى وتشدد . القاموس .

وأضمَنُ لكما الجَنة إذا تُوُفِيْتما» ؛ فلما قرأ مالك الكتاب ضحك وقال لزياد : لقد أكثر لنا أخو ثقيف ، وأوسع ، أَعْطانا الدنيا والآخرة ، فضحك زياد وقال : نحن لا نقاتل بالنسيئة مَن عجّل لنا النقد قاتلنا معه .

وحدثنا عليّ بن محمد المدائني عن أبي إسماعيل الهمداني عن الشعبي قال : جلستُ يوماً إلى الأحنف ، فقال رجل من جلسائه يا كوفيّ استنقذناكم من عبيدكم ، يعني يومَ قُتل المختار ، قلتُ قد عفونا عنكم يوم الجمل فلم تشكروا ، وأنشدتُه شعر أَعْشَى همدان :

أَفَخَـرْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ أَعْبُـداً وكَفَـرْتُمْ نِعْمَـةَ الله الأَجَلّْ
نَحْنُ سُقْنـاكُمْ إِلَيْهِمْ عَنْـوَةً وجَمَعْنـا أَمْرَكُمْ بَعـد الفَشَلْ
فـإذا فـاخَرْتُمـونَـا فَـاذْكُـروا ما فَعَلنا بِكُمُ يَـوْم الجَمَلْ

فقال: يا كوفيّ أنتم أصحاب أنبياء، يعني المختار، قال: فأجبته بجواب كرهه الأحنف وقلت : تكذبون علينا في أشياء ، فقام فجاء بصحيفة صفراء فقال اقرأ آنفاً فإذا فيها : «من المختار بن أبي عُبيد إلى الأحنف ومَن قِبَله سِلْمٌ أنتم ، أما بعد فويل لربيعة ومضر . وإنّ الأحنف مُورد قومه سقر . حين لا يستطيع لهم الصدر . وإنّي لا أملك لكم إلاّ ما خُطّ في الزُبُر ، وبلغني أنكم تكذّبوني وقد كُذّبت الأنبياء مثلي ولست بخير من كثير» فقال الأحنف : يا شعبي أكوفيّ هذا أم بصريّ ؟ ثم ضحك ، وقال لأصحابه : أحسِنوا مجالسة أخيكم .

خبر شرحبيل بن ورس
المُدَّعِي من حِمير وهم في همدان

قالوا : لما بلغ المختار إقبال أهل الشام نحو العراق ، وعلم أنّه يُبْدَأ به خاف أن يأتيَه أهل الشام من شامهم ، وأهل البصرة من بُصرتهم ، فأظهر الميل إلى عبد الله بن الزبير ومُداراته وكتب إليه : «بلغني أنّ ابن مروان قد بعث إلى الحجاز جنداً فإنْ أَحبَبْتَ أن أُمِدّك أمددتُك» فكتب إليه ابن الزبير : «إن كنت على طاعتي فبايع لي ، وخذ بيعَةَ مَن قِبَلَك ، فإنّه إن جاءتني بيعتك صَدّقْتُ مقالتك ، وكففتُ الجنود عن بلادك ، وسرّح الجيش الذي أنت باعث به إلى وادي القُرَى ليلقوا من بها من جند ابن مروان إن شاء الله» .

فدعا المختار شُرَحبيل بن وَرْس المُدَّعِي فسرّحه في ثلاثة آلاف أكثرهم موالٍ ليس فيهم من العرب إلاّ سبعمائة ، وقال له : سرْ حتى تدخل المدينة فإذا دخلتها فاكتب إليّ بذلك ، ودَبَّرَ أن يدخل شرحبيل المدينة ، ثم يبعث إليها عاملاً من قبله ، ثم يأمره أن يسير إلى مكة فيحاصر ابن الزبير ؛ ووقع في نفس ابن الزبير ما دبّر المختار وظنّ به مكيدته ، فبعث عبّاس بن سَهْل بن سعد الساعدي من مكة في أَلفين ، وقال له : القَ جيش ابن وَرْس فإن كان

في طاعتي وإلاّ فحاربهم حتى تهلكهم ، وأمره أن يستنفر الأعراب ففعل ، وأقبل حتى لقي ابن وَرْس بالرَقَم[1] ، وقد عبّأ ابن وَرْس أصحابَه وأصحابُ عبّاس منقطعون على غير تعبئة ، فقال له عبّاس : ألستَ على طاعة عبد الله بن الزبير؟ قال : نعم ، قال فسِرْ بنا إلى عدوّه بوادي القُرى ، قال : نعم ولكن أريد المدينة أوّلاً ثم أرى رأيي ، فتركهم ابن سهل حتى نزعوا سلاحهم وشغلوا بأثقالهم ، ثم قصد قَصْد ابن وَرْس في ألف من كماة أصحابه وشجعانهم ، وجعل ابن وَرْس يقول : يا شرطة الله إليّ قاتلوا الملحدين . أولياء الشياطين . فإنّكم على الحقّ المبين . وقد غدر القوم وفجروا ، فانتهى إليه عبّاس بن سَهْل وهو يقول :

أَنا ٱبْنُ سَهْلٍ فارِسٌ غَيْرُ وَكَلْ أَرْوَعُ مِقْدامٌ إذا النِّكْسُ نَكَلْ

فلم يَطل القتال بينهم حتى قُتل ابن وَرْس في سبعين ، ورفع عبّاس راية أمان لأصحابه فأتوها إلاّ نحواً من ثلاثمائة انصرفوا مع سليمان بن حِمْيَر الثَوْري ، فظفر ابن سهل منهم بنحو من مائتين فقتلهم ، وأفلت الباقون .

فلما بلغ المختار خبر شرحبيل بن وَرْس وأصحابه قال : إنّ الفُجّار الأشرار . قتلوا الأخيار الأبرار . ألا وإنّ الفاسق النجس . القَذِر الرجس . قتل ابن وَرْس . وكان أمراً مأتياً. وقضاءً مقضيّاً .

وكتب المختار إلى ابن الحنفيّة : «إنّي كنت بعثت جندا ليحووُا لك البلاد ، ويدوّخوا الأعداء ، فلما صاروا بطَيْبَةَ لقيهم جند الملحد فخدعوهم وغرّوهم فإن رأيت أن ابعث إلى المدينة خيلاً وجنداً كثيفا وتبعث من قبلك

١ ـ موضع شرق الحناكية ، ويعتقد أن الحناكية هي بطن نخل ، قرية من قرى المدينة على طريق البصرة . المغانم المطابة ـ مادتا : بطن نخل ، ورقم .

رسلاً يعلمونهم أنّي في طاعتك وأنّي بعثت من بعثت عن أمرك فافعل فإنّك ستجدهم بحقّك أعرف ، وبكُم أهلَ البيت أرأف منهم بآل الزبير الظلمة الملحدين والسلام» ، فكتب إليه ابن الحنفيّة : «إنّ أَحبَّ الأمر إليّ ما أُطيعُ الله فيه فأطعه ما استطعت فيما أعلنت وأسررت ، واعلم أني لو أردت القتال وجدت الناس إليّ فيه سراعا ، وعليه أعوانا ، ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله ، وهو خير الحاكمين» .

مسير إبراهيم بن مالك الأشتر إلى الموصل ومقتل عبيدالله بن زياد وحُصين بن نمير السَكوني

قالوا : لما فرغ المختار من أمر مَن خرج من أهل الكوفة وانقضت حربهم بجبَانة السَبيع والكُناسة لم يكن له همّة إلّا إمضاء جيش إبراهيم بن الأشتر للوجه الذي وجّهه له ، فشخص إبراهيم من الكوفة لستّ ليال خلون من ذي الحجّة سنة ستّ وستّين ، ويقال : لثمان خلون من ذي الحجّة ، وكان معه قيس بن طَهْفة على ربع أهل المدينة ، وعبد الله بن جندب على مَذْحِج وأَسَد ، والأَسْوَد بن جَراد الكندي على كندة وربيعة وحبيب بن مُنْقِذ على تميم وهمدان ، فقال شاعرهم :

أما ورَبِّ المُرْسَلاتِ عُرْفا لَنَقْتُلَنَّ بَعْدَ صَفٍّ صَفّا
وبَعْدَ أَلْفِ قَاسِطِينَ أَلْفا

فخرج في زُهاء تسعة آلاف ، وشَيَّعَه المختارُ ،فلما صار إلى القنطرة إذا أصحاب الكُرْسيّ قد وقفوا يستنصرون ويدعون فقال ابن الاشتر ربَّنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا ، سُنَّةَ بني اسرائيل والذي أنا له .

وانتهى ابن الاشتر إلى المدائن فلقي من كان انصرف من أصحاب يزيد بن أنس ، فردّهم معه ، فلما تجاوز الكُحَيل من أرض الموصل جعل لا يسير الاّ بتعبئة .

وسبق ابن زياد إلى الموصل ، وبادر دخوله العراق واجتمعا على الخازِر إلى جنب قرية تُدعى باريتا ، بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ ، فنزل ونزل عبيد الله بن زياد قريباً منه على شاطىء الخازِر ، وهو نهر قريب من الزابي ، فأرسل إليه عُميرُبن الحُباب السُلَمي : إنّي أريد لقاءك الليلة ، وكانت قيس الجزيرة مضطغنة على بني مروان لِما كان من مروان إليهم في وقعة مرج راهط ، فأتاه ابن الحُباب فجرى بينهما كلام كثير وقال : ما أحد أبغض إليّ ظَفَراً من آل مروان ، فاْعلمْ أني منهزمٌ بالناس إذا قامت الحرب ، فأراد ابن الأشتر أن يبلوَ صدق ذلك فقال له أترى أن أُخندق على نفسي وأتلوّم يومين أو ثلاثة ؟ فقال عُمير : لا تفعل فإنّ القوم أُضعافُكم فإن طاولوك وماطلوك خَبِروا أمركم واجترأوا عليكم لكثرتهم وقلتكم ، وخرج ما في قلوبهم من الهيبة لكم فإنّ في أنفسهم منكم روعة ، وهم من لقائكم على وجل ، فعاجِلْهم وناجِزْهم ، فإنّ القليل لا يطيق الكثير على المطاولة ، ولا آمَنُ إن شامّوكم يوماً بعد يوم ، ومرّة بعد مرة أن يقهروكم ، فقال ابن الأشتر : الآن علمت أنّك ناصح ، كان عُميربن الحُباب على ميسرة عبيد الله بن زياد ، فأذكى ابن الاشتر تلك الليلة حَرَسه ، ولم يدخل الغُمضُ عينه .

فلما كان في السحر عبّأ أصحابه ، فجعل سُفيان بن يزيد بن المغفّل على ميمنته ، وعليّ بن مالك الجُشَمي على ميسرته ، وصلى الغداة بِغَبش ،

ثم صفّ أصحابه وألحق كلّ صاحب راية برايته ، وجلس على تلّ عظيم ووجّه من عرف خبر القوم فقيل له إنّهم على دهش ، فأخبره بعض رسله وعيونه أنّه لقي منهم رجلا ما له هجيراً إلاّ : يا شيعة أبي تُرَاب . يا شيعة المختار الكذّاب ، وجعل ابن الأشتر يحرض الناس فيقول : يا أنصار الدين ، يا شيعة الحقّ ، يا شرطة الله هذا قاتِل الحسين فما الذي تُبقون له جدّكم واجتهادكم بعده ، هذا الذي حال بين الحسين وبين ماء الفرات ، ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وأهلَ بيته ، فوالله ما كان عمل فرعون ببني اسرائيل إلاّ دون عمل هذا الفاجر ، وزحف الشاميّون وعلى ميمنة ابن زياد الحُصين بن نُمير ، وعلى ميسرته عُمير بن الحُباب السُلَمي ، وعلى خيله شرحبيل بن ذي الكَلاع الحِمْيَري ، ومشى ابن زياد في رجاله ، فلما تدانى الصفان حمل حُصين بن نُمير على ميسرة أهل الكوفة فقُتل علي بن مالك الجُشَمي فأخذ الراية ابنُه فقُتل في رجال من أهل الحِفاظ ، وانهزمت ميسرة ابن الاشتر فصيّر عليها عبدَ الله بن وَرْقاء السَلولي فثابَت الميسرة إليه ، وجعل ابن الاشتر يقول : يا شرطة الله إليّ أنا ابراهيم بن الأشتر ، إنّ خَيْرَ فراركم كرارُكم وحملت ميمنة ابن الاشتر على عُمير بن الحُباب وأصحابه فثبتوا ، وكان عمير أَنِفَ من الفرار فقاتل قتالاً شديداً ، فلما رأى ابن الاشتر ذلك قال لأصحابه أُمُّوا السَواد الأعظم فإن فضضتموه لم يكن للقوم ثبات بعده ، ففعلوا ذلك ، وتضاربوا بالسيوف وتطاعنوا بالرماح ، فإبراهيم يشدّ بسيفه فلا يضرب أحداً الاّ صرعه والقوم يهربون من بين يديه كأنّهم الغنم ، وجعل اذا حمل برايته حمل اصحابُه حملة رجل واحد لا يَثْنيهم شيء ، فكانوا

على ذلك ، ثم إنّ أهل الشام انهزموا بعد قتال شديد وقتلى بين الفريقين كثيرةٍ ؛ ويقال إنّ عُميرا أوّل من انهزم بالقوم بعد تعذير منه .

ووصل إبراهيم إلى عبيد الله بن زياد فقتله وهو لا يُثبته فقال : يا قوم لقد قتلت رجلاً وجدت منه رائحة المسك شرّقَتْ يداه وغرّبت رجلاه ، فطُلب فإذا هو ابن زياد ، فأمر برأسه فأُخذ وأُحرقت جثّته بالنار ؛ وحمل شريك بن جرير التغلبي على الحُصين بن نُمير السَكوني وهو يظّنه ابن زياد فقتله ؛ وقُتل شرحبيل بن ذي الكَلاع ، فادّعى قتله سفيان بن يزيد بن المُغَفَّل الأزدي ووَرْقاء بن عازب الأَسَدي وعبد الله بن زهير السَلولي ، ولما هزموهم اتبعوهم فكان من غرق منهم أكثر ممن قُتل ، واحتووا على عسكرهم .

وأرجف الناس بالكوفة بمقتل ابن الاشتر فخرج المختار إلى المدائن فلما صار بها تلقّته البشارات بقتل عبيد الله بن زياد وفضّ عسكره ؛ وقال عامر الشعبي : كنت في عسكر المختار بالمدائن ، فكان يحرّضنا ويحضّنا ويقول إنّ شيعة الله يقتلونهم بنَصِيبِين أو قُرْبِ نصيبين ، فقال لي بعض الهمدانيّين حين جاء قتل ابن زياد : يا شعبي أَلَا تَبُوءُ وتقرّ للمختار ؟ قلتُ : بما أبوء له أقول إنّه يعلم الغيب والله ما يعلم الغيب إلاّ الله ، قال : ألم يقل إنهم يهزمون ؟قلت : إنّه قال : بنَصِيبِين أو قرب نصيبين ، وإنّما كانت الوقعة بالخازر ، فقال لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم .

حدثنا خَلفَ بن سالم وأبو خَيْثمة قالا : حدثنا وهب بن جرير عن أبيه حدثني إبراهيم بن الأشتر قال : مرّ بي ابن زياد يوم الخازر فسطع منه المسك وأنا لا أعرفه فظننت أنه رجل له منزلة في القوم وحالٌ ، فقصدت له فضربته

على رأسه بالسيف فخرّ بين قوائم برذونه يخور كخُوار الثور ، فنظرت فإذا هو ابن زياد .

وانصرف المختار إلى الكوفة ، ومضى إبراهيم بن الأشتر إلى الموصل ، وبعث عمّاله عليها وعلى نَصِيبِين ، وسِنْجار ودارا ، وما والاها من أرض الجزيرة .

وقال الهيثم بنَ عديّ : ولّى ابن الأشتر زُفَر بن الحارث قَرْقِيسِيَا ، وحاتم بين النعمان الباهلي حران والرُها ، وسُمَيساط وناحيتها ، وعُمير بن الحُباب كَفَرتُوثا وطور عَبْدِين ؛ وليس ذلك بثبت عند الكلبي .

وقال عُمير بن الحُباب حين قُتل ابن زياد :

ما كانَ جَيْشٌ يَجْمَعُ الخَمْرَ والزِنا ... مُحَلًّا إذا لاقى العَدُوَّ لِيُنْصَرا

وقال ابنُ المُفَرِّغ حين قُتل ابن زياد :

إنَّ المَنايا إذا ما زُرْنَ طاغِيَةً ... هَتَكْنَ أَسْتارَ حُجّابٍ وأَبْوابِ

أقول بُعْداً وسُحْقاً عِنْدَ مَصْرَعِهِ ... لِابنِ الخَبيثَةِ وابنِ الكَوْدَنِ الكابي

لا أَنْتَ زاحَمتَ عن مُلْكٍ فتَمْنَعَهُ ... ولا مَتَتَّ إلى قَوْمٍ بِأَسْبابِ

لا مِن نِزارٍ ولا مِن جِذْمِ ذي يَمَنٍ ... جُلْمودَةٌ أُلْقِيَتْ مِن بَيْنِ أَلْهابِ

لا تَقْبَلُ الأَرْضُ مَوْتاهُمْ إذا قُبِروا ... وكَيْفَ تَقْبَلُ رِجْساً بَيْنَ أَثْوابِ[1]

قالوا : ولحق جميع من كان هرب من المختار من أهل الكوفة أو أكثرهم بمصعب بن الزبير بالبصرة ، وقد قدمها والياً على المصرَين ، فقدم شَبَث بن ربعي التميمي على بغلة قد قطع ذنبها وطرفَي أُذُنَيْها وشقّ قَباءه ،

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ٨٢ ـ ٨٤ .

ووقف ينادي واغوثاه ، واغَوْثاهْ ، فدخل على المصعب فأخبره بما لقي الناس من المختار ، وهذا أصحّ من قول مَن قال إنّ شَبَثاً قُتل بالكوفة ، وأخبره أيضاً وجوهُ أهل الكوفة بما نالهم وسألوه نصرتهم والمسير معهم ؛ وقدم عليه محمد بن الأشعث ولم يكن شهد وقعة الكوفة ، فاستحثّ المصعب بالشخوص إلى الكوفة ، فقال : لست فاعلاً حتى يقدم المهلَّب علي ، وكان بفارس ، فكتب إليه يأمره بالقدوم ، فاعتلّ بالخراج ، فقال محمد بن الأشعث : وَجِهْني إليه آتِكَ به ، فسار محمد حتى قدم فارس فلما رآه المهلَّب قال : يا محمد أما وجد المصعب بريداً غيرك ؟ فقال : يا أبا سعيد والله ما أنا إلّا بريد نسائنا وأبنائنا ؛ فأقبل المهلّب معه في جموع وهَيْئة وعِلاج ليس لأحد مثلها حتى قدم البصرة ، وكان المهلّب أتى عبدالله بن الزبير فكتب له عهده على خراسان فلما صار إلى البصرة طلب إليه أهلها أن يقاتل الخوارج وكانوا قد ظهروا وأبزوا[1] عليهم ، فأقام لقتالهم فاتبعهم إلى فارس ، فكان يحاربهم ، وقدم المصعب فولّاه فارسَ خراجَها وحربها .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن صعب بن زيد، وصعب عمّ جرير بن حازم قال: قدم المهلّب بعهده على خراسان من قِبَل عبدالله بن الزبير ، وقد نزلت الحَروريّة بين الجسرَيْن بالبصرة فقتلوا وحرقوا ، وغلبوا على كورَ الأهواز ، وشاطىء دجلة فأتى الأحنف وأشراف أهل البصرة المهلَّبَ فسألوه أن يتولّى قتال الأزارقة ، فقال : لست أقدر على ذلك هذا عَهْدُ أمير المؤمنين إليَّ على خراسان ،

---

١ - ابزى : وثب ، بغى . القاموس .

قالوا : فإنّا نخرج إلى أمير المؤمنين فنسأله أن يعفيك من خراسان ويولّيك قتال الأزارقة، قال : فرأيكم. فخرج من خرج منهم فجاؤوا بكتاب ابن الزبير بتوليته قتال الأزارقة ، وقال بعض الناس : افتعلوه على لسان ابن الزبير ، وقال آخرون : بل خرج ناس فجاؤوا بكتابه، فنفى الخوارج إلى الأهواز .

قال جرير بن حازم : ثم صاروا إلى فارس فاتبعهم ، وكتب عبدالله إلى مصعب بن الزبير بتوليته فارس ، وكان قدوم المصعب البصرة والياً عليها بعد القُباع في سنة سبع وستّين .

خبر يوم المذار ومقتل أحمر بن شميط وابن كامل

قالوا : قدم المهلَّب بن أبي صُفرة من فارس ، واستخلف المغيرة ابنَه ، ويقال غيره ، وقال بعضهم : قسم فارس بين أصحابه وأمرهم أن يجتمعوا على قتال الخوارج مع صاحب الناحية التي تكون فيها ، فلما دخل على مصعب أمره بالعسكرة عند الجسر الأكبر ، ولم يرِ المصعب أحداً إعظامَه له ، ودعا عبد الرحمن بن مِخْنَف فقال له: ائْتِ الكوفة مستخفياً حتى تُخرِج إليَّ من استطعت إخراجَه وخذلِ الناس عن المختار ، فمضى حتى نزل منزله سرّاً فلم يظهر ، وخرج مصعب بن الزبير ، وقد جعل المهلّبَ على ميسرته ، وعمر بن عبيدالله بن مَعْمَر على ميمنته وقدم عبّاد بن الحُصين التميمي أمامه على مقدّمته ، وكان مالك بن مِسْمَع على جيش بكر بن وائل ، ومالك بن المُنْذِر بن الجارود على جيش عبد القيس ، والأحنف بن قيس على جيش العالية ، وبلغ المختار ذلك ، فقال لأصحابه : يا أهل الدين وأعوان الحقّ ،

وأنصار الضعيف ، وشيعة الرسول وآلِ الرسول وشرطة الله إنّ هؤلاء الذين هربوا من أسيافكم أتوا اشباهاً لهم من أهل البصرة من الفاسقين فاستنفَروهم لِيُميتوا الحقّ ويُنْعَشَ الباطل ، ويُدَالَ أولياء الله في الأرض فانتدِبوا يرحمكم الله مع أحْمَر بن شُميط الأحْمسي .

فعسكر ابن شميط بحمّام أعْيَنَ ، وضمّ إليه المختار الناس ، وبعث على مقدّمته عبدالله بن كامل الشاكري من همدان فسار أحمر بن شُميط حتى ورد المَذار ، وأقبل مصعب فنزل قريباً منه وعبّأ كل واحد منهما جنده ، فجعل ابن شُميط ابنَ كامل على ميمنته وعبدالله بن أَنس بن وهب بن نَضْلة الجُشَمي على ميسرته ، وجعل على الخيل رَزين بن عبد السَلولي وعلى الرجال كثير بن اسماعيل بن كثير الكندي ، وجعل أبا عَمْرة على الموالي ، وأقرَّ المصعب المهلّب على ميسرته ، وعمر بن عبيد الله على ميمنته ، وجعل على الرجال مُقاتل بن مِسمَع ، وعلى الخيل عبّاد بن الحُصين ، فالتقوا وحمل عبّاد على ابن شميط وأصحابه ، فلم يزُلْ منهم رجل عن موقفه ، وحمل ابن كامل على المهلّب فلم يزالوا كذلك يحمل بعضهم على بعض ، ثم حمل أهل البصرة جميعاً على ابن شُميط حملة واحدة فقاتل حتى قُتل ، وتنادى أهل الكوفة : يا معشر بَجيلة وخَثْعَم الصَبْرَ الصَبْرَ، فنادى بهم المهلّب: الفرارَ الفرارَ على ما تقاتلون أضلّ الله سَعْيَكم ، ثم مالت الخيل على رجالة ابن شُميط فاصطُلموا ، وقُتل عبدالله بن كامل .

وسرّح المصعب محمد بن الأشعث في خيل عظيمة من أهل الكوفة ممّن هرب من المختار ومن بَعِثَ به عبد الرحمن بن مِخْنَف ، وقال دونكم الطلب

بثأركم ، فكانوا أشدّ عليهم من أهل البصرة لا يتركون رجلاً إلّا قتلوه فلم ينجُ من ذلك الجند إلّا شِرْذِمة قليلة من أصحاب الخيل .

ورُوي عن معاوية بن قُرة المُزَني أبي إياس بن معاوية أنّه قال : انتهيتُ إلى رجل منهم فأدخلتُ سنان الرمح في عينه وجعلتُ أُخَضخضه ، فقيل له : أَوَفعلتَ ذلك ؟ قال : نعم والله إنّهم كانوا أحلّ عندنا من التُرْك والدَيْلَم ، وكان معاوية قاضياً بين أهل البصرة ، وقال أَعْشَى هَمْدان :

أمـا نُبِّئتَ والأنبـاءُ تَنْمي ... بمـا لاقَتْ بَجيلَةُ بـالمَـذارِ
أُتِيحَ لَهُمْ بها ضَرْبٌ طَلَخْفٌ[1] ... وطَعْنٌ صـائِبٌ وَجْهَ النهـارِ
فبَشِّـرْ شيعَـةَ المُخْتـارِ إمَّا ... مَرَرْتَ عَلَى الكُوَيْفَةِ بالصَغارِ
وما إنْ سَرَّني إهْلاكُ قَوْمي ... وإنْ كانوا وجَدِّكَ في خَسارِ
ولـكِنّي أُسَرُّ بمـا يُـلاقي ... أبو إسْحاقَ مِن خِزْيٍ وعارِ

وكان على البصرة حين شخص المصعب إلى المَذار عُبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر التَيْمي ولّاه إيّاها المصعب، وهو كان عليها أيضاً [حين] خرج لقتال المختار ، والثبت أنّه كان خليفة أخيه عمر بن عبيدالله لأنّ أَمْرَها كان إلى عمر ، وكان عمر خليفة المصعب عليها في ظعنه ومقامه .

وبلغ المختار ومن معه خبر ابن شُميط وابن كامل ووجوه رجاله وحُماته ، فقال من كان بالكوفة من الأعاجم كلاماً بالفارسيّة تفسيره : لم يصدق أبو اسحاق المرة .

---

١ ـ أي ضرباً شديداً . القاموس .

وقال بعض الشعراء فيما ذكر المدائني :

ونحنُ قَتَلْنـا أَحْمَراً وجُمـوعَهُ ... وقَدْ كانَ قَتَّالَ الكُماةِ مُظَفَّرا
غداةَ عَلا الإسكافُ بِالسَيْفِ رَأْسَهُ ... فخَرَّ صَريعاً لِلْيَـدَيْنِ مُعَفَّرا

قال : والإسكاف محمد بن عبد الرحمن الإسكاف .

حدثنا خَلَف بن سالم وأحمد بن إبراهيم قالا : حدثنا وهب بن جرير حدثنا جُوَيْرِية حدثني الصَقْعَب بن ثابت عن أبيه قال : سمعت المختار بالمدائن وهو يقول : والذي كرّم وجه أبي القاسم ليدخلنّ ابن شُميط البصرة في عافية صافية . قضاءً مقضيّا . وقد خاب من افترى ، وقد بعثتُ معه براية ما غزلَتْها يدٌ ولا نسجها نسّاج ، وكان أُدْرَجَها ولف عليها خرقة ثم ختمها ، وقال : لا تفتحها حتى تبلغ ساعة كذا من النهار ، ثم انشرها فانّ القوم اذا نظروا إليها انهزموا .

وحدثاني قالا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن الأزرق قال : بعث المختار ابنَ شُميط فدفع إليه سفطاً مختوماً ، وقال إنّ فيه راية لم ينسجها إنْس ولا جِنّ فأَخْرِجْها فإنّك تظفَّر عليهم ، وإيّاك أن تُخرجها من أوّل النهار فقُتل ، ومضى مصعب إلى الكوفة فانحاز المختار إلى داره فحصره فيها ، فخرج ليلاً فعرفه الناس فقتلوه وقَتَل أصحابَه وقد نزلوا على حكمه ، وهم سبعة آلاف .

خبر قدوم المصعب بن الزبير الكوفة ويوم حروراء ومقتل المختار بن أبي عبيد

حدثني محمد بن يزيد أبو هشام الرِفاعي ، حدثني عمّي كثير بن محمد عن عبدالله بن عياش المنتوف عن مجالد عن الشعبي قال: ولّي عبيدالله بن مَعْمَر المسمى القباع ، وإنّما سُمّي القُباع لأنّه رأى مكيالا لأهل البصرة فقال ما هذا القُباع ؟ يعني الأَجْوَفَ ، فلقّبوه قباعاً ، وهو الذي يقول فيه أبو الأسود الديلي [1] لعبدالله بن الزبير .

أبـا بَكْرٍ جَـزاكَ الله خَيْراً أَرِحْنا مِنْ قُباعِ بَني المُغيرَهْ

فعزله ابن الزبير ، وولّى البصرة والكوفة جميعاً مصعب بن الزبير أخاه ، فقدم البصرة وكان المختار بالكوفة وقد أُخرج عنها ابنَ مُطيع عامل ابن الزبير .

فلما قدم أصحاب المختار المَذار ليغلبوا على البصرة فيما دبّروا زحف إليهم المصعب بوجوه أهل البصرة ، واستخلف عمرُ بن عبيدالله عليها عبيدَالله بن عبيدالله بن مَعْمَر أخاه ويُكنى أبا معاذ بكنية أبيه ، فقتل المصعبُ ابنَ شُميط وأصحاب المختار وفضَّ عسكره ، ثم إنّ عمر بن عبيدالله استخلف أيضاً على البصرة أخاه بأمر المصعب ، وسار المصعب إلى الكوفة فقتل المختار .

---

١ ـ ديوان بي الأسودالدولي ص ٢٢٠ .

وولّى عبدالله بن الزبير حمزة ابنه البصرة بعد أشهر ، وذلك بمشورة رجل شخص إليه من أهل العراق مولىً لبني عِجْل ، يقال له إبراهيم بن حيّان فأخبره أن أهل البصرة يحبّون ولايته ، وكتب إلى مصعب في ضمّ من قِبَله من رجال البصرة إلى حمزة ، فغضب مصعب وشخص إلى مكّة وحمل معه مالا من مال الكوفة واستخلف عليها القُباع .

وقدم حمزة البصرة في سننه فكان جواداً إلّا أنّه كان أحمق، شخص إلى الأهواز فدعا بدهقانها واسمه مردانشاه فأمره أن يحمل الخراج فاستأجله ، فشدّ عليه فضرب عنقه وعنده الأحنف فقال له إنّ سيف الأمير لحادّ ، ونظر حمزة إلى جبل الأهواز فقال كأنّه قُعَيْقِعان يعني جبلا بمكّة ، فسمّوه قعيقعان ، وسمّوا الجبل أيضاً قعيقعان .

ولما ورد مصعب على عبدالله أخيه قال له : من استخلفت على الكوفة ؟ قال الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة ، وقال له : ما رأيتَ في حمزة ابنك حتى عزلتني وولّيته ؟ قال : ما رأى عثمان في ابن عامر حين عزل أبا موسى وولّاه ولم أعزلك تفضيلاً له عليك ، وردّه على المصرين جميعاً ، فأقرّ القُباع بالكوفة على خلافته ، وأقرّ عمر بن عبيدالله على أمر البصرة ، ثم ولاه فارس .

وقال ابن عيّاش : كان حمزة يُعطي الكثير مَن لا يستحقّه ، ويمنع القليل مَن يَستحقّ الكثير ، وكان يُعطي مائة ألف ويَمنع شِسْعا ، ورأى فَيْض البصرة فقال : إنّ هذا غدير إنْ رفق به أهله كفاهم ضيعتهم ، وركب إلى فيض البصرة في الجَزْر ، فقال : لو اقتصدوا فيه لم ينقص هذا النقصان .

ومدحه موسى شَهَوَات فقال :

حَمْـزَةُ المُبْتاعُ حَمْـداً بـاللُّهَى وَيَرَى في بَيْعِهِ أَنْ قَدْ غَبَنْ
وإذا أَعْـطَى عَطاءً فـاضِلاً ذا إخـاءٍ لَمْ يُكَـدِّرْهُ بِمَنّ
وإذا مـا سَنَـةٌ مُجْـدِبَـةٌ بَرَتِ المالَ كَبَـرْيٍ بِالسَفَنْ
إنْجَلَتْ عَنْـهُ نَقِيّاً ثَـوْبُـهُ وتَـوَلَّـتْ ومُحَيَّـاهُ حَـسَـنْ
نـورُ صِدْقٍ نَيِّـرٌ في وَجْهِهِ لَمْ يُصِبْ أَثْوابَهُ لَوْنُ الدَرَنْ

ولجأ الفرزدق إليه وهو بالحجاز في امرأته ، وقد كتبنا قصّته في خبر ابن الزبير .

قالوا : ولما صنع حمزة ما صنع بدهقان الأهواز كتب الأحنف ووجوه أهل البصرة في عزله وإعادة مصعب ، فعزله واحتمل حمزة مالاً من مال البصرة فعرض له مالك بن مِسْمَع وقال : لا نَدَعك تخرج بأعطياتنا فضمن له عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر العطاء كاملاً فكفّ وقد كان عسكر في ربيعة ، وتخلّص حمزة بالمال فترك أباه وأتى المدينة فأودع المال رجالاً فذهبوا به إلّا يهوديّا وَفَى له ، وقال أبوه : أبعده الله أردتُ أن أُباهي به بني مروان فنكص .

قالوا : وكان حمزة محباً لابن سُريج المغنّي ، وهو غنّى في قول موسى شَهَوات .

حَمْزَةُ المُبْتاعُ حَمْداً بِاللُّهَى

وكان حمزة لا يخالفه ، فسأله رجل أن يكلّمه في إسلافه ألف دينار ، ففعل وأسلف الرجل ألفا وأعطى ابن سُريج ألفا .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي عن وهب بن جرير عن أبيه عن صَعْب بن زيد قال : بعث ابن الزبير ابنه حمزة وكان فيه ضعف وحمق ، فخرج إلى الأهواز فلما رأى جبلها قال إنّ هذا الجبل لَشبيه بقُعَيْقَان فسمّي لذلك قعيقعان ؛ قال صَعْب : وفرغنا يوما من الخوارج ونحن بالأهواز فخرج على فرسه مطلقا برحات قَبَائه فكأنّي انظر إلى تِكة سراويله قد بدت على قَرَبوس سرجه وهو يركض فكان وجهه إلى البصرة ولم يلق قتالاً ؛ وكان خليفته بالبصرة عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر وأقام بالبصرة سنة ، وكان عمر بن عبيدالله على فارس .

قالوا : ولما انقضى أمر يوم المَذَار أقبل المصعب نحو واسط القَصَب ، ولم تكن يومئذ إنّما كان أحدثها الحجّاج بعدُ ، فأخذ في كَسْكَرَ وحمل الضعفاء في السُفُن فخرجوا في نهر يقال له قُوسان منه إلى الفرات ، فكان أهل البصرة يخرجون فيجرّون سفينهم ويقولون :

عَوَّدَنا المُصْعَبُ جَرَّ القَلْسِ بِالزَنْبَرِيّاتِ[1] الطِوالِ المُلْسِ

ويقال : إنّهم قالوا ذلك حين شخص إلى الكوفة ثم إلى مَسْكِن .

قالوا : وبلغ المختار مسيرهم فخرج حتى نزل السَيْلَحُون بالكوفة وسكر الفرات على نهر السَيْلَحُون ، ونهر يوسف ، وجعل يذكر ابن شُميط وأصحابه فيقول : حَبّذا مصارعُ الكِرام ، وبقيت سفن البصريّين تُجَرّ على الطين ، فلما رأوا ذلك وجّهوا خيلاً إلى السكر فكسروه وصمدوا صمد الكوفة ، فلما رأى المختار ذلك أقبل حتى نزل حَروراء وحال بينهم وبين

١ ـ الزنبري : الضخم من السفن . القاموس .

الكوفة ، وقد كان حصّن القصر والمسجد واستخلف بالكوفة عبدالله بن شدّاد الجُشَمي ، وجعل المختار يومئذ على ميمنته سليمان بن يزيد الكندي وعلى ميسرته سعيد بن مُنْقِذ الهَمْداني ، وكان على شرطته يومئذ عبدالله بن قُراد الخَثْعَمي ، وكان على ميمنة المصعب المهلَّب بن أبي صُفرة ، وعلى ميسرته عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر ، وعلى الخيل عبّاد بن الحُصين ، وعلى الرجال مقاتل بن مِسْمَع ، وعلى أهل الكوفة محمد بن الأشعث بن قيس ، وعلى بكر بن وائل مالك بن مِسْمَع .

فلما رأى المختار ذلك وجّه إلى كل خُمس من أخماس أهل البصرة رجلاً ، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن مُنْقِذ صاحب ميسرته وإلى عبد القيس وعليهم مالك بن المنذر بن الجارود عبد الرحمن بن شُريح الشِبامي من هَمْدان ، وكان على بيت ماله ، وبعث إلى أهل العالية وعليهم قيس بن الهَيْثَم السُلَمي عبدالله بن جعدة بن هُبيرة المخزومي ، وبعث إلى الأزد وعليهم زياد بن عمرو العَتَكي سليمان بن يزيد الكندي ، وكان على ميمنته ، وبعث إلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك الأشعري ، ووقف في بقيّة أصحابه ، وكان المهلّب في خُمْسَيْن كثيرَيِ العدد والفرسان ، وهم الأزد ، وتميم ، وكان الأحنف حاضراً ، ولم يحبّ أن يُشهر نفسه فحمل بعض القوم على بعض ، والمهلّب واقف فقيل له : ألا تحمل ؟ فقال : ما كنت لأُجزِرَ الأزد وتميما خَشْبَيةَ أهل الكوفة حتى أرى فُرْصتي ، وحمل ابن جَعْدة على أهل العالية فكشفهم حتى ألحقهم بمصعب ، فجثا المصعب عندها على ركبتيه ورمى سهمه فرمى الناس سهامهم ، وبعث إلى المهلّب : ما تنتظر لا أبا

لغيرك احملْ على من يليك ، فحمل بخمسمائة على أصحاب المختار فحطموهم ، وحمل الناس بأجمعهم فانهزم أصحاب المختار .

وقال عمرو بن عبدالله النَهْدي : اللّهم إنّي أبرأ إليك من فعل هؤلاء ، يعني أصحابه حين انهزموا ، وأبرأ إليك من هؤلاء ، يعني أصحاب مصعب ، اللّهم إنّي على ما كنت عليه بصِفّين ، ثم قاتل حتى قُتل ، وقال مالك بن عمرو النَهْدي وكان على الرجالة وأُتي بفرسه ليركبه : والله لا فعَلْتُ ولأن أُقْتَل في أهل الصبر أحبّ إلي من أن أُقتل في بيتي ، أينَ أهل الصبر اليوم ؟ فثاب إليه خمسون رجلاً ، فشدّ وشدوا على محمد بن الأشعث بن قيس وأصحابه ، وكان بالقرب منه ، فقُتل محمد بن الأشعث ، فبنو نَهْد يدّعون قتله يقولون قَتَله مالك ، وكندة تقول قتله عبد الملك بن أشاعة الكندي ، وخَثْعَم تقول قتله ابن قُراد الخثعمي ، ويقال إن المختار مرّ في أصحابه على ابن الأشعث فقال لهم : يا شرطة الله كُرّوا على الثعالب الروّاغة ، فحملوا فقُتل محمد بن الأشعث فقال أعشى همدان :

وما عُذْرُ عَيْنٍ عَلَى آبْنِ الأَشَـ ـجِ فِي أَنْ يُفَتَّرَ تَقْطارُها
فَـلا تَبْعَـدَنَّ أَبـا قـاسِمٍ فقـد تَبْلُغُ النَّفْسَ مِقْدارُها
بِشَطِّ حَـرُورَا إذَا استجمعت عَلَيْـكَ ثَقِيفٌ وسُحّـارُهـا

وقُتل سعيد بن مُنْقِذ في سبعين راكبا من قومه ، وقُتل سليمان بن يزيد الكندي في تسعين ، ونزل المختار على فم سكّة شَبَث بن رِبْعِيّ فقاتل عامّة ليلته وقُتل معه بَشَر من همدان وغيرها ، وانصرف البصريّون عن المختار فعمد إلى قصر فنزله ، وكان وقعتهم يوم الأربعاء ، وكان عبدالله بن ثوب لما خرج يريد حروراء جعل يقول : اليوم يوم الأربعاء . ترّبَّعت السماء . ونزل

القضاء . بهزيمة الأعداء ، فلما كانت الوقعة ضُرب على وجهه فقيل له أين ما كنت تقول ؟ قال : ﴿يَمْحُو الله مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ آلكِتَابِ﴾(١) ويقال : إنّ المختار قال ذلك ، وكان عبيدالله بن عليّ بن أبي طالب مع المصعب فقُتل يومئذ ، ويقال : انّه قُتل يوم المَذار فقال المصعب للمهلّب : يا أبا سعيد أَعَلمت انّهم قتلوا عبيدالله بن عليّ وهم يعرفونه ويزعمون أنّهم شيعة أبيه ؟ فقال المهلّب للمصعب : أصلح الله الأمير أي فَتْحٍ لو لم يكن محمد بن الأشعث قُتل ؟ فقال : نعم ، فرحم الله محمدا .

قالوا : وسار مصعب يوم الخميس بمن معه فأتى السَبَخة فقطع عن المختار المادّة ، وبعث عبدَ الرحمن بن الأشعث وزَحْر بن قيس إلى جبّانة مُراد ، وبعث عبيدالله بن الحُرّ الجُعفي إلى جبّانة الصائديينّ من همدان ، وبعث عبّاد بن الحُصين إلى جبّانة كندة ، فكانوا كُلّهم يقطعون عنه المادّة ؛ وأمر المصعب المهلّب أن يتخّذ على الكوفة دروباً ففعل فلم يقدر المختار على الماء ، فجعل يشرب وأصحابه من ماء البئر ويعطيهم من عَسل عنده فيُديفونه به ليطيب الماء ، واقترب مصعب وأصحابه من القصر ورتّبهم في مواضع وقفهم بها ، وأقبل أحداث يصيحون يا بن دَوْمَةَ ، فأشرف عليهم فقال:إنّ الذي تعيّرونه ابنُ رجلٍ مِنَ آلقَرْيَتَيْنِ(٢) عَظِيمٍ ، وكانت أمّ المختار دَوْمَة بنت وهب بن مُعَتِّب بن وهب بن كعب الثَقَفي ، ثم خرج المختار في مائتين فحمل على أصحاب مصعب فقاتلهم وضرب يحيى بن ضَمْضَم وكان

---

١ ـ سورة الرعد ـ الآية : ٣٩ .

٢ ـ بهامش الأصل : عظيم احدى القريتين مسعود بن عمرو وجده .

فارساً شجاعاً إذا ركب خَطّت الأرضَ رجلُه ، فأطار قِحْف رأسه فَخَرَّ ميّتاً ؛ ثم تتابع الناس عليه وكثروه ، فلم يكن له بهم طاقة ، فدخل القصر واشتدّ عليه الحصار ، فقال لأصحابه : انزلوا بنا نقاتلْ حتى نُقْتَل كِراماً ، والله ما أنا بآيِس إن صدقتم أن تُنْصَروا ، فضعُف أصحابه وعجزوا ، فقال : أما والله لا أُعطي بِيَدي ولا أحكم في نفسي ، فلما رأى عبدالله بن جَعْدة ما يريد المختار تدلّى من القصر فلحق بناس من إخوانه فاستخفى عندهم .

ثم إنّ المختار ارسل إلى امرأته أمّ ثابت بنت سَمْرَة بن جُنْدُب فبعثت إليه بطيب فاغتسل ، وتحنّط ، ووضع الطيب في رأسه ولحيته ، ثم خرج في تسعة وعشرين رجلاً من أصحابه فيهم السائب بن مالك الأَشعري ، فقال للسائب : ما ترى ؟ قال السائب : أنا أَرى أم أنت ؟ قال المختار : بل الله يرى ، أنت ويحك أحمق ، إنّما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز ، ومروان على الشام ، ونَجْدَة على اليمامة ، فلم أكن دون أحدهم فقاتِلْ على حسبك ، فقال السائب : وما كنت أصنع بالقتال على حسبي ؛ وتمثّل المختار بقول ابن الزِبَعْرَى :

كلُّ بُؤسٍ ونَعيمٍ زائلٌ وسَواءٌ قَبْرُ مُثرٍ ومُقِلّ[1]

ثم قال لأصحابه لما رأى ما بهم من الروع والفشل ، والامتناع من أن يتابعوه على الخروج والقتال معه : إنّي والله إن قُتلتُ لم تزدادوا إلاّ ضعفاً وذلاّ . ثم إن أُخذتم ذُبحتم كما يُذبح الغنم يقولون : هذا قاتِلُ أبي ، وهذا قاتل أخي ، وإنْ قاتلتم صابرين فقُتلتم مُتُّمْ كِراماً .

---

١ ـ شعر عبدالله بن الزبعرى ص ٤١ مع فوارق واضحة .

ثم خرج فقاتل وهو يقول :

إنْ يَقْتُلوني يجِدوا لي جَزَرا مُحَمَّداً قَتَلْتُهُ وعُمَرا

والأَبْرَصَ الجاهِلَ لَمَّا أَدْبَرا

فقُتل السائب بن مالك ، ثم قُتل المختار عند الزيّاتين قتله أَخَوان من عَنَزَة يقال لهما طَرَفة وطُرَيْفة ، وبنو تميم يدّعون أنّ مولىً لبني عُطارد يقال له محمد بن عبد الرحمن قتل المختار .

وقال أبو اليقظان : قتله فيها تقول ربيعة : طرّاف بن يزيد الحَنَفي .

ونزل الباقون من أصحابه على الحكم ، فجعل عبّاد بن الحُصين يُنزلهم مكتفين وكان فيهم عبدالله بن قُراد فمرّوا به على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وهو يقول :

ما كُنْتُ أَخْشَى أن أُرَى أسيرا إنَّ الذين خالَفوا الأَميرا

قَدْ خَسِروا وتُبِّروا تَتْبيرا

فقال عبد الرحمن : ائتوني به فقدّموه إليه ، فقال له ابن قُراد : أَمَا إنّي على دين جدّك الذي آمَن به ثم كفر ، يعني الأشعث إن لم أكن الذي ضربتُ أباك بسيفي حتى فاضت نفسه ، فدنا منه فقتله ، فغضب عبّاد بن الحصين من قتله إيّاه دون أمر مصعب .

وأُتي مصعب برجل من بني مُسْلِيَة فقال : الحمد لله الذي ابتلانا بالأمير وابتلاه بنا ، إنّ مَن عفا عفا الله عنه ، ومن عاقب لم يأمَن القِصاص ، يا بن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملّتكم ونحن قومكم لسنا بِرُوم ولا دَيْلَم ، لم نَعْد أَنْ خالَفْنا اخواننا من أهل مصرنا ، فإمّا أن نكون أصبنا وأخطأوا ، أو أصابوا وأخطأنا فاقتتلنا بيننا كما اقتتل أهل الشام بينهم وكما

اقتتل أهل البصرة بينهم ، فقد افترقوا ثم اجتمعوا ، وقد ملكتم فأسجحوا ، وقدرتم فاعفوا ، فرقّ له مصعب وللأسرى ، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : أيّها الأمير اخترنا عليهم أو اخترهم علينا ، وقام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني فقال : قد قُتِل أبي وأشرافنا وخمسمائة أو أكثر منّا وتُخلّي سبيلهم ودماؤنا تَرَقْرَقُ في أثوابهم ، اختَرْنا أو اخترهم فأمر بهم أن يُقتلوا ، فقال بعضهم : قد أُمَرنا المختار أن لا نموت هذه الميتة الدنيّة فأبينا ، وكان من أُخرج من القصر نحواً من ستّة آلاف .

حدثني أبو مسعود عن عليّ بن مجاهد قال : لما ظفر مصعب بأصحاب المختار ، بعثت إليه عائشة بنت طلحة في أمرهم الحارث بن خالد المخزومي فوجدهم قد قُتلوا .

وقال مسافر بن سعيد بن نِمْران الناعطي : ما تقول يا بن الزبير غداً وقد قتلتَ أُمةً من المسلمين حكّموك في أنفسهم ودمائهم صَبْراً وإنّ فينا لرجالاً ما شهدوا حربنا وحربكم إلّا اليوم ؟! فقُتل وقُتل القوم .

حدثني عبدالله بن صالح المقرىء عن الهَيْثم عن عَوانة قال : لما أراد المصعب قتل أصحاب المختار ونزلوا على حكمه شاور الأحنف بن قيس فيهم ، فقال: أرى أن تعفو عنهم فإنّ العفو أقرب للتقوى[1]، فقال أشراف أهل الكوفة : اقتلهم وضجّوا فلما قتلوا ، قال الأحنف : ما أدركتم بقتلهم ثأرا فلَيْته لا يكون في الآخرة وبَالا .

---

١ ـ انظر سورة البقرة ـ الآية : ٢٣٧ .

وكان المصعب قال : اقتلوا الموالي واعفوا عمّن كان صليبةً مع المختار ، فقام ابن الأصبهاني وابن الإسكاف ، صاحب الدار بالبصرة فقالا : ما هذا بحُكم الإسلام ، فقتل الجميع .

قالوا : وبعث المصعب إلى أمّ ثابت بنت سَمُرة بن جُنْدُب الفزاري ، وعَمْرة بنت النُعمان بن بَشير الأنصاري ، امرأَتي المختار ، فأُحضرتا فقال لهما ما تقولان في المختار ؟ فأمّا أمّ ثابت فقالت : ما عسينا أن نقول فيه إلاّ مثل ماتقولون من الكذب وادّعاء الباطل فخلّى سبيلها ، وقالت عَمْرة : ما علمتُه رحمه الله إلاّ مسلماً من عباد الله الصالحين ، فحبسها المصعب في السجن ، وكتب إلى عبدالله بن الزبير : «إنّها تزعم أنّه نبي» فكتب إليه أن أَخْرِجْها فاقتلها ، فأخرجها إلى ما بين الحيرة والكوفة بعد العشاء الآخرة ، فأمر بها رجلاً من الشرَط يقال له مَطَر ، فضربها بالسيف ثلاث ضربات ، وهي تقول : يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عشيرتاه ، فرفع رجل يده فلطم مَطَراً وقال : يابن الزانية عذّبتها فقطعتَ نفسها ثم تشحّطت وماتت ، وتَعلّق مَطر بالرَجُل فأتي به مصعباً فقال : خلّوه رأى أمراً عظيماً فظيعاً ، وكان لقب مطر هذا تابعه .

فقال عبدالله بن الزبَير الأسدي ، ويقال عمر بن أبي ربيعة :

إنَّ مِنَ أَعْجَبِ العَجائِبِ عِنْدي قَتْلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عُطْبول
قَتلوها ظُلْماً على غَيْرِ ذَنْبٍ إنَّ لله دَرَّهَا مِنْ قَتيل
كُتِبَ القَتْلُ والقِتالُ عَلَيْنا وعلى المُحْصَناتِ جَرُّ الذُيول[1]

---

١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٩٨ مع فوارق .

وقال الأَحْوَص ، ويقال غيره :

أَلَمْ تَعْجَبِ الأَقْوامُ مِنْ قَتْلِ حُرَّةٍ مِنَ الجامِعاتِ العَقْلَ والدينَ والحَسَب
مِنَ العاقِلات المُؤْمِناتِ بَرِيَّةٍ مِنَ الشَكِ والبُهْتانِ والإِثْمِ والرِيَب
كَأَنَّهُمُ إِذْ أَبرَزوها فقُطِّعَتْ بِأَسْيافِهِمْ فازوا بِمَمْلَكَةِ العَرَبْ[1]

وكان مقتل المختار في شهر رمضان سنة تسع وستّين .

وبعث المصعب برأسه ورؤوس وجوه أصحابه إلى عبدالله بن الزبير بمكة ، وسمر المصعب يد المختار على حائط المسجد الجامع ، فلم تزل مسمورة حتى قدم الحجّاج الكوفة فأمر بها فانتُزعت ثم دُفنت .

ولما قتل المصعب المختار أنفذ عمرَ بن عبيدالله بن مَعْمَر إلى البصرة وأقام بالكوفة لإصلاح أمرها ، فكان يومُ الجُفْرة بالبصرة في أيام عمر بن عبيدالله هذه ، ثم لحق به مصعب وقد ذكرنا ذلك فيما تقدّم من نسب بني أبي العيص .

حدثني العُمَري عن الهَيْثَم بن عَديّ عن عَوانة وغيره قالوا : وفد مصعب على أخيه عبدالله ثلاث مرّات أولاهنّ من الكوفة حين قُتل المختار ومعه إبراهيم بن الأشتر ، والثانية من البصرة بمال العراق حين عزله وولّى حمزة بن عبدالله البصرة فقدمها غلام مُعْجَب حريص ، فقصّر بالأشراف وبسط يده ففزعوا إلى مالك بن مِسْمَع فأمر بحمل سُرادِقة فضُرب على الجسر ، ثم أرسل إلى حمزة يا بن أخي الحقْ بأبيك فأَخْرَجه عن البصرة ، فقال العُدَيل بن فَرْخ العجلي :

---

١ ـ شعر الأحوص ص ٢٦٣ .

إذا ما خَشينا مِنْ أَميرِ ظُلاَمَةً دَعَوْنا أَبا غَسّانَ يَوْماً فعَسْكَرا
فما في مَعَدٍ كُلّها مِثْلُ مالِكٍ أَغَرُّ إذا سامَى وأَهْيَبُ مَنْظَرا
بَني مِسْمَعٍ لَوْلا الإلهُ وأَنْتُمُ بَني مِسْمَعٍ لَمْ يُنْكِرِ الناسُ مُنْكَرا
بَني مِسْمَعٍ أَنْتُمْ ذُؤابَةُ وائِلٍ وأَكْرَمُها في أَوَّلِ الدَهْرِ جَوْهَرا

فرد عبدالله مصعباً على الكوفة والبصرة، ثم إنّه احتاج إلى مشافهة أخيه عبدالله بشيء في أمر عبدالملك حين بلغه عزمه على إتيان العراق فشخص إليه فلم يُقم قِبَلَه إلّا يوماً، ثم ركب رواحله إلى البصرة.

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعن عَوانة قالا: لما قدم مصعب على أخيه بعد قتل المختار، قال له ابن عمر: أأنت الذي قتلت ستّة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة على دم؟ فقال: إنّهم كانوا سَحَرَة كَفَرَة، فقال له: والله لو كانوا غَنَماً من تراث الزبير لقد كان ما أتيت عظيماً.

قالوا: وقال عبدالله بن الزبير لابن عبّاس ـ وأخبره بأمر المختار ـ فرأى منه توجّعاً وإكباراً لقتله أتتوجع لابن [أبي] عُبيد وتكره أن تسميّه كذّاباً؟ فقال له: ما جزاؤه ذلك منا، قتل قَتَلَتَنا، وطلب بدمائنا وشفى غليل صدورنا.

قالوا: ومرّ عروة بن الزبير على ابن عبّاس فقال يا أبا عبّاس إنّ ربّك قتل المختار الكذّاب وهذا رأسه قد جيء به، فقال ابن عبّاس قد بقِيتْ لكم عَقَبَةٌ إنْ صعدتموها فأنتم أنتم يعني، عبدالملك وأهل الشام.

حدثني عمر بن شَبّة عن موسى بن اسماعيل عن أبي هلال عن أبي يزيد المدني قال: ذكر ابن عمر الدّجالين والكذّابين فقال ومنهم ذو صِهْري هذا، قال: قلت: ومن ذو صهرك؟ قال: المختار.

وحدثني عمر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا قيس عن أبي اسحاق ، عن سعيد بن وهب قال : قيل لابن الزبير إنّ المختار يزعم انه يُوحى إليه قال صدق ثم قرأ : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى من تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاك أَثِيمٍ﴾[1] .

حدثني مصعب بن عبدالله الزُبيري عن أبيه قال:قال هشام بن عُرْوة : قيل لابن عبّاس إنّ المختار يزعم أنّه يُوحَى إليه . فقال : صدق إنهما وَحْيَانِ وَحْي الله إلى محمد ﷺ ، ووَحْي الشياطين ، وقرأ : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُون إلى أَوْلِيَائِهِمْ﴾[2] .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن جدّه عن أبي صالح قال : كان ابن عبّاس يقول في المختار : طَلَبَ بثأرنا ، وقتل قَتَلَتَنا ، فنهاه محمد بن الحنفية وقال : نحن أعلم به فلا تقُلْ فيه من الخير شيئاً .

وقد رُوي عن ابن عبّاس إنّه ذُكر عنده المختار ، فقال : صلّى عليه الكِرام الكاتبون .

حدثنا بسّام الحمّال وغيره قالوا : حدثنا حمّاد بن سَلَمة عن يحيى بن سعيد عن أبيه : إنّ المختار لما دعا الناس لبيعته ، رأيت الحارث بن سُويد يذهب مُرْقلا ، فقلت : إلى أين تذهب ، أَمَا تدري ما هذه البيعة ؟ قال : بلى ولكنّي سمعت ابن مسعود يقول ما كلام أتكلم به يُردّ عنّي ضربتين بسوط إلّا كنت متكلّما .

---

١ ـ سورة الشعراء ـ الآيتان : ٢٢١ ـ ٢٢٢ .
٢ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ١٢١ .

المدائني قال : وجد المختار في بيت مال الكوفة تسعة آلاف ألف درهم ، ويقال : ألف ألف وتسعمائة ألف .

المدائني ، قال : كتب المختار إلى ابن الزبير ، إنّ ابن مُطيع خالفك ، وكاتَبَ عبدالملك ، وأنت أحبّ الينا من عبدالملك ، فوجّه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث فماكَرَهُ المختار وقد كتبنا خبره .

قال : وكتب المختار إلى ابن الزبير إنّي اتخذت الكوفة دارا ، فإنْ سوَّغْتَني ذلك وأمرتَ بألف ألف درهم سرتُ إلى الشام وكفيتك أمره ، فقال ابن الزبير : إلى متى أُماكر كذّاب ثقيف ويماكرني ثم تمثّل :

عاري الجَواعِرِ مِن ثَمودٍ أَصْلُهُ عَبْدٌ ويَزْعُمُ أَنَّهُ مِن يَقْدُمِ

وكتب إليه : لا والله ولا درهماً ، وقال :

ولا أَمْتَري بالهُونِ حتى يَدُرَّني وإنّي لأبِي الخَسْفَ مادُمْتُ أَسْمَعُ

فجاهره المختار عندها ونصب له .

وقال المدائني : أُعظمت ربيعة قتل إياس وابنه ، وقالوا : نقتل بهما إبراهيم بن الأشتر ، فقال سُراقة البارقي :

أَتُـوعِدُنـا رَبيعَةُ في إيـاسٍ وما تَدْري رَبيعَةُ ما تَقولُ
ولَـوْلا رَفْعُنا عَنْهُمْ لَكـانـوا كَمَن غالَتْهُ في الأَيّامِ غولُ
لإِبْراهيمُ أَمْنَعُ مِن سُهَيْـلٍ إذا طارَتْ مِنَ الفَزَعِ العُقولُ
وأَمْنَعُ جانِباً مِن لَيْثِ غابٍ جَـرِيءٍ دونَـهُ أَجَمٌ وغِيـلُ
وأَصْدَقُ عَدْوَةً مِنْـهُ إذا ما تَـدَمَّى مِن فَريسَتِـهِ التَليـلُ

حدثني روح بن عبد المؤمن عن غُنْدَرٍ عن شُعْبة عن الحَكَم قال : صلّيت خلف أبي عبدالله الجَدَلي ، زمن الكذّاب ، وكان الكذّاب استخلفه

فقرأ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فلما قرأ ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ قال : كَفَى بالله هاديا ونصيرا ، ثم قال بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

المدائني ، قال : قال المختار : من جاءنا من عبد فهو حُرّ ، فبلغ ذلك ابن الزبير فقال : قد كان يقول إنّي لأعرف كلمة لو قُلْتها كثر تَبَعي ، وهي هذه ، لَيكثرنّ تَبَعُه .

قال أبو الحسن المدائني : أتى عبّاد بن زياد دُومة الجندل بعد مرج راهط طالباً للعُزْلة وهارباً من الفتنة ، فوجّه المختار إليه شُرحَبْيل بن وَرْس الهمداني في أربعة آلاف ، فأرسل إليه عبّاد إنّي إنّما هربت إلى دومة الجندل بديني واعتزلت الفتنة ، فقال له أصحابه : هو رأس الفتنة وأوّلها وآخرها فلا يبرح حتى يُسفَك دمه ، فعزم ابن وَرْس على قتاله ، فقال عبّاد لأصحابه ، وهم سبعمائة من عبيده ومواليه وأتباعه: اخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم فإنّه لم يُحصَر قوم قطّ إلاّ وَهنوا وذلّوا فقاتلهم ، فقُتل من أصحاب ابن وَرْس أكثر من ألف ولم يُقتل من أصحاب عبّاد إلاّ الوليد بن قيس مولى عبيدالله بن زياد ، وانهزم ابن وَرْس فوثب الأعاريب عليه فانتهبوه وقتلوا جماعة من أصحابه ، فصار فيمن بقي معه إلى بلاد طيّء ، فجمع له مَعْدان الطائي ، وهو معدان بن سلمة بن حنظلة ، فقاتله ابن وَرْس وهو يقول :

أنا آبْنُ وَرْسٍ فارِسٌ غَيْرُ وَكَلْ ... أَرْوَعُ مِقْدامٌ إذا النِكْسُ نَكَلْ
وأعْتَلِي رَأْسَ الطِرِمّاحِ البَطَلْ ... بِالسَيْفِ يَوْمَ الرَوْعِ حتى يَنْجَدِلْ

وجعل مَعْدان يقول :

إيهٍ بَني مَعْنٍ ذَوي العَديدِ ... فجَرّدوا البِيضَ مِنَ الحَديدِ
ولاتُعيدوهُنَّ في الغُمودِ ... وآنْتَزِعوا سُرادِقَ العَبيدِ

فقتلوا منهم سبعمائة ودخل ابن وَرْس الكوفة .

فقال الأخطل :

وأَنْتَ يا بنَ زيادٍ عنْدَنا حَسَنٌ مِنْكَ البَلاءُ وأَنْتَ الناصِحُ الشَفِقُ
المُسْتَقِلُّ أموراً لَيْسَ يَحْمِلُها غَمْرٌ مِنَ القَوْمِ رِعديدٌ ولا خَرِقُ[1]

وقال المدائني : مال عُمَير بن الحُباب يوم الخازِر وقال : يا لثأرات المَرْج فقُتل : ابن زياد، وحُصين بن نُمير، وشرحبيل بن ذي الكَلاع .

وقال أبو الحسن المدائني : أقام عبيدالله بن زياد حين وجّهه مروان على قَرْقِيسَاء سنةً فلم يقدر على شيء ، فتوجّه يريد العراق فلقي التوّابين ، ثم سار يريد العراق فقُتل بالخازر وقال عُمير بن الحُباب :

جَزَيْناهُمْ بِيَومِ المَرْجِ يَوْماً كَسوفَ الشَمْسِ أَسْوَدَ ذا ظِلالِ
فلَمْ يَنْفَكَّ أَعْظُمُ سَكْسَكيٍ أمامَ الجِسْرِ ما آخْتَلَفَ اللَيالي

وقال الفرزدق :

أَلا رُبَّ من يُدْعى الفَتَى لَيْسَ بِالفتَى ولٰكِنَّما كانَ الفَتَى ابنُ زِيادِ[2]

وقال المدائني : بعث المختار برأس ابن زياد إلى عبدالله بن الزبير ، فبعث به عبدالله إلى ابن الحنفيّة فقال : ﴿الشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾[3] قال : ويقال إنّه بعث برأس ابن زياد إلى ابن الحنفيّة ، ويقال : إنّ مصعبا بعث برأس المختار الى ابن الزبير فبعث به ابن الزبير إلى ابن الحنفيّة فتلا ابن الحنفيّة الآية، وذلك أشبه بالحقّ .

---

١ ـ ديوان الأخطل ص ٢١٤ مع فوارق .
٢ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .
٣ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٩٤ .

وقال المدائني : قتل المختارُ عبدالله بن شدّاد الجهني ، وأبا عثمان بن خالد بن أسيد ، وزيد بن رُقاد الحيني ، وعمرو بن الحجّاج الزبيدي فقد فمات عطشاً ، وهرب مِسكين بن عامر الدارِمي ، وكان ممّن قاتل قَبْلُ المختار بالكوفة ، ولحق بمحمد بن عُمير بن عُطارد بآذَرْبيجان وقال في أبيات له :

لَهْفَ نَفْسي عَلَى قَريعِ قُرَيْشٍ يَـوْمَ يُؤْتَى بِـرَأْسِهِ المُخْتـارُ
لَيْتَنا قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ مُتْناً أَوْ فَعَلنا ما يَفْعَلُ الأَحْرارُ

وقال المدائني : هرب أسماء بن خارجة إلى البادية ، فنزل على رجل من بني عبْس وكان للعبسي كلب يقال له وقّاع فقال العبسي : إنّي أخاف على كلبي ، فقال أسماء : أنا له ضامن ، فكان يأمر بإطعامه حتى تناهى سِمَنَه ، ثم رحل أسماء فنزل بلاد كلب ونزل بالعَبْسي رجل من بني ثعلبة بن سعد يُكنى أبا حَيّان ، فجاء الكلب والطعام موضوع فرماه أبو حيّان بسهم فقتله ، وأَمِن أسماء فرجع ونزل بالعبسي فقال : ما فعل وقّاع ؟ فأخبره فقال : قد كنتَ ضمنتَه ، قال : فآحتكم فقال : ألف درهم ، فأعطاه أربعة آلاف درهم .

حدثني عمر بن شَبّة حدثني حَيّان بن بِشر عن يحيى بن آدم عن عليّ بن هشام عن أبي الجحاف قال : قال لي معاوية بن ثعلبة : لما خرج المختار كرهتُ الخروج معه ، فأتيت محمد ابن الحنفيّة فسألته فقال إنّي آمرك بما آمر به نفسي لا تخرج معه ، فإنّا أهلَ البيت لا نبتزّ هذه الأمّةَ أمرَها ، وإنّ عليّاً لم يقاتل حتى كانت له بيعة .

١ ـ ديوان مسكين الدارمي ص ٤٣ .

وذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العَلاء قال : أراد ابن الحنفيّة أن يقدم الكوفة، فقال المختار إنّ في المهديّ علامةً وهي أن يضربه رجل بالسيف ضربة فلا تضرّ فبلغ ابن الحنفيّة ذلك فأقام .

وقال نَصْر بن عاصم اللَيْثي :

فارَقْتُ نَجْدَةَ والذين تَزَرَّقوا وابنَ الزُبَيْرِ وشيعَةَ الكَذّابِ
والصُفْرَ آلاذانِ حين تَخَيَّروا دِيناً بِلا فِقْهٍ ولا بِكِتابِ

حدثنا سعيد بن سليمان سعدَوْيه وعمرو بن محمد الناقد قالا : حدثنا هُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : ما كانوا يقرأون خَلْفَ الإمام حتى كان المختار فاتّهموه ، فقرأوا خلفه ، وكان يصلّي بهم صلاة النهار ، ولا يصلّي بهم صلاة الليل .

حدثني عبدالله بن صالح حدثنا أشياخنا : أن الشعبي كان يقول للخَشَبيّة : يا شرطة الله قَعِي وطِيري .

حدثني عمرو بن محمد الناقد عن حفص بن غِياث عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت قال : كانت هدايا المختار تأتي ابن عمر وابن عبّاس ، وابن الحنفيّة فيقبلونها .

حدثني هُدْبة بن خالد عن وُهيب عن ابن عَوْن عن نافع عن ابن عمر : أنّه ما ردّ على أحد من الوُلاة هدّيته ـ أو قال : صِلَته ـ إلاّ المختارِ ، فإنّه بعث إليه بمائة ألف درهم فرَدّها .

حدثني عمر بن شَبّة حدثنا الوليد بن هشام عن وُهيب بن خالد عن ابن عَوْن عن نافع قال : ما ردّ ابن عمر على أحد من الوُلاة صِلته إلاّ المختار فإنّه بعث إليه بمائة ألف درهم فردّها .

حدثني المدائني قال : قدم محمد بن الأشعث البصرة وهو ينادي : واغَوثاه تركنا السيوف تنطف وقُلف العبيدِ في الأحراح ، وكان على البصرة القُباع ، فقدم المصعب على بقيّة ذاك .

وقال ابن قيس الرُقيَّات يمدح مصعباً :

والذي نَغَّصَ ابنَ دَوْمَةَ ما يو حي الشَياطِينُ والسُيوفُ ظِماءُ
فأَباحَ العِراقَ يَضْرِبُهُمْ بِالسَيْـ ـفِ صَلْتاً وفي الضِرابِ جِلاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فيه جَـبَروتٌ مِنْهُ ولا كِـبْرِياء[1]

وقال ابن الكلبي : بعث مصعب إلى عبد الرحمن بن حُجْر بن عَدي وعبد رب بن حُجْر ، وعمران بن حُذيفة بن اليمان ، فقتلهم صبراً. وكانوا خرجوا مع المختار .

حدثني يوسف بن موسى القطّان عن جرير بن عبد الحميد عن المغيرة قال : قُتل عبيدالله بن عليّ مع مصعب يوم المختار .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عَوانة عن أبيه قال : لما وفد مصعب على أخيه بعد قتل المختار قال لابن عمر : ما تقول في قوم خلعوا ربقة الطاعة ، وسفكوا الدماء وقاتلوا فقوتلوا ، حتى إذا غُلبوا دخلوا حصناً فسألوا الأمان على الحكم ، فأُعطوا ذلك ثم أخرجوا فقُتلوا ؟ قال : وكم العدّة ؟ قال : خمسة آلاف ، قال فسبّح ابن عمر ، ثم قال : عمّرك الله يا بن الزبير ، لو أنّ رجلاً أتى ماشيةً لآل الزبير فذبح منها خمسة آلاف ألم تكن تراه مسرفاً ؟ قال : فسكت فلم يجبه ، فقال : ألم يكن فيهم من تُرْجَى له التوبة ، ألم يكن فيهم مستكرَه .

١ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ـ ط . دار صادر بيروت ، ص ٩٠ ـ ٩١ مع فوارق

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه حدثني أبو بكر بن عياش حدثني أبو إسحاق السَبيعي قال : مازال شرابَ أهل الكوفة الزبيبُ حتى كان زياد فشربوا التمر .

قال وحدثنا أبو بكر قال : أوّل ما قُرىء خلف الإمام في زمن المختار ، لأنّهم اتّهموه .

حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن صعب بن زيد قال: كان عبدالله بن الزبير استعمل مصعباً على البصرة ثم عزله، واستعمل ابنه حمزة وذلك بعد قتل المختار ، فلما رأى أهل البصرة ضعف حمزة طلبوا إلى ابن الزبير أن يردّ إليهم المصعب، وكان المصعب رجلاً له نجدة وشجاعة وسخاء وبصر بما يأتي ويَذَرُ ، فلما قدم البصرة جبى خراج الأهواز ، وشاطىء دجلة ، وجعل يعطي الناس العطاء في كل سنة مرّتين في أولها وآخرها ، فلم يزل المصعب بالبصرة إلى أن خرج إلى مَسْكِن .

حدثنا أبو خيثمة [و] أحمد بن إسرائيل [قالا]: حدثنا وهب بن جرير عن أبيه قال : استعمل عبدالله بن الزبير عبدالله بن مُطيع العَدَوي على الكوفة ، فقال المختار لابن الزبير وهو يومئذ عنده إنّي لأعلم قوماً لو أنّ لهم رجلاً له رفقٌ وعلم بما يأتي ويَذَر ، لاستخرج لك منهم جنداً تقاتل بهم أهل الشام ، قال : مَن هم ؟ قال : شيعة علي وبني هاشم بالكوفة ، قال : فكُن أنت ذلك الرجل ؛ فبعثه إلى الكوفة فنزل ناحية منها ، وجعل يبكي على الحسين ، ويذكر مصابه حتى ألفوه وأحبّوه فنقلوه إلى وسط الكوفة ، وأتاه منهم بشر كثير ، فلما غلظ أمره وقوي شأنه سار إلى ابن مُطيع فأخرجه من الدار .

وحدّثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب عن أبيه عن عدّة حدّثوه : أنّ المختار لما غلب على الكوفة ابتنى لنفسه من بيت المال داراًأنفق عليها مالاً عظيماً ، واتّخذ بستاناً من بيت المال ، وأعطى عطايا كثيرة وأنفق نفقات وكتب إلى ابن الزبير : إنْ سوّغتني ما أنفقت من بيت المال فإنّي في طاعتك وإنما حملني على إخراج ابن مُطيع ما رأيتُ من وهنه وضعفه وأنّه لم يكن صاحبَ ما هو فيه ، فأبى ابن الزبير أن يفعل فخلعه المختار ؛ وكتب إلى عليّ بن الحسين بن عليّ يريده على أن يبايع له ، وبعث إليه بمال فأبى أن يقبله وأن يجيبه ، وخرج إلى المسجد فشتمه وعابه وذكر كذبه ؛ فكتب المختار الى ابن الحنفيّة يريده على ذلك ، فأتاه عليّ بن الحسين فأشار عليه أن لا يقبل ، وأن يخرج إلى الناس فيتبرأ منه ويعيبه ويذكر كذبه ، فأتاه ابن عبّاس فقال : لا تفعل فإنّك لا تدري على ما أنت من ابن الزبير ، فأطاع ابنَ عبّاس ، وسكت عن عيب المختار ؛ وغلظ أمر المختار بالكوفة ، وكثرت خَشَبيّته ، فجعل يخبرهم أنّ جبريل يأتيه وتتبع قتلة الحسين فقتلهم ، وكان ممّن قتل عمر بن سعد بن أبي وقّاص، وهو الذي كان لقيِ الحسين فقتله، فازداد أهل الكوفة إعظاماً له وحبّاً وطاعة ؛ فخرج النعمان بن صُهبان الراسِبي من البصرة ، وكان يرى رأْي الشيعة ، حتى قدم الكوفة فدخل على المختار ذات يوم ، فقال له المختار : هنا مجلس جبريل قام عنه آنفاً ، فخرج النعمان وأصحابه فقاتلوه فقُتلوا اجمعين .

حدثنا أبو خَيْثَمة حدثنا وَهْب بن جرير حدثني أبي ومحمد بن أبي عُيَيْنة : أن المختار وّجه أحمر بن شُميط ليأخذ البصرة فخرج في أربعين ألفاً فنزل المَذار واستنفر المصعب الناس ، وخرج إليه بالبصرة ، وقد كان

مصعب لما قدم العراق كتب إلى المهلّب حين قتل ابن الماحوز الخارجي أن يصير إليه ، فأتاه فسار المصعب بالناس حتى نزل بإزاء ابن أبي صُفْرة بالمَذار ، واستعمل على ميمنة الناس المهلّب بن أبي صفرة ، وعلى ميسرتهم عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر وكانت في الميمنة تميم والأزد ، وفي الميسرة ربيعة ، وكان المصعب في القلب ومعه أهل العالية من أخلاط الناس ، فلما زحف بعض الناس إلى بعض حمل عمر بن عبيدالله على ميمنتهم فهزمهم ، وقتل ابن شُميط وأصحابه .

المحتوى